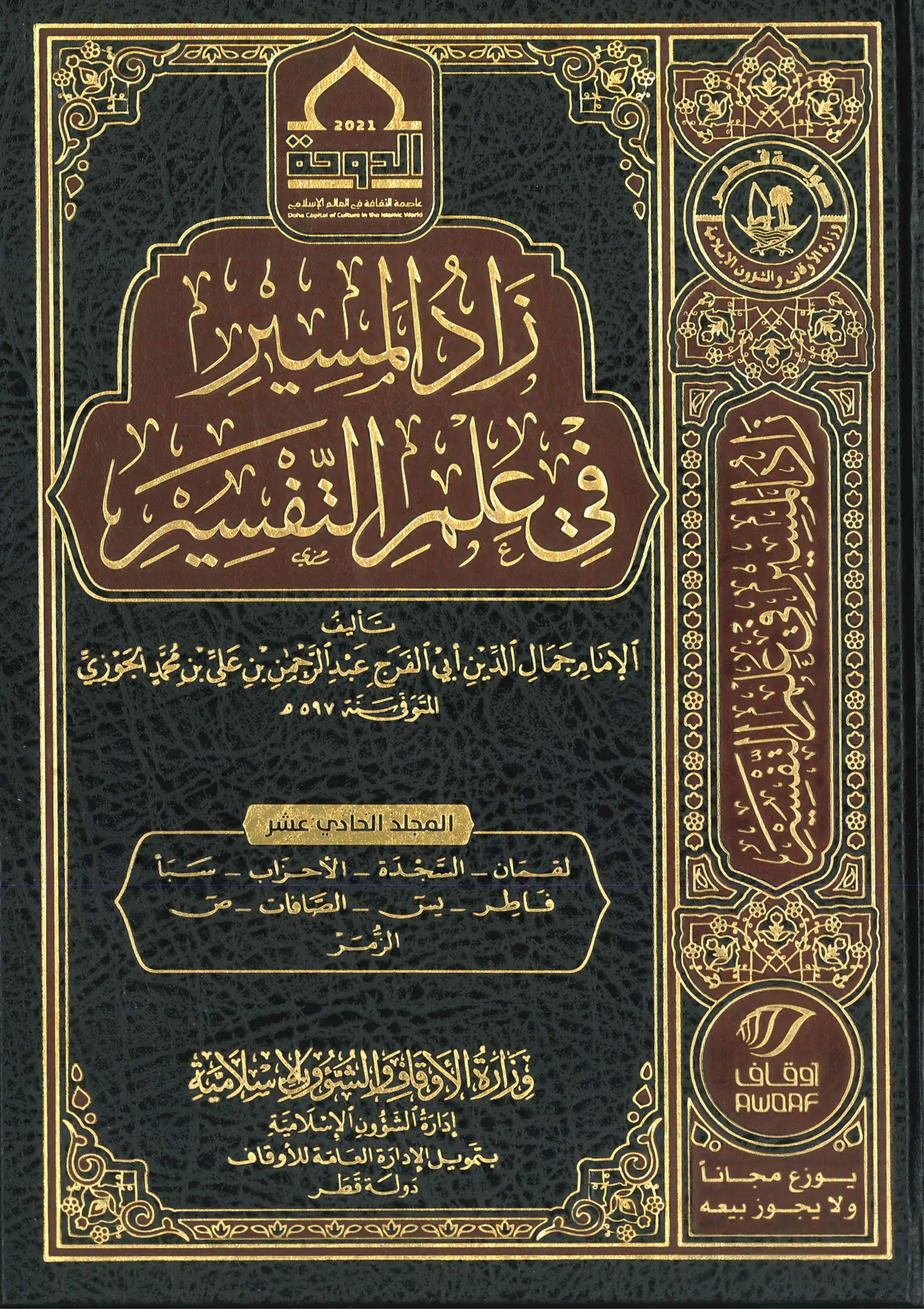

2021
الدوحة
عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Doha Capital of Culture in the Islamic World
زاد المسير في علم التفسير
تأليف
الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧ هـ
المجلد الحادي عشر
لقمان - السجدة - الأحزاب - سبأ
فاطر - يس - الصافات - ص
الزمر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر
دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
زاد المسير في علم التفسير
أوقاف
AWQAF
يوزع مجاناً
ولا يجوز بيعه

زاد المسير

في علم التفسير

١١

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م



الدار الشامية - اسطنبول - تركيا

شارع فوزي باشا - جادة أكدينيز - مقابل جامع بالي باشا
بناء رقم - 26 مكتب رقم A26

تلفاكس: 00902125349298 - جوال: 00905347350856

الايميل: alshamiya.tr@gmail.com







زاد المسير

في علم التفسير

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد الحادي عشر

لقمان - الزمر

تحقيق وتعليق

مجموعة باحثين

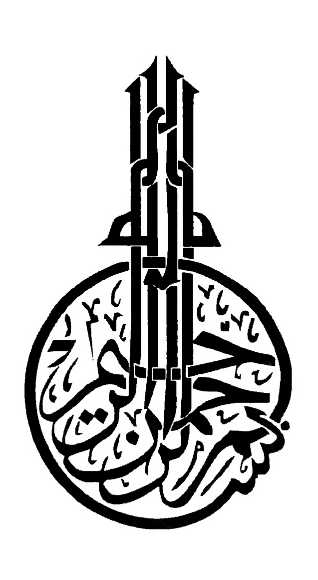
المكتب العلمي بالدار الشامية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

دولة قطر


بسم الله الرحمن الرحيم



وهي مكية في قول الأكثرين.

وروي عن عطاء أنه قال: هي مكية سوى آيتين منها نزلتا بالمدينة، وهما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ والتي بعدها[1] [لقمان: ٢٧،٢٨].

وروي عن الحسن أنه قال: إلا آية نزلت بالمدينة وهي قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [لقمان: ٤] لأن الصلاة والزكاة مدنيتان[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٤/ ٣٢٦)، والثعلبي في الكشف والبيان (٧/ ٣٢٢).

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٤/ ٣٢٦).

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[لقمان: ١-١٣].

قوله تعالى: ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً ﴾.

وقرأ حمزة وحده: «وَرَحْمَةٌ» بالرفع(١).

قال الزجاج: القراءة بالنصب على الحال، والمعنى: تلك آيات الكتاب في حال الهداية والرحمة(٢).

ويجوز الرفع على إضمار: «ورحمة»، وعلى معنى: تِلْكَ هُدًى وَرَحْمَة.

وقد سبق تفسير مفتتح هذه السورة(٣) إلى قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾.

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في رجل اشترى جارية مغنية(٤).

وقال مجاهد: نزلت في شراء القِيان والمغنيات(٥).

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٥١٢)، والحجة (٥/ ٤٥٢)، والمبسوط (ص:٣٥١)، والتيسير (ص:١٧٦)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٤٥)، والتحصيل (٥/ ٢٣٧).

(٢) انظر: معاني القرآن (٤/ ١٩٣).

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٥).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٣٩) من رواية عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضًا (٦/ ٥٠٤) للفريابي، وابن مردويه.

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٧/ ٣١٠).

وقال ابن السائب ومقاتل: نزلت في النضر بن الحارث، وذلك أنه كان تاجرًا إلى فارس، فكان يشتري أخبار الأعاجم، فيحدث بها قريشًا ويقول لهم: إن محمدًا يحدِّثكم بحديث عادٍ وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم وإسفنديار وأخبار الأكاسرة، فيستملحون حديثه، ويتركون استماع القرآن، فنزلت فيه هذه الآية[١].

وفي المراد بلهو الحديث أربعة أقوال:

أحدها: أنَّه الغناء.

كان ابن مسعود يقول: هو الغناء والذي لا إله إلا هو، يردِّدها ثلاث مرات[٢].

وبهذا قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: اللهوُ الطبل[٣].

والثاني: أنه ما ألهى عن الله، قاله الحسن، وعنه مثل القول الأوَّل.

والثالث: أنَّه الشِّرْكُ، قاله الضحَّاك.

والرابع: الباطل، قاله عطاء.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٣٢)، والكشف والبيان؛ للثعلبي (٧/ ٣١٠).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٣٤) من رواية أبي الصهباء البكري، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٦٤٨) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به، ورواه أيضًا (١٨/ ٥٣٨) لكن من رواية ابن جريج، عن مجاهد به. وانظر: تفسير مجاهد (ص: ٦٦٠).

وفي معنى «يشتري» قولان:

أحدهما: يشتري بماله، وحديث النضر يعضده.

والثاني: يختارُ ويَستحِبُّ، قاله قتادة ومطر، وإنَّما قيل لهذه الأشياء: لهو الحديث؛ لأنَّها تلهي عن ذكر الله.

قوله تعالى: ﴿لِيُضِلَّ﴾ المعنى: ليصير أمره إلى الضلال، وقد بيَّنا هذا الحرف في الحج[1].

وقرأ أبو رزين، والحسن، وطلحة بن مصرف، والأعمش، وأبو جعفر: «لِيُضِلَّ» بضم الياء[2]، والمعنى: لِيُضِلَّ غيره، وإذا أضلَّ غيره، فقد ضلَّ هو أيضًا.

قوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «وَيَتَّخِذُهَا» برفع الذال.

وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم بنصب الذال[3].

---

(١) انظر: تفسير سورة الحج الآية رقم (٩).

(٢) انظر: الحجة (٣/ ٣٩٢)، والمبسوط (ص:٢٠٢، ٣٥١)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٤٦).

(٣) انظر: السبعة (ص:٥١٢)، والحجة (٥/ ٤٥٢)، والمبسوط (ص: ٣١٥)، والتيسير (ص:١٧٦)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٤٦).

قال أبو علي: من نصب عطف على «ليضل، ويتخذ»، ومن رفع عطفه على «من يشتري، ويتخذ»[(١)].

وفي المشار إليه بقوله: ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ قولان:

أحدهما: أنها الآيات.

والثاني: السبيل.

وما بعد هذا مفسر في مواضع قد تقدمت. [٦٣٤/أ]

إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ وفيها قولان:

أحدهما: الفهم والعقل، قاله الأكثرون.

والثاني: النبوة.

وقد اختلف في نبوته على قولين:

أحدهما: أنه كان حكيمًا ولم يكن نبيًّا، قاله سعيد بن المسيب، ومجاهد، وقتادة.

والثاني: أنه كان نبيًّا، قاله الشعبي، وعكرمة، والسدي، هكذا حكاه عنهم الواحدي[(٢)]، ولا يُعرُف إلا أن هذا مما تفرد به عكرمة، والقول الأول أصحّ.

---

(١) انظر: الحجة (٥/ ٤٥٣).

(٢) انظر: التفسير الوسيط (٣/ ٤٤٢)، والتفسير البسيط (١٨/ ٩٩).

وفي صناعته ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه كان خياطًا، قاله سعيد بن المسيب.

والثاني: راعيًا، قاله ابن زيد.

والثالث: نجارًا، قاله خالد الربعي.

فأما صفته، فقال ابن عباس: كان عبدًا حبشيًّا[١].

وقال سعيد بن المسيب: كان لقمان أَسْوَدَ من سودان مصر[٢].

وقال مجاهد: كان غليظ الشفتين مُشَقَّقَ القدمين، وكان قاضيًا على بني إسرائيل[٣].

قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ﴾ المعنى: وقلنا له أن اشكر لله على ما أعطاك من الحكمة.

﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: إنما يفعل لنفسه.

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النعمة، فإن الله لَغَنِيٌّ عن عبادة خلقه.

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٤/ ٣٣١)، ومكي في الهداية (٩/ ٥٧١٨).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٨/ ٩٩)، ومكي في الهداية (٩/ ٥٧١٨).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٤٧) من رواية سعيد الزبيدي، عن مجاهد به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضًا (٦/ ٥١٠) لابن أبي شيبة، وأحمد في الزهد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

قولـه تعـالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[لقمان: ١٤-١٧].

قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾.

قال مقاتل: نزلت في سعد بن أبي وقاص، وقد شرحنا ذلك في العنكبوت[(١)(٢)].

قوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾.

وقرأ الضحاك، وعاصم الجحدري: «وَهَناً عَلَى وَهَنٍ» بفتح الهاء فيهما[(٣)].

قال الزجاج: أي ضعفًا على ضَعف، والمعنى: لزمها بحملها إياه أن تضعف مرَّةً بعد مرَّةٍ، وموضع «أن» نصب بـ «وَصَّيْنَا»، المعنى: ووصينا الإنسان أن اشكر لي ولوالديك، أي: وصيناه بشُكرِنا وشُكرِ والديه[(٤)].

(١) انظر: تفسير سورة العنكبوت الآية رقم (٨).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٧٤، ٤٣٤).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٧-١١٨)، والتحصيل (٥/ ٢٣٧) كلاهما نسبها لأحمد بن موسى عن أبي عمرو، وعيسى الثقفي، وكذلك في المحرر الوجيز (٤/ ٣٤٩)، والبحر المحيط (٨/ ٤١٤) كلاهما نسبها لعيسى الثقفي، ورويت عن أبي عمرو، وفي الكامل (ص:٦١٧) نسبها لابن مقسم، وأبي معمر عن عبد الوارث، وابن موسى عن أَبِي عَمْرٍو.

(٤) انظر: معاني القرآن (٤/ ١٩٦).



قوله تعالى: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ﴾ أي: فطامه يقع في انقضاء عامين.

وقرأ إبراهيم النخعي، وأبو عمران، والأعمش: «وَفَصَالُهُ» بفتح الفاء[١].

وقرأ أبي بن كعب، والحسن، وأبو رجاء، وطلحة بن مصرف، وعاصم الجحدري، وقتادة: «وَفَصْلُهُ» بفتح الفاء وسكون الصاد من غير ألف[٢].

والمراد التنبيه على مشقَّة الوالدة بالرضاع بعد الحمل.

قوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ قد فسرنا ذلك في سورة العنكبوت[٣] إلى قوله: ﴿وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا﴾.

قال الزجاج: أي مصاحبًا معروفًا، تقول: صاحبه مُصاحَبًا ومُصاحَبة، والمعروف ما يُستحسَنُ من الأفعال[٤].

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ﴾ أي: من رجع إليَّ، وأهل التفسير يقولون: هذه الآية نزلت في سعد، وهو المخاطَبُ بها[٥].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٧) نسبها للأعمش، وفي الكامل (ص:٦١٧) نسبها للحسن، والْجَحْدَرِي.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٧) نسبها للجحدري، وفي التحصيل (٥/ ٢٣٧) نسبها لأبي رجاء والجحدري، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٣٤٩) نسبها للحسن وأبي رجاء والجحدري ويعقوب، وفي الكامل (ص:٦١٧) نسبها للحسن في رواية يزيد بن هارون عنه.

(٣) انظر: تفسير سورة العنكبوت الآية رقم (٨).

(٤) انظر: معاني القرآن (٤/ ١٩٦-١٩٧).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٧٤، ٤٣٤).

وفي المراد بمن أناب ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه أبو بكر الصديق.

قيل لسعد: اتبع سبيله في الإيمان، هذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء.

وقال ابن إسحاق: أسلم على يدي أبي بكر الصديق: عثمان بن عفان، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف[١].

والثاني: أنه رسول الله ﷺ، قاله ابن السائب.

والثالث: من سلك طريق محمد وأصحابه، ذكره الثعلبي[٢].

ثم رجع إلى الخبر عن لقمان فقال: ﴿ يَٰبُنَيَّ ﴾.

وقال ابن جرير: وجه اعتراض هذه الآيات بين الخبرين عن وصية لقمان، أن هذا مما أوصى به لقمان ابنه[٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾:

وقرأ نافع وحده: «مِثْقَالُ حَبَّةٍ» برفع اللام[٤]. [٦٣٤/ ب]

---

(١) انظر: سيرة ابن إسحاق (ص:١٤٠).

(٢) انظر: الكشف والبيان (٧/ ٣١٣).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٥٤).

(٤) انظر: السبعة (ص:٤٢٩، ٥١٣)، والحجة (٥/ ٤٥٥)، والمبسوط (ص:٣٠٢)، والتيسير (ص:١٥٥)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٥٠)، والتحصيل (٥/ ٢٣٧).

سبب قول لقمان لابنه هذا قولان:

أحدهما: أن ابن لقمان قال لأبيه: أرأيتَ لو كانت حبَّةٌ في قعر البحر، أكان الله يعلمها؟، فأجابه بهذه الآية، قاله السدي.

والثاني: أنه قال: يا أبت إن عملتُ الخطيئة حيث لا يراني أحدٌ كيف يعلمها الله؟ فأجابه بهذا، قاله مقاتل[١].

قال الزجاج: من قرأ برفع المثقال مع تأنيث ﴿تَكُ﴾ فلأنَّ مثقالَ حبَّةٍ من خردل راجع إلى معنى خردلة، فهي بمنزلة إن تَكُ حبَّةٌ من خردل[٢].

ومن قرأ: ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ فعلى معنى: إن التي سألتني عنها إن تَكُ مثقالَ حبَّةٍ، وعلى معنى: إنَّ فِعلةَ الإنسان وإن صَغُرَتْ يأت بها الله، وقد بينَّا معنى مثقال حبَّةٍ من خردلٍ في الأنبياء[٣].

قوله تعالى: ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾.

قال قتادة: في جبل[٤].

وقال السدي: هي الصخرة التي تحت الأرض السابعة، ليست في السماوات ولا في الأرض[٥].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٣٥).

(٢) انظر: معاني القرآن (٤/ ١٩٧).

(٣) انظر: تفسير سورة الأنبياء الآية رقم (٤٧).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٥٧) من رواية سعيد، عن قتادة به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥٢٢) لابن أبي حاتم أيضًا.

(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٤/ ٣٣٧).

وفي قوله: ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: يعلمها الله، قاله أبو مالك.

والثاني: يظهرها، قاله ابن قتيبة[١].

والثالث: يأتِ بها الله في الآخرة للجزاء عليها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾.

قال الزجاج: لطيفٌ باستخراجها، خبيرٌ بمكانها، وهذا مثل لأعمال العباد، والمراد: أنَّ الله تعالى يأتي بأعمالهم يوم القيامة، من يعملْ مثقالَ ذرةٍ خيرًا يره، ومن يعملْ مثقالَ ذرَّةٍ شرًّا يره[٢].

قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ أي: في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأذى، وباقي الآية مُفسَّرٌ في آل عمران[٣].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[لقمان: ١٨-١٩].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾.

قرأ ابن كثير، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿تُصَعِّرْ﴾ بتشديد العين من غير ألف.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ٣٤٤).

(٢) انظر: معاني القرآن (٤/ ١٩٧).

(٣) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (٢٨٦).

وقرأ نافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: بألِفٍ من غير تشديد[١].

قال الفراء: هما لغتان، ومعناهما: الإعراض من الكبر[٢].

وقرأ أُبَيُّ بن كعب، وأبو رجاء، وابن السميفع، وعاصم الجحدري: «وَلاَ تُصْعِرْ» بإسكان الصاد وتخفيف العين من غير ألِفٍ[٣].

وقال الزجاج: معناه: لا تُعرِضْ عن الناس تكبُّرًا؛ يقال: أصاب البعيرَ صَعَرٌ، إذا أصابه داءٌ يلوي منه عنقه[٤].

وقال ابن عباس: هو الذي إذا سُلِّم عليه لوى عنقه كالمستكبر[٥].

وقال أبو العالية: لِيَكُنِ الغنيُّ والفقير عندك في العلم سواء[٦].

وقال مجاهد: هو الرجل يكون بينه وبين أخيه الحِنَةُ[٧] فيراه فيعرض عنه[٨].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥١٣)، والحجة (٥/ ٤٥٥)، والمبسوط (ص:٣٥٢)، والتيسير (ص:١٧٦)، والتحصيل (٥/ ٢٣٨).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٢٨).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٨) نسبها للجحدري، وفي التحصيل (٥/ ٢٣٨) قال: «وروى حسن بن محمد عن شبل عنه: «وَلاَ تُصْعِرْ»، ورُوي ذلك عن الحسن، والجحدري»، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٣٥١) نسبها للجحدري.

(٤) انظر: معاني القرآن (٤/ ١٩٨).

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥٢٤) لابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٦) لم نقف عليه.

(٧) الحِنَةُ: الحقد. انظر: لسان العرب (١٣/ ٤٤٤).

(٨) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٦١) من رواية منصور، عن مجاهد به.

وباقي الآية بعضه مُفَسَّرٌ في بني إسرائيل[١]، وبعضه في سورة النساء[٢].

قوله تعالى: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ أي: ليكن مشيك قصدًا لا تخيُّلاً ولا إسراعًا.

قال عطاء: امش بالوقار والسكينة[٣].

قوله تعالى: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ أي: انقص منه.

قال الزجاج: ومنه قولهم: غضضت بصري، وفلان يغضُّ من فلان، أي: يقصر به[٤].

﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾.

وقرأ أبو المتوكِّل، وابن أبي عبلة: «أَنَّ أَنكَرَ الأصْواتِ» بفتح الهمزة[٥].

ومعنى أنكر: أقبح، تقول: أتانا فلانٌ بوجهٍ مُنكَرٍ، أي: قبيح.

وقال المبرد: تأويله أنَّ الجهر بالصوت ليس بمحمود، وأنه داخل في باب الصوت المنكر[٦].

---

(١) انظر: تفسير سورة الإسراء الآية رقم (٣٧).

(٢) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (٣٦).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٤٤).

(٤) انظر: معاني القرآن (٤/ ١٩٩).

(٥) لم نقف على هذه القراءة، والذي وقفنا عليه لابن أبي عبلة في هذه الآية ما ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٤/ ٣٥٢) قال: «وقرأ ابن أبي عبلة: «أنكر الأصوات أصوات الحمير»، بالجمع في الثاني دون لام».

(٦) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٨/ ١١٨).

وقال ابن قتيبة: عرَّفه قُبْحَ رفعِ الأصوات في المخاطبة والملاحاة بقبح أصوات الحمير، لأنها عالية[١].

قال ابن زيد: لو كان رفع الصوت خيرًا ما جعله الله للحمير[٢].

وقال سفيان الثوري: صياح كل شيء تسبيح لله ﷻ إلا الحمار، فإنه ينهق بلا فائدة[٣].

[٦٣٥/أ] **فإن قيل**: كيف قال: «لصوت»، ولم يقل: «لأصوات الحمير»؟

فالجواب: أن لكل جنس صوتًا، فكأنه قال: إن أنكر أصوات الأجناس صوت هذا الجنس.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ۝٢٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾[لقمان: ٢٠-٢١].

قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: أوسع وأكمل.

﴿نِعَمَهُ﴾.

قرأ نافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: ﴿نِعَمَهُ﴾ أرادوا جميع ما أنعم به.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ٣٤٤).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٦٥) من رواية ابن وهب، عن ابن زيد به.

(٣) رواه الثعلبي في الكشف والبيان (٧/ ٣١٥-٣١٦) من رواية موسى بن أعين، عن سفيان به.

وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «نِعْمَةً» على التوحيد[(١)].

قال الزجاج: هو ما أعطاهم من توحيده[(٢)].

وروى الضحاك عن ابن عباس قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة؟ فقال: «**أَمَّا مَا ظَهَرَ؛ فَالإِسْلامُ، وَمَا سَوَّى اللهُ مِنْ خَلْقِكَ، وَمَا فَضَلَ عَلَيْكَ مِنَ الرِّزْقِ، وَأَمَّا مَا بَطَنَ؛ فَسَتْرُ مَسَاوِئِ عَمَلِكَ، وَلَمْ يَفْضَحْكَ**»[(٣)].

وقال الضحَّاك: الباطنة: المَعرِفَةُ، والظاهرة: حُسْنُ الصورة، وامتداد القامة، وتسوية الأعضاء[(٤)].

قوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ﴾ هو متروك الجواب، تقديره: أفتتَّبعونه؟

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥١٣)، والحجة (٥/ ٤٥٧)، والمبسوط (ص:٣٥٢- ٣٥٣)، والتحصيل (٥/ ٢٣٨).

(٢) انظر: معاني القرآن (٤/ ١٩٩).

(٣) أخرجه الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٤٥) من رواية جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وجويبر ضعيف.

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٧/ ٣١٨)، والواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٤٥)، وفي التفسير البسيط (١٨/ ١٢٠)، وأبو حيان في البحر المحيط (٨/ ٤١٨).

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٢-٢٧].

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ﴾.

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو العالية، وقتادة: «وَمَن يُسَلِّمْ» بفتح السين وتشديد اللام[١].

وذكر المفسرون أنَّ قوله: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾ منسوخ بآية السيف، ولا يصحُّ؛ لأنه تسلية عن الحزن، وذلك لا ينافي الأمر بالقتال، وما بعد هذا قد تقدم تفسير ألفاظه في مواضع[٢] إلى قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾.

وفي سبب نزولها قولان:

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٨)، والبحر المحيط (٨/ ٤١٨) كلاهما نسبها لعلي، والسلمي، وعبد الله بن مسلم بن يسار، وفي التحصيل (٥/ ٢٣٩) نسبها للسلمي، وعبد الله بن مسلم بن يسار، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٣٥٣) نسبها لعبد الله بن مسلم، وأبي عبد الرحمن.

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٦٧)، وسورة هود الآية رقم (٤٨)، وسورة العنكبوت الآية رقم (٦١).

أحدهما: أن أحبار اليهود قالوا لرسول الله ﷺ: أرأيت قول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء:٨٥] إيانا يريد أم قومك؟ فقال: «**كُلًّا**» فقالوا: ألست تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان كلِّ شيء؟ فقال: «**إِنَّهَا فِي عِلْمِ اللهِ قَلِيلٌ**»، فنزلت هذه الآية، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس[1].

والثاني: أن المشركين قالوا في القرآن: إنما هو كلام يوشك أن ينفد وينقطع، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة[2].

ومعنى الآية: لو كانت شجر الأرض أقلامًا، وكان البحر ومعه سبعة أبحر مدادًا، وفي الكلام محذوف تقديره: فكتب بهذه الأقلام وهذه البحور كلمات الله، لَتكسَّرتِ الأقلام ونفدت البحور، ولم تنفد كلمات الله أي: لم تنقطع.

فأما قوله: ﴿وَٱلۡبَحۡرُ﴾.

فقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿وَٱلۡبَحۡرُ﴾ بالرفع، ونصبه أبو عمرو[3].

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٧٢) من رواية ابن إسحاق، عن رجل من أهل مكة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وإسناده ضعيف؛ فيه راوٍ مجهول.
وعزاه السيوطي أيضًا في الدر المنثور (٦/ ٥٢٦) لابن إسحاق، وابن أبي حاتم.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٢٩٤)، والطبري في تفسيره (١٨/ ٥٧٢) عن قتادة به، وقد عزاه السيوطي أيضًا في الدر المنثور (٦/ ٥٢٨) لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في العظمة، وأبي نصر السجزي في الإبانة.

(٣) انظر: السبعة (ص:٥١٣)، والحجة (٥/ ٤٥٧)، والمبسوط (ص:٣٥٣)، والتيسير (ص:١٧٧)، والتحصيل (٥/ ٢٣٩).



وقال الزجاج: من قرأ «وَالْبَحْرَ» بالنصب فهو عطف على «مَا»، المعنى: ولو أن ما في الأرض، ولو أن البحر، والرفع حسن على معنى: والبحر هذه حاله[1].

قال اليزيدي: ومعنى ﴿يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾: يزيد فيه، يقال: مُدَّ قِدْرَكَ، أي: زِدْ في مائها.

وكذلك قال ابن قتيبة: يَمُدُّهُ من المداد لا من الإمداد، يقال: مَدَدْتُ دَواتي بالمِداد، وأَمدَدْتُه بالمال والرجال.

قوله تعالى: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ٢٨ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٩ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٣٠ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنۡ ءَايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ٣١ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ﴾[لقمان: ٢٨-٣٢].

قوله تعالى: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍ﴾.

سبب نزولها: أن أبي بن خلف في آخرين من قريش قالوا للنبي ﷺ: إن الله خلقنا أطوارًا: نطفةً، علقةً، مضغةً، عظامًا، لحمًا، ثم تزعم أنا نُبعثُ خلقًا

(١) انظر: معاني القرآن (٤/ ١٩٩-٢٠٠).

جديدًا جميعًا في ساعةٍ واحدةٍ! فنزلت هذه الآية[١].

ومعناها: ما خلقكم أيها الناس جميعًا في القدرة إلا كخلق نفسٍ [٦٣٥/ب] واحدة، ولا بعثكم جميعًا في القدرة إلا كبعث نفسٍ واحدة، قاله مقاتل[٢].

وما بعد هذا قد تقدم تفسيره[٣] إلى قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾.

قال ابن عباس: من نعمه جريان الفلك[٤].

﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ﴾ أي: ليريكم من صنعه وعجائبه في البحر، وابتغاء الرزق.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾.

قال مقاتل: أي: لكلِّ صبورٍ على أمر الله، شكورٍ في نعمه[٥].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم﴾ يعني الكفار، وقال بعضهم: هو عامٌّ في الكفار والمسلمين.

---

(١) ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره (٣/ ٤٣٨)، والماوردي في النكت والعيون (٤/ ٣٤٥).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٣٨).

(٣) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (٢٧)، وسورة الرعد الآية رقم (٢)، وسورة الحج الآية رقم (٦٢).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٤٦)، والتفسير البسيط (١٨/ ١٢٤).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٣٩).



﴿مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ﴾.

قال ابن قتيبة: وهي جمع ظُلَّة، يراد أن بعضه فوق بعض، فله سواد من كثرته[1].

قوله تعالى: ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ وقد سبق شرح هذا[2]، والمعنى أنهم لا يذكرون أصنامهم في شدائدهم، إنما يذكرون الله وحده.

وجاء في الحديث أن عكرمة بن أبي جهل لما هرب يوم الفتح من رسول الله ﷺ، ركب البحرَ فأصابتهم ريح عاصف، فقال أهل السفينة: أخلصوا فإنَّ آلهتكم لا تغني عنكم شيئًا هاهنا، فقال عكرمة: ما هذا الذي تقولون؟ فقالوا: هذا مكان لا ينفع فيه إلا الله، فقال: هذا إله محمد الذي كان يدعونا إليه؟ لئن لم يُنَجِّنِي في البحر إلا الإخلاص، ما يُنَجِّينِي في البَرِّ غيرُه، ارجعوا بنا، فرجع فأسلم[3].

قوله تعالى: ﴿فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: مؤمن، قاله الحسن.

والثاني: مقتصد في قوله، وهو كافر، قاله مجاهد.

يعني أنه يعترف بأن الله وحده القادر على إنجائه، وإن كان مضمرًا للشرك.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٣٤٤).

(٢) انظر: تفسير سورة يونس الآية رقم (٢٢).

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٥١) للبيهقي في الدلائل عن عروة، وابن سعد عن ابن أبي مليكة.

والثالث: أنه العادل في الوفاء بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد، قاله مقاتل[١].

فأما الخَتَّار، فقال الحسن: هو الغدَّار[٢].

قال ابن قتيبة: الختر أقبح الغدر وأشدُّه[٣].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٣-٣٤].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ قال المفسرون: هذا خطابٌ لكفار مكة.

وقوله: ﴿لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ أي لا يقضي عنه شيئًا من جنايته ومظالمه.

قال مقاتل: وهذا يعني به الكفار[٤].

وقد شرحنا هذا في البقرة[٥].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٣٩).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٨١) من رواية أبي رجاء عن الحسن به.

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ٣٤٤).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٣٩).

(٥) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٤٨).

قال الزجاج: وقوله: ﴿هُوَ جَازٍ﴾ جاءت في المصاحف بغير ياء، والأصل: «جازِيٌ» بضمة وتنوين، وذكر سيبويه والخليل أنَّ الاختيار في الوقف هو: ﴿هُوَ جَازٍ﴾ بغير ياء، هكذا وقف الفصحاء من العرب ليعلموا أنَّ هذه الياء تسقط في الوصل، وزعم يونس أنَّ بعض العرب الموثوق بهم يقف بياء، ولكن الاختيار اتِّباع المصحف[1].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: بالبعث والجزاء.

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ بزينتها عن الإسلام والتزوُّد للآخرة.

﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ﴾ أي: بحلمه وإمهاله ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ يعني: الشيطان، وهو الذي من شأنه أنْ يَغُرَّ.

قال الزجاج: الغَرور على وزن الفَعول، وفَعول من أسماء المبالغة، يقال: فلان أَكول: إذا كان كثير الأكل، وضَروب: إذا كان كثير الضرب، فقيل للشيطان: غَرور لأنَّه يَغُرُّ كثيرًا[2].

وقال ابن قتيبة: الغَرور بفتح الغين: الشيطان، وبضمها: الباطل[3].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾.

سبب نزولها: أن رجلاً من أهل البادية، جاء إلى النبي ﷺ فقال: إن امرأتي حُبلى فأخبرني ماذا تلد؟ وبلدنا مجدب فأخبرني متى ينزل الغيث؟ [٦٣٦/أ]

---

(١) انظر: معاني القرآن (٤/ ٢٠٢).

(٢) انظر: معاني القرآن (٥/ ١٢٥).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ٣٤٤).

وقد علمت متى ولدت فأخبرني متى أموت؟ فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد[1].

ومعنى الآية: إن الله ﷻ: ﴿عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ متى تقوم، لا يعلم سواه ذلك.

﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾.

وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر: ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ بالتشديد[2].

فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث أليلاً أم نهارًا؟.

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ لا يعلم سواه ما فيها أذكرًا أم أنثى؟ أبيض أو أسود؟

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ أخيرًا أم شرًّا؟

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ أي: بأي مكان.

وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وابن أبي عبلة: «بِـأَيَّةِ» بتاء مكسورة[3].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٨٤) من رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد به، وهو في تفسير مجاهد (ص: ٥٤٣)، وانظر: تفسير مقاتل (٣/ ٤٤٠)، والتفسير الوسيط (٣/ ٤٤٧)، وأسباب النزول (ص:٣٤٧).

(٢) انظر: السبعة (ص:١٦٦)، والحجة (٢/ ١٥٨)، والمبسوط (ص:٣٥٣)، والتيسير (ص:١٧٧).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ١١٨) نسبها لموسى الأسواري، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٣٥٦) نسبها لابن أبي عبلة، وفي البحر المحيط (٨/ ٤٢٥) نسبها لموسى الأسواري، وابن أبي عبلة.

والمعنى: ليس أحد يعلم أين مضجعه من الأرض حتى يموت، أفي برٍّ أو بحرٍ أو سهلٍ أو جبلٍ؟

وقال أبو عبيدة: يقال بأيِّ أرضٍ كنت؟ وبأيَّةِ أرض كنت؟ لغتان[1].

وقال الفراء: من قال «بأي أرض» اجتزأ بتأنيث الأرض من أن يظهر في «أيٍّ» تأنيثًا آخر[2].

قال ابن عباس: هذه الخمس لا يعلمُها مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نَبِيٌّ مُرسَلٌ مصطفًى[3].

قال الزجَّاج: فمن ادَّعى أنه يعلم شيئًا من هذه كفر بالقرآن، لأنه خالفه[4].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٢٩).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٤٣، ٣٣٠).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٤٨).

(٤) انظر: معاني القرآن (٤/ ٢٠٢).



سورة السجدة

وتسمى سورة المضاجع، وهي مكية بإجماعهم.

وقال الكلبي: فيها من المدني ثلاث آيات، أولها قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾[١] [السجدة: ١٨].

وقال مقاتل: فيها آية مدنية، وهي قوله: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾[٢] الآية [السجدة: ١٦].

وقال غيرهما: فيها خمس آيات مدنيات أولها: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾[٣] [السجدة: ١٦]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ① تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ② أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۚ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ③ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾[السجدة: ١-٤].

قوله: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

(١) انظر: النكت والعيون؛ للماوردي (٤/ ٣٥٢)، وتفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٤٧)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤/ ٢٠٣).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٤٧)، والنكت والعيون؛ للماوردي (٤/ ٣٥٢).

(٣) انظر: النكت والعيون؛ للماوردي (٤/ ٣٥٢).

قال مقاتل: المعنى: لا شكَّ فيه أنه تنزيل ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ بل يقولون، يعني المشركين ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ محمد من تلقاء نفسه، ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ يعني: العرب الذين أدركوا رسول الله ﷺ، لم يأتهم نذيرٌ من قبل محمد عليه السلام.

وما بعده قد سبق تفسيره[2] إلى قوله: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾ يعني الكفار.

يقول: ليس لكم من دون عذابه من وليٍّ، أي: قريب يمنعكم فيَردُّ عذابَهُ عنكم.

﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ يشفع لكم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فتؤمنوا.

قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٥-٩].

قوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ في معنى الآية قولان:

أحدهما: يقضي القضاء من السماء فينزله مع الملائكة إلى الأرض، ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ﴾ الملك ﴿إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ﴾ من أيام الدنيا، فيكون الملك قد قطع في يوم

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٤٨).

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٥٤).

واحد من أيَّام الدنيا في نزوله وصعوده مسافة ألف سنةٍ من مسيرة الآدمي.

والثاني: يُدَبِّرُ أمر الدنيا مدَّةَ أيام الدنيا، فينزل القضاء والقدر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه أي: يعود إليه الأمر والتدبير، حين ينقطع أمر الأمراء وأحكام الحُكَّام، وينفرد الله تعالى بالأمر ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وذلك في يوم القيامة؛ لأنَّ كلَّ يومٍ من أيام الآخرة كألف سنة.

وقال مجاهد: يقضي أمر ألف سنة في يومٍ واحد، ثم يلقيه إلى الملائكة، فإذا مضت قضى لألف سنةٍ آخرى، ثم كذلك أبدًا[1].

وللمفسرين في المراد بالأمر ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه الوحي، قاله السدي.

والثاني: القضاء، قاله مقاتل[2]. [٦٣٦/ ب]

والثالث: أمر الدنيا.

و﴿يَعْرُجُ﴾ بمعنى: يصعد.

قال الزجاج: يقال: عَرَجْتُ في السُّلَّمِ أَعْرُجُ، وعَرَجَ الرَّجلُ يَعرُجُ إذا صار أَعْرَجَ[3].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٩٥) من رواية ابن جريج، عن مجاهد به، وذكره الماوردي في النكت والعيون (٤/ ٣٥٤).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٤٨).

(٣) انظر: معاني القرآن (٤/ ٢٠٤).



وقرأ معاذ القارئ وابن السميفع وابن أبي عبلة: «ثُمَّ يُعْرَجُ إِلَيْهِ» بياء مرفوعة وفتح الراء[١].

وقرأ أبو المتوكل وأبو الجوزاء: «يَعْرِجُ» بياء مفتوحة وكسر الراء[٢].

وقرأ أبو عمران الجوني وعاصم الجحدري: «ثُمَّ تَعْرُجُ» بتاء مفتوحة ورفع الراء[٣].

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ فيه خمسة أقوال:

أحدها: جعله حسنًا.

والثاني: أحكم كلَّ شيءٍ، رُوِيَا عن ابن عباس، وبالأول قال قتادة، وبالثاني قال مجاهد.

والثالث: أحسنَهُ لم يتعلَّمْهُ من أحدٍ، كما يقال: فلانٌ يُحسِنُ كذا، إذا علمه، قاله السدي ومقاتل[٤].

والرابع: أن المعنى: أَلْهَمَ خَلْقَهُ كُلَّ ما يحتاجون إليه، كأنَّه أعلمَهم كلَّ ذلك وأحسنَهم، قاله الفراء[٥].

---

(١) في الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها (ص:٦١٨)، والبحر المحيط؛ لأبي حيان (٨/ ٤٣١) كلاهما نسبها لابن أبي عبلة.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٨) نسبها لجناح بن حبيش.

(٣) لم نقف على هذه القراءة، لكن في البحر المحيط (٨/ ٤٣٢) قال: «وقرأ جناح بن حبيش: «ثم تعرج الملائكة»، بزيادة الملائكة، ولعله تفسير منه لسقوطه في سواد المصحف».

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٤٩).

(٥) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٣٠-٣٣١).

والخامس: أحسن إلى كلِّ شيءٍ خلقَهُ، حكاه الماوردي[١].

وفي قوله: ﴿خَلَقَهُۥ﴾ قراءتان:

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «خَلْقَهُ» ساكنة اللام.

وقرأ الباقون بتحريك اللام[٢].

وقال الزجاج: فتحها على الفعل الماضي، وتسكينها على البدل، فيكون المعنى: أحسن خلْقَ كلِّ شَيءٍ، والعرب تفعل مثل هذا يُقَدِّمون ويُؤَخِّرون[٣].

قوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ﴾ يعني آدم، ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾ أي: ذريَّته وولده، وقد سبق شرح الآية[٤].

ثم رجع إلى آدم، فقال: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ وقد سبق بيان ذلك[٥].

ثم عاد إلى ذُريَّته فقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ أي: بَعْدَ كَونِكُم نُطَفًا.

---

(١) انظر: النكت والعيون (٤/ ٣٥٥).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥١٦)، والحجة (٥/ ٤٦٠)، والمبسوط (ص: ٣٥٤)، والتحصيل (٥/ ٢٥٥).

(٣) انظر: معاني القرآن (٤/ ٢٠٤).

(٤) انظر: تفسير سورة المؤمنون الآية رقم (١٢).

(٥) انظر: تفسير سورة الحجر الآية رقم (٢٩).

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِى ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِى خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ۝١٠ ۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ۝١١ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾[السجدة: ١٠-١٢].

قوله: ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ يعني منكري البعث.

﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾.

وقرأ علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين، وجعفر بن محمد، وأبو رجاء، وأبو مجلز، وحميد، وطلحة: «ضَلِلْنَا» بضاد معجمة مفتوحة[1]، وكسر اللام الأولى[2].

قال الفراء: ضَلَلْنا وضَلِلْنا لغتان، إذا صارت عظامنا ولحومنا ترابًا كالأرض، تقول: ضل الماء في اللبن، وضل الشيء في الشيء: إذا أخفاه وغلب عليه[3].

---

(١) وقع في الأصل: (مفتوحة الكلام)!، والمثبت من (س) بدون هذه الزيادة.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٩) نسبها لعلي بن أبي طالب، والحسن، وفي التحصيل (٥/ ٢٥٥) نسبها لابن وثاب، وطلحة بن مصرف، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٣٦٠) نسبها لابن عامر، وأبي رجاء، وطلحة، وابن وثاب، وفي البحر المحيط (٨/ ٤٣٤) نسبها ليحيى بن يعمر، وابن محيصن، وأبي رجاء، وطلحة، وابن وثاب، وفي الكامل (ص:٦١٨) نسبها لطلحة، وأبي عمارة عن حفص.

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٣١).

وقرأ أبو نهيك، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وأبو حيوة، وابن أبي عبلة: «ضُلِّلْنَا» بضم الضاد المعجمة وتشديد اللام الأولى وكسرها[١].

وقرأ الحسن، وقتادة، ومعاذ القارئ: «صَلَلْنَا» بصاد غير معجمة مفتوحة[٢].

وذكر لها الزجاج معنيين:

أحدهما: أَنْتَنَّا وتَغَيَّرْنَا وتَغَيَّرَتْ صورُنا، يقال: صلَّ اللحمُ وأصلَّ إذا أَنْتَنَ وتَغَيَّر.

والثاني: صرنا من جنس الصَّلَّة وهي الأرض اليابسة.

قوله تعالى: ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ هذا استفهام إنكار.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ أي: بقبض أرواحكم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ يوم الجزاء.

ثم أخبر عن حالهم في القيامة فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ﴾ أي: مُطَأْطِئُوهَا حياءً وندمًا.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٩) نسبها لأبي حيوة، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٣٦٠)، والبحر المحيط (٨/ ٤٣٤) كلاهما نسبها لعلي بن أبي طالب، وأبي حيوة، وفي الكامل (ص:٦١٨) نسبها لابن أبي عبلة، وأبي حيوة.

(٢) في التحصيل (٥/ ٢٥٥) نسبها للحسن، وفي معاني القرآن (٢/ ٣٣١) نسبها للحسن، وعلي، وكذا في المحرر الوجيز (٤/ ٣٦٠)، وفي البحر المحيط (٨/ ٤٣٤) نسبها لعلي، وابن عباس، والحسن، والأعمش، وأبان بن سعيد بن العاص، وانظر: المحتسب (٢/ ١٧٣).

﴿رَبَّنَآ﴾ فيه إضمار «يقولون»: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ أي: علمنا صحَّة ما كنا [به](1) مكذبين، فارجعنا إلى الدنيا، وجواب «لو» متروك تقديره: لو رأيتَ حالَهم لرأيتَ ما يُعتبَرُ به، ولشاهدْتَ العجبَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ ۖ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٣- ١٧].

قوله: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ أي: وجب وسبق، والقول هو قوله لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص:٨٥]. [٦٣٧/أ]

قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ أي: من كفار الفريقين.

﴿فَذُوقُوا﴾.

قال مقاتل: إذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة: فذوقوا العذاب(2).

وقال غيره: إذا اصطرخوا فيها قيل لهم: ذوقوا بما نسيتم أي: بما تركتم العمل للقاء يومكم هذا، ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ أي: تركناكم من الرحمة.

(١) زيادة من (س).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٥٢).

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا ﴾ أي: وُعِظُوا بها ﴿ خَرُّواْ سُجَّدًا ﴾ أي: سقطوا على وجوههم ساجدين.

وقيل: المعنى: إنما يؤمن بفرائضنا من الصلوات الخمس الذين إذا ذُكِّرُوا بها بالأذان والإقامة خَرُّوا سجدًا.

قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت، وفي الصلاة التي تتجافى لها جنوبهم على أربعة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في المتهجدين بالليل، روى معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ ﴾ قال: «**قِيَامُ الْعَبْدِ مِنَ اللَّيْلِ**»[1].

وفي لفظٍ آخرَ أنَّه قال لمعاذ: «**إِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِأَبْوَابِ الْخَيْرِ**». قال: قلت: أجل يا رسول الله. قال: «**الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ، وَقِيَامُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ يَبْتَغِي وَجْهَ اللهِ**» ثم قرأ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾[2].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٢١٠٣)، وابن جرير في تفسيره (١٨/ ٦١٥) من رواية شهر بن حوشب، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه به.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٩٠) (١١٢٦٥): «رواه أحمد، وشهر لم يدرك معاذًا وفيه ضعف وقد وُثِّق، وبقية رجاله ثقات».

(٢) رواه الترمذي في سننه (٢٦١٦)، وابن ماجه في سننه (٣٩٧٣)، وأحمد في مسنده (٢٢٠١٦)، والنسائي في الكبرى (١١٣٣٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٠٧٩) وغيرهم من رواية أبي وائل، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه به، وهو مروي عن معاذ رضي الله عنه من طرق أخرى.

وكذلك قال الحسن[١]، ومجاهد[٢]، وعطاء[٣]، وأبو العالية[٤]، وقتادة[٥]، وابن زيد[٦]: إنها في قيام الليل.

وقد روى العوفي عن ابن عباس قال: تتجافى جنوبهم لذكر الله، كلما استيقظوا ذكروا الله، إما في الصلاة، وإما في قيام، أو في قعود، أو على جنوبهم، فهم لا يزالون يذكرون الله ﷻ[٧].

والثاني: أنها نزلت في ناسٍ من أصحاب رسول الله ﷺ، كانوا يصلون ما بين المغرب والعشاء، قاله أنس بن مالك[٨].

والثالث: أنها نزلت في صلاة العشاء، كان أصحاب رسول الله ﷺ لا ينامون حتى يصلوها، قاله ابن عباس[٩].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦١٢) من رواية قتادة، عن الحسن به.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦١٢) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

(٣) انظر: التفسير الوسيط؛ للواحدي (٣/ ٤٥٢).

(٤) انظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (٧/ ٣٣١)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (١٨/ ١٤٩).

(٥) المروي عن قتادة في هذه الآية هو ما رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦١٠) من رواية سعيد، عن قتادة: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾، قال: كانوا يتنفلون ما بين صلاة المغرب وصلاة العشاء.

(٦) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦١٢) من رواية ابن وهب، عن ابن زيد به.

(٧) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦١٣) من رواية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٨) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦١٠) من رواية مالك بن دينار، عن أنس بن مالك رضي الله عنه به.

(٩) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥٤٦) لابن مردويه.

والرابع: أنها صلاة العشاء والصبح في جماعة، قاله أبو الدرداء[١]، والضحاك[٢].

ومعنى ﴿ تَتَجَافَىٰ ﴾: ترتفع.

و«المضاجع»: جمع مَضْجِع، وهو الموضع الذي يُضطَجَعُ عليه.

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا ﴾ من عذابه ﴿وَطَمَعًا ﴾ في رحمته وثوابه.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ في الواجب والتطوُّع.

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم ﴾:

وأسكن ياء «أُخفِيَ» حمزة ويعقوب[٣].

قال الزجاج: في هذه الآية دليل على أن المراد بالآية التي قبلها الصلاة في جوف الليل، لأنه عمل يستتر الإنسان به، فجعل لفظ ما يجازى به ﴿أُخْفِىَ لَهُم ﴾ فإذا فتحت ياء «أخفِيَ» فعلى تأويل الفعل الماضي، وإذا أسكنتَها، فالمعنى: ما أُخفِي أنا لهم، إخبارٌ عن الله تعالى[٤].

وكذلك قال الحسن البصري: ﴿أُخْفِىَ لَهُم ﴾ بالخُفيَةِ خُفيةً، وبالعلانية علانيةً[٥].

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٤/ ٣٦٣)، وأبو حيان في البحر المحيط (٨/ ٤٣٧).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٧/ ٣٣٢).

(٣) انظر: السبعة (ص:٥١٦)، والحجة (٥/ ٤٦٣)، والمبسوط (ص:٣٥٤)، والتيسير (ص:١٧٧)، والتحصيل (٥/ ٢٥٥).

(٤) انظر: معاني القرآن (٤/ ٢٠٧).

(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٤/ ٣٦٤).

وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله ﷻ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، اِقْرَؤوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم﴾**»[1].

قوله تعالى: ﴿مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾.

وقرأ أبو الدرداء، وأبو هريرة، وأبو عبد الرحمن السلمي، والشعبي، وقتادة: «مِنْ قُرَّاتِ أَعْيُنٍ» بألف على الجمع[2].

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾[السجدة: ١٨-٢٢].

[٦٣٧/ب] قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ﴾.

في سبب نزولها قولان:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣٢٤٤، ٤٧٧٩، ٤٧٨٠، ٧٤٩٨)، ومسلم في صحيحه (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٩) نسبها للنبي ﷺ، وأبي هريرة، وأبي الدرداء، وفي التحصيل (٥/ ٢٥٦) نسبها لابن مسعود، وأبي هريرة، وفي المحتسب (٢/ ١٧٤) نسبها للنبي ﷺ، وأبي هريرة، وأبي الدرداء، وابن مسعود، وعون العقيلي، وانظر: المحرر الوجيز (٤/ ٣٦٣)، والبحر المحيط (٨/ ١٣٣).

أحدهما: أن الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيطٍ قال لعلي بن أبي طالب: أنا أَحَدُّ منك سنانًا وأَبْسَطُ منك لسانًا وأَمْلأُ للكتيبة منك، فقال له عليٌّ: اسكتْ فإنَّما أنتَ فاسقٌ، فنزلت هذه الآية، فعنى بالمؤمن عليًّا، وبالفاسق الوليد، رواه سعيد بن جُبَيرٍ عن ابن عبَّاس[١].

وبه قال عطاء بن يسار، وعبد الرحمن ابن أبي ليلى، ومقاتل.

والثاني: أنها نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل، قاله شريك[٢].

قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾.

قال الزجاج: المعنى: لا يستوي المؤمنون والكافرون، ويجوز أن يكون لاثنين، لأن معنى الاثنين جماعة، وقد شهد الله بهذا الكلام لعلي عليه السلام بالإيمان، وأنه في الجنة لقوله: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[٣].

وقرأ ابن مسعود، وطلحة بن مصرف: «جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ» على التوحيد[٤].

قوله تعالى: ﴿نُزُلًۢا﴾.

---

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٤٩) من رواية سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) لم نقف عليه.

(٣) انظر: معاني القرآن (٤/ ٢٠٨).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٩) نسبها لطلحة بن مصرف، وفي الكامل (ص:٦١٨) نسبها للسمان عن طلحة، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٣٦٣) نسبها لطلحة.



وقرأ الحسن والنخعي والأعمش وابن أبي عبلة: «نُزْلاً» بتسكين الزاي[١].

وما بعد هذا قد سبق بيانه[٢] إلى قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾، وفيه ستة أقوال:

أحدها: أنه ما أصابهم يوم بدر، رواه مسروق عن ابن مسعود، وبه قال قتادة والسدي.

والثاني: سِنُونَ أُخِذُوا بها، رواه أبو عبيدة عن ابن مسعود، وبه قال النخعي.

وقال مقاتل: أُخِذُوا بالجوع سبعَ سنين[٣].

والثالث: مصائب الدنيا، قاله أبي بن كعب، وابن عباس في رواية ابن أبي طلحة، وأبو العالية، والحسن، وقتادة، والضحاك.

والرابع: الحدود، رواه عكرمة عن ابن عباس.

والخامس: عذاب القبر، قاله البراء.

والسادس: القتل والجوع، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ أي: قبل العذاب الأكبر.

وفيه قولان:

أحدهما: أنَّه عذاب يوم القيامة، قاله ابن مسعود.

---

(١) في المحرر الوجيز (٤/ ٣٦٣)، والبحر المحيط (٨/ ٤٣٨) كلاهما نسبها لأبي حيوة.

(٢) انظر: تفسير سورة الحج الآية رقم (٢٢).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٥٢).

والثاني: أنه القتل ببدر، قاله مقاتل[١].

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

قال أبو العالية: لعلَّهم يتوبون[٢].

وقال ابن مسعود: لعلَّ من بقي منهم يتوب[٣].

وقال مقاتل: لكي يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان[٤].

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ قد فسرناه في الكهف[٥].

قوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾.

قال زيد بن رفيع: هم أصحاب القدر[٦].

وقال مقاتل: هم كفار مكة، انتقم الله منهم بالقتل ببدر، وضَربَتِ الملائكةُ وجوهَهم وأدبارَهم، وعجَّلَ أرواحَهم إلى النار[٧].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٥٢).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٣٤) من رواية الربيع، عن أبي العالية به.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥٥٤) لابن أبي شيبة، والنسائي، وابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٥٢).

(٥) انظر: تفسير سورة الكهف الآية رقم (٥٧).

(٦) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٧/ ٣٣٣).

(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٥٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾[السجدة: ٢٣-٣٠].

قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني التوراة.

﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: فلا تكن في مِرْيَةٍ من لقاء موسى رَبَّهُ، رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ[1].

والثاني: من لقاء موسى ليلة الإسراء، قاله أبو العالية، ومجاهد، وقتادة، وابن السائب.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣٢٣٩)، ومسلم في صحيحه (١٦٥)، والطبري في تفسيره (١٨/ ٦٣٦) من رواية قتادة، عن أبي العالية، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَجُلٌ آدَمُ طُوَالٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مَرْبُوعَ الْخَلْقِ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، سَبْطَ الرَّأْسِ، وَأُرِيَ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ، وَالدَّجَّالَ فِي آيَاتٍ أَرَاهُنَّ اللهُ إِيَّاهُ، ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ [السجدة: ٢٣]، قَالَ: كَانَ قَتَادَةُ «يُفَسِّرُهَا أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَدْ لَقِيَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ».

والثالث: فلا تكن في شكٍّ من لقاء الأذى كما لقي موسى، قاله الحسن.

والرابع: لا تكن في مِريَةٍ من تلقِّي موسى كتابَ الله بالرِّضى والقَبول، قاله السدي.

قال الزجاج: وقد قيل: فلا تكن في شكٍّ من لقاء موسى الكتاب، فتكون الهاء للكتاب(١).

وقال أبو علي الفارسي: المعنى: من لقاء موسى الكتاب، فأُضِيفَ المصدر إلى ضمير الكتاب، وفي ذلك مدحٌ له على امتثاله ما أُمِرَ به، وتنبيهٌ على الأخذ بمثل هذا الفعل(٢).

وفي قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى﴾ قولان:

أحدهما: الكتاب، قاله الحسن.

والثاني: موسى، قاله قتادة. [٦٣٨/أ]

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ﴾ أي من بني إسرائيل ﴿أَئِمَّةً﴾ أي: قادةً في الخير ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: يدعون الناس إلى طاعة الله.

﴿لَمَّا صَبَرُوا۟﴾.

قرأ ابن كثير، وعاصم، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ بفتح اللام وتشديد الميم.

---

(١) انظر: معاني القرآن (٤/ ٢٠٩).

(٢) انظر: الحجة (٢/ ٢٨-٢٩).

وقرأ حمزة والكسائي: «لِـمَا» بكسر اللام خفيفة[1].

وقرأ ابن مسعود: «بِمَا» بباءٍ مكان اللام[2].

والمراد صبرُهم على دينهم وأذى عدوِّهم.

﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ أنها من الله ﷻ، وفيهم قولان:

أحدهما: أنهم الأنبياء.

والثاني: أنهم قومٌ صالحون سوى الأنبياء.

وفي هذا تنبيهٌ لقريشٍ أنَّكم إن أطعتم، جعلْتُ منكم أئمَّةً.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يقضي ويحكم.

وفي المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنَّهم الأنبياءُ وأممهم.

والثاني: المؤمنون والمشركون.

ثم خوَّف كفَّارَ مكَّةَ بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾.

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي: «نَهْدِ» بالنون[3]، وقد سبق تفسيره في طه[4].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥١٦)، والحجة (٥/ ٤٦٤)، والمبسوط (ص:٣٥٤)، والتيسير (ص:١١٧)، والمحرر الوجيز (٤/٣٦٥)، والتحصيل (٥/ ٢٥٦).

(٢) في المحرر الوجيز (٤/ ٣٦٥)، والهداية؛ لمكي (٩/ ٥٧٧١) كلاهما نسبها لابن مسعود.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٩) نسبها لعلي بن أبي طالب، وابن عباس، والسلمي، وفي الهداية (٩/ ٥٥٧٢) نسبها لأبي عبد الرحمن السلمي، وقتادة، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٣٦٥) نسبها لأبي عبد الرحمن السلمي، والحسن، وقتادة.

(٤) انظر: تفسير سورة طه الآية رقم (١٢٨).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ﴾ يعني المطر والسيل ﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ وهي التي لا تنبت، وقد ذكرناها في أوَّل الكهف[1]، فإذا جاء الماءُ أنبتَ فيها ما يأكلُ الناسُ والأنعام.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ يعني كفَّارُ مكَّةَ.

﴿مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ﴾ **وفيه أربعة أقوال:**

أحدها: أنَّه ما فُتِحَ يومَ بدر.

روى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال: يوم بدر فُتِحَ للنبيِّ ﷺ، فلم ينفع الذين كفروا إيمانُهم بعدَ الموت[2].

والثاني: أنَّه يومُ القيامة، وهو يومُ الحكم بالثواب والعقاب، قاله مجاهد.

والثالث: أنه اليوم الذي يأتيهم فيه العذاب في الدنيا، قاله السدي.

والرابع: فتح مكة، قاله ابن السائب، والفراء[3]، وابن قتيبة[4].

وقد اعتُرِضَ على هذا القول، فقيل: كيف لا ينفع الكفَّارَ إيمانُهم يومَ الفتح، وقد أسلم جماعةٌ وقُبِلَ إسلامُهم يومئذٍ؟

---

(١) انظر: تفسير سورة الكهف الآية رقم (٨).

(٢) رواه الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٥٥) (٧٣٩) من رواية عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥٥٧) للحاكم وصححه، والبيهقي في دلائل النبوة.

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٣٣).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:٣٤٧).

فعنه جوابان:

أحدهما: لا ينفع من قُتِلَ من الكفَّار يومئذٍ إيمانُهم بعدَ الموت، وقد ذكرناه عن ابن عباس.

وقد ذكر أهل السِّيَرِ: أنَّ خالدًا دخل يوم الفتح من غير الطريق التي دخل منها رسول الله ﷺ، فلقيه صفوانُ بن أميَّةُ وسُهَيلُ بن عمروٍ في آخَرِينَ فقاتلوه، فصاحَ خالدٌ في أصحابه وقاتلهم، فقتل أربعةً وعشرينَ من قُرَيشٍ، وأربعةً من هُذَيلٍ وانهزموا، فلما ظهرَ رسولُ الله ﷺ قال: «**أَلَمْ أَنْهَ عَنِ الْقِتَالِ؟**» فقيل: إنَّ خالدًا قُوتِلَ فقاتل[1].

والثاني: لا ينفع الكفار ما أعطوا من الأمان، لأن النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ**»[2].

قال الزجاج: يقال آمنت فلانًا إيمانًا، فعلى هذا يكون المعنى: لا يدفع هذا الأمان عنهم عذاب الله[3].

وهذا القول الذي قد دافعنا عنه ليس بالمختار، وإنما بيَّنا وجهه لأنه قد قيل.

---

(١) انظر: مغازي الواقدي (٢/ ٨٢٦)، والطبقات الكبرى؛ لابن سعد (٢/ ١٣٦).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١٧٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢١٢).

وقد خرج بما ذكرنا في الفتح قولان:

أحدهما: أنَّه الحكم والقضاء، وهو الذي نختاره.

والثاني: فتح البلد.

قوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ ﴾ أي: انتظر عذابهم ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾ بك حوادث الدهر.

قال المفسرون: وهذه الآية منسوخة بآية السيف. [٦٣٨/ب]

سورة الأحزاب

وهي مدنيَّةٌ بإجماعهم.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾[الأحزاب: ١-٤].

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾.

سبب نزولها:

أن أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا على رسول الله ﷺ في الموادعة التي كانت بينهم، فنزلوا على عبد الله بن أُبَيٍّ ومعتِّب بن قشير والجد بن قيس، فتكلَّموا فيما بينهم، وأتوا رسول الله ﷺ فدَعَوهُ إلى أمرهم، وعرضوا عليه أشياءَ كرهها، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس(١).

قال مقاتل: سألوا رسول الله ﷺ أن يرفض ذِكرَ اللات والعزَّى، ويقول: إنَّ لها شفاعةً، فكره ذلك، ونزلت هذه الآية(٢).

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٥١)، والتفسير البسيط (١٨/ ١٦٧).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٧١).



وقال ابن جرير: ولا تطع الكافرين الذين يقولون: اطرد عنَّا أتباعَكَ من ضعفاء المسلمين والمنافقين، فلا تقبَلْ منهم رأيًا[١].

فإن قيل: ما الفائدة في أمر الله تعالى رسولَهُ بالتقوى وهو سيِّدُ المتَّقين؟ فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنَّ المرادَ بذلك استدامةُ ما هو عليه.

والثاني: الإكثار ممَّا هو فيه.

والثالث: أنَّه خِطَابٌ وُوْجِهَ به والمراد أُمَّتُهُ.

قال المفسرون: وأراد بالكافرين في هذه الآية أبا سفيان، وعكرمة، وأبا الأعور، وبالمنافقين عبد الله بن أُبَيٍّ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وطعمة بن أُبَيرِق.

وما بعد هذا قد سبق بيانه[٢] إلى قوله: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾.

وفي سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن المنافقين كانوا يقولون: لمحمَّدٍ قلبان، قلبٌ معنا، وقلبٌ مع أصحابه، فأكذَبَهُمُ الله تعالى، ونزلت هذه الآية، قاله ابن عباس[٣].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٥).

(٢) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (٨١).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢٤١٠)، والترمذي في سننه (٣١٩٩) وحسَّنه، وابن خزيمة في صحيحه (٨٦٥)، والحاكم في مستدركه (٣٥٥٥) وصحَّحه، والطبري في تفسيره=

والثاني: أنها نزلت في جميل بن مَعْمَر الفهري، كذا نسبَهُ جماعةٌ من المفسِّرين(١).

وقال الفراء: جميل بن أسد، ويكنى أبا معمر(٢).

وقال مقاتل: أبو معمر بن أنس الفهري، وكان لبيبًا حافظًا لما سمع، فقالت قريش: ما حفظ هذه الأشياء إلَّا وله قلبان في جوفه، وكان يقول: إن لي قلبين أعقل بكلِّ واحدٍ منهما أفضلَ من عقل محمَّدٍ. فلما كان يوم بدر وهُزِمَ المشركون، وفيهم يومئذٍ جميل بن مَعمَرٍ، تلقَّاه أبو سفيان، وهو مُعلِّقٌ إحدى نعليه بيده، والأخرى في رجله، فقال له: ما حال الناس؟ فقال: انهزموا قال: فما بالك إحدى نعليك في يدك، والأخرى في رجلك، قال: ما شعرتُ إلَّا أنَّهما في رجلي، فعرفوا يومئذٍ أنَّه لو كان له قلبان لما نسي نعلَهُ في يده، وهذا قول جماعةٍ من المفسرين(٣).

=(١٩/ ٧) من رواية قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.
قال الذهبي في تلخيصه: «قابوس بن أبي ظبيان ضعيف».

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ٦)، والماوردي في النكت والعيون (٤/ ٣٧٠)، والواحدي في أسباب النزول (ص:٣٥١)، والتفسير الوسيط (٣/ ٤٥٧)، والتفسير البسيط (١٨/ ١٦٨) وعزاه للسدي، وقتادة، ومجاهد، وفي الدر المنثور (٦/ ٥٦١) قال: «وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي: أنها نزلت في رجل من قريش من بني جمح يقال له: جميل بن معمر».

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٣٤).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٧١-٤٧٢).

وقد قال الزهري في هذا قولاً عجيبًا قال: بلغنا أن ذلك في زيد بن حارثة، ضُرِبَ له مثلٌ، يقول: ليس ابنُ رجلٍ آخرَ ابنُكَ[1].

قال الأخفش: «مِنْ» زائدة في قوله: ﴿مِّن قَلْبَيْنِ﴾[2].

قال الزجاج: أكذبَ اللهُ عَجَّلَ هذا الرجلَ الذي قال: لي قلبان، ثمَّ قرَّر بهذا الكلام ما يقوله المشركون وغيرهم ممَّا لا حقيقةَ له، فقال: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ فأعلمَ الله تعالى أنَّ الزوجةَ لا تكون أمًّا، وكانت الجاهلية تُطلِّقُ بهذا الكلام، وهو أن يقول لها: أنت عليَّ كظهر أمِّي، [٦٣٩/ أ] وكذلك قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ أي: ما جعل من تدعونه ابنًا -وليس بولد في الحقيقة- ابنًا.

﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ أي: نسبُ من لا حقيقةَ لنسبه قولٌ بالفم لا حقيقةَ تحته، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ أي: لا يجعل غير الابن ابناً ﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ أي للسبيل المستقيم[3].

وذكر المفسرون: أنَّ قولَهُ: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ﴾ نزلت في أوس بن الصامت وامرأتِه خولةَ بنتِ ثعلبةَ[4].

ومعنى الكلام: ما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن كأمهاتكم

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٣١٠)، والطبري في تفسيره (١٩/ ٩) من رواية معمر، عن الزهري به.

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤٨٠).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢١٤-٢١٥).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٧٢).

في التحريم، إنَّما قولكم معصية، وفيه كفَّارة وأزواجكم لكم حلالٌ، وسنشرح هذا في سورة المجادلة إن شاء الله.

وذكروا أن قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ نزل في زيد بن حارثة، أعتقه رسول الله ﷺ، وتبنَّاه قبل الوحي، فلما تزوَّج رسول الله ﷺ زينبَ بنت جحش، قال اليهود والمنافقون: تزوَّج محمد امرأةَ ابنه، وهو ينهى الناس عنها، فنزلت هذه الآية[1].

قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴾[الأحزاب: ٥-٦].

قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ ﴾.

قال ابن عمر: ما كنَّا ندعو زيدَ بن حارثةَ إلَّا زيد بن محمَّد، حتى نزلت: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ ﴾[2].

---

(١) انظر: تفسير مجاهد (ص:٥٤٦)، وتفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٧٢)، وتفسير الطبري (٦/ ٥٦١)، والتفسير الوسيط (٣/ ٤٥٨)، وأسباب النزول؛ للواحدي (ص:٣٥٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤٧٨٢)، ومسلم في صحيحه (٢٤٢٥)، والترمذي في سننه (٣٢٠٩)، وأحمد في مسنده (٥٤٧٩) وغيرهم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥٦٢) أيضًا: لابن أبي شيبة، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في سننه.

قوله تعالى: ﴿هُوَ أَقْسَطُ﴾ أي: أعدَلُ.

﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ﴾ أي: إن لم تعرفوا آباءهم.

﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ أي: فهم إخوانكم، فليقل أحدكم: يا أخي.

﴿وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ قال الزجاج: أي: بنو عمكم، ويجوز أن يكون مواليكم أولياءكم في الدين[1].

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: فيما أخطأتم به قبل النهي، قاله مجاهد.

والثاني: في دعائكم من تدعونه إلى غير أبيه، وأنتم ترونه كذلك، قاله قتادة.

والثالث: فيما سهوتم فيه، قاله حبيب بن أبي ثابت.

فعلى الأول يكون معنى قوله: ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: بعد النهي.

وعلى الثاني والثالث: ما تعمَّدَتْ في دعاء الرجل إلى غير أبيه.

قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: أحقُّ، فله أن يحكمَ فيهم بما يشاء.

قال ابن عباس: إذا دعاهم إلى شيء، ودعتهم أنفسهم إلى شيء، كانت طاعتُه أولى من طاعة أنفسهم، وهذا صحيحٌ، فإنَّ أنفُسَهم تدعوهم إلى ما

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢١٥).

فيـه هلاكهـم، والرسـول يدعوهـم إلى مـا فيـه نجاتُهـم[١].

قولـه تعـالى: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ أي: في تحريـم نكاحهـنَّ عـلى التأبيـد، ووجـوب إجلالهـن وتعظيمهـن، ولا تجـري عليهـن أحـكام الأُمَّهـات في كلِّ شيء، إذ لـو كان كذلـك، لمـا جـاز لأحـدٍ أن يتـزوَّجَ بناتِهِـنَّ، ولوَرِثْـنَ المسـلمين، ولجـازت الخلـوةُ بِهِـنَّ.

وقـد روى مـسروق عـن عائشـة: أنَّ امـرأةً قالـت: يـا أُمَّـاهُ. فقالـت: لسـتُ لـك بـأمٍّ، إنَّـما أنـا أُمُّ رجالكـم[٢].

فبان بهذا الحديث أن معنى الأمومة تحريمُ نكاحهنَّ فقط.

وقال مجاهد: وأزواجه أمهاتهم وهو أبٌ لهم[٣].

ومـا بعـد هـذا مُفسَّرٌ في آخـر الأنفـال إلى قولـه تعـالى: ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾.

والمعنـى: أنَّ ذوي القرابـات بعضُهـم أولى بمـيراث بعـضٍ، مـن أن يرثـوا بالإيـمان والهجـرة، كـما كانـوا يفعلـون قبلَ النسـخ.

---

(١) ذكـره الثعلبي في الكشـف والبيـان (٨/ ٨)، والواحـدي في التفسـير الوسـيط (٣/ ٤٥٩)، وفي التفسـير البسـيط (١٨/ ١٧٤).

(٢) رواه البيهقـي في السـنن الكـبرى (٧/ ١١١) (١٣٤٢٢) مـن روايـة مـسروق، عـن عائشـة رضي الله عنها، وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٦/ ٥٦٧) أيضًـا لابـن سـعد، وابـن المنـذر.

(٣) رواه الطـبري في تفسـيره (١٩/ ١٥) مـن روايـة ابـن أبي نجيـح، عـن مجاهـد بـه، وهـو في تفسـير مجاهـد (ص:٥٤٦)، وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٦/ ٥٦٧) أيضًـا: للفريـابي، وابـن أبي شـيبة ، وابـن المنـذر، وابـن أبي حاتـم.



﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗا﴾ وهـذا استثناءٌ ليس من الأوَّل، [٦٣٩/ب] والمعنى: لكن فعلكم إلى أوليائكم معروفًا جائزٌ، وذلك أنَّ الله تعالى لما نسخ التوارُثَ بالحلف والهجرة، أباح الوصيَّةَ للمعاقدين، فللإنسان أن يوصيَ لمن يتولَّاه بما أحبَّ من ثلثه، فالمعروف هاهنا: الوصية.

قوله تعالى: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ يعني نسخ الميراث بالهجرة، وردُّه إلى ذوي الأرحام.

﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يعني: اللوح المحفوظ.

﴿مَسۡطُورٗا﴾ أي: مكتوبًا.

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٧ لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾[الأحزاب: ٧-٩].

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا﴾ المعنى: واذكر إذ أخذنا.

﴿مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ﴾ أي: عهدهم.

وفيه قولان:

أحدهما: أخذ ميثاق النبيِّين أن يُصدِّقَ بعضُهم بعضًا، قاله قتادة.

والثاني: أن يعبدوا الله، ويدعوا إلى عبادته، ويُصَدِّقَ بعضُهم بعضًا، وأن ينصحوا لقومهم، قاله مقاتل(١).

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٧٥).

وهذا الميثاق أخذ منهم حين أخرجوا من ظهر آدم كالذرِّ.

قال أبي بن كعب: لما أخذ ميثاق الخلق خصَّ النبيِّينَ بميثاقٍ آخر[١].

فإن قيل: لِمَ خصَّ الأنبياء الخمسة بالذكر دون غيرهم من الأنبياء؟

فالجواب: أنه نبَّه بذلك على فضلهم، لأنَّهم أصحاب الكتب والشرائع، وقدَّم نبينا ﷺ بيانًا لفضله عليهم.

قال قتادة: كان نبيُّنا أوَّلَ النبيِّينَ في الخلق[٢].

وقوله: ﴿مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ أي: شديدًا على الوفاء بما حملوا.

وذكر المفسرون: أن ذلك العهدَ الشديد اليمينُ بالله ﷻ.

﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ يقول: أخذنا ميثاقهم لكي نسأل الصادقين، وهم الأنبياء.

﴿عَن صِدْقِهِمْ﴾ في تبليغهم ومعنى سؤال الأنبياء - وهو يعلم صدقهم - تبكيت مكذبيهم.

وهاهنا تم الكلام، ثم أخبر بعد ذلك عمَّا أعدَّ للكافرين بالرسل.

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ ﴾ وهم الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ أيام الخندق.

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٥٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٥٣٧)، وأحمد في مسنده (٢١٢٣٢)، والحاكم في مستدركه (٣٢٥٥) وصحَّحه، والبيهقي في القضاء والقدر (٦٦)، والفريابي في القدر (٥٢)، وغيرهم من رواية أبي العالية، عن أبي بن كعب ﵁ به.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٣) من رواية أبي هلال، عن قتادة به.



الإشارة إلى القصة

ذكر أهل العلم بالسيرة: أن رسول الله ﷺ لما أجلى بني النضير، ساروا إلى خيبر، فخرج نفرٌ من أشرافهم إلى مكَّة، فألَّبوا قريشًا ودعوهم إلى الخروج لقتاله، ثم خرجوا من عندهم، فأتوا غطفان وسليم ففارقوهم على مثل ذلك، وتجهَّزت قريش ومن تبعهم من العرب، فكانوا أربعة آلاف، وخرجوا يقودهم أبو سفيان، ووافتهم بنو سليم بـ «مرِّ الظهران»، وخرجت بنو أسد وفزارة وأشجع وبنو مُرَّةَ، فكان جميع من وافى الخندق من القبائل عشَرةُ آلافٍ، وهم الأحزاب.

فلما بلغ رسولَ الله ﷺ خروجُهم من مكَّة، أخبر الناسَ خبرَهم، وشاورهم، فأشار سلمان بالخندق، فأعجبَ ذلك المسلمين، وعسكر بهم رسولُ الله ﷺ إلى سفح سلع، وجعل سلعًا خلف ظهره.

ودسَّ أبو سفيان بن حربٍ حُيَيَّ بنَ أخطبَ إلى بني قريظة، يسألهم أن ينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ، ويكونوا معهم عليه، فأجابوا، واشتدَّ الخوف وعَظُمَ البلاء، ثمَّ جرت بينهم مناوشةٌ وقتال، وحُصِرَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه بضعَ عشْرَةَ ليلةً، حتَّى خلص إليهم الكربُ، وكان نعيم بن مسعود الأشجعيُّ قد أسلمَ، فمشى بين قريشٍ وقريظةَ وغطَفانَ، فخذَّل بينهم، فاستوحشَ كلٌّ منهم من صاحبه، واعتلَّتْ قُرَيظَةُ بالسبت، فقالوا: لا [٦٤٠/أ] نقاتلُ فيه، وهبَّتْ ليلةَ السبت ريحٌ شديدة.

فقال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله لستم بدارِ مُقامٍ، لقد هلك الخُفُّ والحافر، وأجدبَ الجناب، وأخلفَتْنَا قريظةُ، ولقينا من الريح ما ترون، فارتحلوا فإنِّي مرتحلٌ، فأصبحت العساكر قد أقشعَتْ كلُّها[١].

قال مجاهد: والريح التي أُرسِلَتْ عليهم هي الصبا، حتَّى أكفأَتْ قدورَهم، ونزعت فساطيطَهم، والجنودُ الملائكة، ولم تقاتلْ يومئذٍ[٢].

وقيل: إن الملائكة جعلت تقلع أوتادهم، وتُطفئ نيرانَهم، وتُكبِّر في جوانب عسكرهم، فاشتدَّت عليهم، فانهزموا من غير قتال.

قوله تعالى: ﴿لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾.

وقرأ النخعي، والجحدري، والجوني، وابن السميفع: «لم يَرَوْهَا» بالياء[٣].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

وقرأ أبو عمرو: «يَعْمَلُونَ» بالياء[٤].

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى؛ لابن سعد (٢/ ٦٥ - ٦٧).

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٤/ ٣٧٨)، والواحدي في التفسير البسيط (١٨/ ١٨٤).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٩) قال: «لنصر عن أبيه عن أبي عمرو، قال ابن مجاهد: وهو غلط»، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٣٧٢) قال: «وروي عن أبي عمرو: «لم يروها» بالياء من تحت، قال أبو حاتم: قراءة العامة «لم تروها» بالتاء من فوق»، وفي البحر المحيط (٨/ ٤٥٧) قال: «وقرأ أبو عمرو في رواية، وأبو بكرة في رواية: «لم يروها»، بياء الغيبة وباقي السبعة، والجمهور: بتاء الخطاب»، وفي الكامل (ص:٦١٩) نسبها للزَّعْفَرَانِي، وحماد بن شعيب عن أبي بكر، وابن نصر عن أَبِي عَمْرٍو.

(٤) انظر: السبعة (ص:٥١٩)، والمبسوط (ص:٣٥٥)، والتحصيل (٥/ ٢٨٢)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٧٢).

قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾[الأحزاب: ١٠-١٢].

قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ أي: من فوق الوادي ومن أسفله.

﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي: مالت وعدلت فلم تنظر إلى شيء إلا إلى عدوها مقبلاً من كل جانب.

﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾ وهي جمع حنجرةٍ، والحنجرة جوف الحلقوم.

قال قتادة: شخصت عن مكانها، فلولا أنَّه ضاق الحلقومُ عنها أن تخرجَ لخرجَتْ[1].

وقال غيره: المعنى: أنَّهم جبُنوا وجزعَ أكثرُهم، وسبيل الجبان إذا اشتدَّ خوفه أن تنتفخَ رئتهُ، فيرتفعُ حينئذٍ القلبُ إلى الحنجرة، وهذا المعنى مرويٌّ عن ابن عبَّاسٍ والفرَّاء[2].

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٣٢٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥٧٦) أيضًا: لابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٣٦).

وذهب ابن قتيبة إلى أنَّ المعنى: كادت القلوب تبلغ الحلوقَ من الخوف[1].

وقال ابن الأنباري: «كاد» لا يُضْمَرُ، ولا يُعْرَف معناه إذا لم يُنْطَقْ به[2].

قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾.

قال الحسن: اختلفت ظنونهم، فظن المنافقون أن محمدًا وأصحابه يُستأصَلُونَ، وظنَّ المؤمنون أنَّه يُنصَرُ.

قرأ ابن كثير، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾ و﴿ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٦] و﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧] بألِفٍ إذا وقفوا عليهنَّ، وبطرحها في الوصل.

وقال هبيرة عن حفصٍ عن عاصمٍ: وَصْلٌ أو وقْفٌ بألِفٍ.

وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: بالألف فيهنَّ وصلًا ووقفًا.

وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي: بغير ألف في وصلٍ ولا وقفَ[3].

قال الزجاج: والذي عليه حُذَّاق النحويين والمُتَّبِعون السُّنَّة من قرَّائهم أن يقرؤوا: ﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾ ويقفونَ على الألف ولا يَصِلُون، وإنَّما فعلوا ذلك لأنَّ أواخرَ الآيات عندَهم فواصلُ يُثبِتُون في آخرها الألفَ في الوقف[4].

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٣٤٨).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٨/ ١٨٧).

(٣) انظر: السبعة (ص:٥١٩ - ٥٢٠)، والحجة (٥/ ٤٦٨- ٤٦٩)، والمبسوط (ص:٣٥٦)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٧٣)، والتحصيل (٥/ ٢٨٣).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢١٨).

قوله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ﴾ أي: عند ذلك.

﴿ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: اختُبِروا بالقتال والحصرِ؛ ليتبيَّن المُخلِص من المنافق.

﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾ أي أُزعِجوا وحُرِّكوا بالخوف، فلم يُوجَدُوا إِلَّا صابرين.

وقال الفرَّاء: حُرِّكوا إلى الفتنة تحريكًا، فعُصموا[1].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أنَّه الشِّرْكُ، قاله الحسن.

والثاني: النفاق، قاله قتادة.

﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾.

قال المفسرون: قالوا يومئذٍ: إنَّ محمدًا يَعِدنا أن نفتَح مدائن كسرى وقيصر، وأحدُنا لا يستطيع أن يجاوزَ رحلَه، هذا والله الغرور. [٦٤٠/ب]

وزعم ابن السائب أن قائل هذا مُعتِّب بن قُشَيرٍ[2].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٣٦).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٧٧، ٤٧٨)، والكشف والبيان؛ للثعلبي (٨/ ١٩)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (١٨/ ١٩٤).

وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾[الأحزاب: ١٣-١٧].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾ يعني من المنافقين.

وفي القائلين لهذا منهم قولان:

أحدهما: عبد الله بن أُبَيٍّ وأصحابه، قاله السدي.

والثاني: بنو سالم من المنافقين، قاله مقاتل[١].

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ﴾.

قال أبو عبيدة: يثرب: اسم أرضٍ، ومدينةُ النبيِّ ﷺ في ناحية منها[٢].

قوله تعالى: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾.

وقرأ حفص عن عاصم: ﴿لَا مُقَامَ﴾ بضم الميم[٣].

قال الزجاج: من ضم الميم فالمعنى: لا إقامة لكم، ومن فتحها فالمعنى:

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٧٨).

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٣٤).

(٣) انظر: السبعة (ص:٥٢٠)، والحجة (٥/ ٤٧١)، والمبسوط (ص:٣٥٦)، والتيسير (ص:١٧٨)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٧٣)، والتحصيل (٥/ ٢٨٣).



لا مكان لكم تقيمون فيه، وهؤلاء كانوا يثبطون المؤمنين عن النبي ﷺ[١].

قوله تعالى: ﴿فَٱرْجِعُوا۟﴾ أي إلى المدينة، وذلك أن رسول الله ﷺ، خرج بالمسلمين حتى عسكروا بـ«سلع» وجعلوا الخندق بينهم وبين القوم فقال المنافقون: للناس: ليس لكم هاهنا مُقامَ لكثرة العدوِّ، وهذا قول الجمهور.

وحكى الماوردي قولين آخرين[٢].

أحدهما: لا مُقامَ لكم على دين محمد، فارجعوا إلى دين مشركي العرب، قاله الحسن.

والثاني: لا مُقامَ لكم على القتال، فارجعوا إلى طلب الأمان، قاله الكلبيُّ[٣].

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أنهم بنو حارثة، قاله ابن عباس.

وقال مجاهد: بنو حارثة بن الحارث بن الخزرج[٤].

وقال السدي: إنما استأذنه رجلان من بني حارثة[٥].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢١٩).

(٢) انظر: النكت والعيون (٤/ ٣٨٢).

(٣) انظر: النكت والعيون (٤/ ٣٨٢).

(٤) لم نقف عليه من كلام مجاهد، وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥٧٩) وعزاه لابن عباس، وجابر بن عبد الله.

(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٤/ ٣٨٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥٧٩) لابن أبي حاتم.

والثاني: بنو حارثة وبنو سلمة بن جشم، قاله مقاتل[١].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾.

قال ابن قتيبة: أي: خاليةٌ، فقد أمْكَن من أراد دخولَها، وأصل العَوْرة: ما ذهب عنه الستر والحفظ، فكأن الرجال سِتْرٌ وحفظٌ للبيوت، فإذا ذهبوا أَعْوَرتِ البيوتُ، تقول العرب: أَعْوَرَ منزلي: إذا ذهب سِتْرُه، أو سقطَ جدارُه، وأعْوَرَ الفارسُ، إذا بان منه موضع خللٍ للضرب والطعن[٢].

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ لأنَّ الله يحفظها، ولكن يريدون الفرار.

وقال الحسن ومجاهد: قالوا بيوتنا ضائعةٌ نخشى عليها السُّرَّاق[٣].

وقال قتادة: قالوا بيوتنا ممَّا يلي العدوَّ، ولا نأمن على أهلنا، فكذَّبهم الله، وأعلمَ أنَّ قصدَهم الفرار[٤].

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ يعني المدينة، والأقطار النواحي والجوانب، واحدها قُطْرٌ.

﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾.

وقرأ علي بن أبي طالب ﷺ، والضحاك، والزهري، وأبو عمران،

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٧٩).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٣٤٨-٣٤٩).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٤٤) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٦٢)، والبسيط (١٨/ ١٩٧) وعزاه لمقاتل، ومجاهد، والحسن.

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٣٢٥)، والطبري في تفسيره (١٩/ ٤٤) عن قتادة به.

وأبـو جعفـر، وشـيبة: «ثـم سُـيِلوا» برفـع السـين وكـسر اليـاء مـن غـير همـز[١].

وقـرأ أُبَيُّ بـن كعـب، ومجاهـد وأبـو الجـوزاء: «ثـم سُـوئِلوا» برفـع السـين ومـدِّ الـواو بهمـزةٍ مكسـورةٍ بعدهـا[٢].

وقـرأ الحسـن، وأبـو الأشـهب: «ثـم سُـوْلوا» برفع السـين وسـكون الواو مـن غير مـدٍّ ولا همـز[٣].

وقـرأ الأعمـش، وعاصـم الجحـدري: «ثـم سِـيْلوا» بكـسر السـين سـاكنة اليـاء مـن غـير همـز ولا واو[٤].

ومعنى: ﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ﴾ أي: سئلوا فعلها، والفتنة: الشرك.

﴿لَأَتَوْهَا﴾ قـرأ ابـن كثـير، ونافـع، وابـن عامـر: «لأَتَوْهـا» بالقـصر، أي: لقصدوهـا، ولفعلوهـا.

وقـرأ عاصـم، وأبـو عمـرو، وحمـزة، والكسـائيّ: ﴿لَآتَوْهَا﴾ أي بالمـدِّ، لأعطَوهـا[٥]. [٦٤١/أ]

(١) في الكامل في القراءات (ص:٣٩٨) عزاها لعمرو بن عبيد عن الحسن.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٠)، والبحر المحيط (٨/ ٤٦١) كلاهما عزاها لمجاهد.

(٣) في مختـصر ابـن خالويـه (ص:١١٩-١٢٠)، والمحتسـب (٢/ ١٧٧)، وفي المحـرر الوجيـز (٤/ ٣٧٤)، وفي البحـر المحيـط (٨/ ٤٦١) كلهـم عزوهـا للحسـن البـصري.

(٤) في مختـصر ابـن خالويـه (ص: ١١٩)، وفي البحـر المحيـط (٨/ ٤٦١) كلاهمـا نسـبها لعبـد الـوارث عـن أبي عمـرو والأعمـش.

(٥) انظـر: السـبعة (ص:٥٢٠)، والحجـة (٥/ ٤٧١-٤٧٢)، والمبسـوط (ص:٣٥٦)، والتيسـير (ص:١٧٨)، والمحـرر الوجيـز (٤/ ٣٧٤)، والتحصيـل (٥/ ٢٨٣).

قال ابن عباس في معنى الآية: لو أن الأحزابَ دخلوا المدينة، ثم أمروهم بالشرك لأشركوا[١].

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾.

فيه قولان:

أحدهما: وما احتبسوا عن الإجابة إلى الكفر إلَّا قليلاً، قاله قتادة.

والثاني: وما تلبَّثوا بالمدينة بعد الإجابة إلَّا يسيرًا حتى يُعذَّبوا، قاله السدي.

وحكى أبو سليمان الدمشقي في الآية قولاً عجيبًا، وهو أنَّ الفتنة هاهنا الحرب، والمعنى: ولو دُخِلَتِ المدينةُ على أهلها من أقطارها ثم سُئِلَ هؤلاء المنافقون الحربَ لأتوها مبادرين، وما تلبَّثوا - يعني الجيوش الداخلة عليهم - بها إلَّا قليلاً حتى يخرجوهم منها، وإنَّما منعهم من القتال معك ما قد تَداخلَهم من الشكِّ في دينك. قال: وهذا المعنى حفظتُهُ من كتاب الواقدي.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾.

في وقت معاهدتهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم ناس غابوا عن وقعة بدر، فلمَّا علموا ما أعطى الله أهلَ بدرٍ من الكرامة، قالوا: لئن شهدنا قتالاً لنقاتلنَّ، قاله قتادة.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٦٢)، والتفسير البسيط (١٨/ ١٩٩).



والثاني: أنهم أهل العقبة، وهم سبعون رجلاً بايعوا رسول الله ﷺ على طاعة الله ونصرة رسوله، قاله مقاتل[1].

والثالث: أنه لما نزل بالمسلمين يومَ أُحُدٍ ما نزل، عاهد الله معتب بن قشير، وثعلبة بن حاطب لا نُوَلِّي دبُرًا قطُّ، فلمَّا كان يومُ الأحزاب نافقا، قاله الواقدي، واختاره أبو سليمان الدمشقي، وهو أليق ممَّا قبلَهُ، وإذا جاز الكلام في حقِّ المنافقين، فكيف يُطلَقُ القول على أهل العقبة كلِّهم؟

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ أي: يُسألون عنه في الآخرة.

ثم أخبر أنَّ الفرار لا يزيدُ في آجالهم، فقال: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ﴾ بعد الفرار في الدنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ وهو باقي آجالكم.

ثم أخبر أن ما قدَّره عليهم لا يُدفَعُ بقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: يجيركم ويمنعكم منه.

﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا﴾ وهو الإهلاك والهزيمة والبلاء.

﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ وهي النصر والعافية والسلامة.

﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ أي: لا يجدون مواليًا ولا ناصرًا يمنعهم من مراد الله فيهم.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٧٩).

قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾[الأحزاب: ١٨-٢٢].

قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن رجلاً انصرف من عند رسول الله ﷺ يوم الأحزاب، فوجد أخاه لأمه وأبيه وعنده شواءٌ ونبيذٌ، فقال له: أنتَ هاهنا ورسولُ الله بين الرِّماح والسيوف؟! فقال: هلمَّ إليَّ، لقد أُحيطَ بك وبصاحبك، والذي يُحلَفُ به لا يستقبلُها محمَّدٌ أبداً. فقال له: كذبْتَ، والذي يُحلَفُ به، أما والله لأُخبِرَنَّ رسولَ الله ﷺ بأمرك، فذهب إلى رسول الله ﷺ ليخبرَه، فوجده قد نزل جبريلُ بهذه الآية إلى قوله تعالى: ﴿يَسِيرًا﴾، هذا قول ابن زيد(١).

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٥١) من رواية ابن وهب، عن ابن زيد به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥٨٠) لابن أبي حاتم.

والثـاني: أنَّ عبـد الله بـن أُبيٍّ ومعتـب بـن قشـير والمنافقـين الذيـن رجعـوا من الخنـدق إلى المدينـة، كانـوا إذا جاءهـم منافـق قالـوا لـه: ويحك اجلـس فـلا [٦٤١/ب] تخْرُجْ، ويكتُبـون بذلـك إلى إخوانهـم الذيـن في العسـكر أن ائتونـا بالمدينـة فإنَّـا ننتظركـم- يثبِّطونهـم عـن القتـال، وكانـوا لا يأتـون العسـكرَ إلاَّ أن لا يجـدوا بُـدًّا، فيأتـون لـيرى النـاسُ وجوههـم، فـإذا غُفِـلَ عنهـم عـادوا إلى المدينـة، فنزلـت هـذه الآيـة، قالـه ابـن السـائب[1].

والمعـوِّق: المثبِّـط تقـول: عاقنـي فـلان، واعتاقنـي، وعوَّقنـي: إذا منعـك عـن الوجـه الـذي تريـده.

وكان المنافقون يعوِّقون عن رسول الله ﷺ نُصَّارَهُ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾.

فيهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه المنافق الذي قال لأخيه ما ذكرناه في قول ابن زيد.

والثاني: أنَّهم اليهود دَعَوْا إخوانهم من المنافقين إلى ترك القتال، قاله مقاتل[2].

والثالـث: أنهـم المنافقـون، دعَـوُا المسـلمين إليهـم عـن رسـول الله ﷺ، حـكاه المـاوردي[3].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ﴾ أي لا يحضرون القتال في سبيل الله.

---

(١) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٨/ ٤٦٣).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٨١).

(٣) انظر: النكت والعيون (٤/ ٣٨٤).

﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ للرياء والسمعة من غير احتساب، ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرًا.

قوله تعالى: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾.

قال الزجاج: هو منصوب على الحال، المعنى: لا يأتون الحرب إلا تعذيرًا بُخَلاءَ عليكم(١).

وللمفسرين فيما شَحُّوا به أربعة أقوال:

أحدها: أَشِحَّةً بالخير، قاله مجاهد.

والثاني: بالنفقة في سبيل الله.

والثالث: بالغنيمة، رُوِيا عن قتادة.

وقال الزجاج: بالظفر والغنيمة(٢).

والرابع: بالقتال معكم، حكاه الماوردي(٣).

ثم أخبر عن جُبنِهم فقال: ﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ ﴾ أي: إذا حضر القتال.

﴿ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ ﴾ أي: كدوران عين الذي يُغشى عليه ﴿ مِنَ الْمَوْتِ ﴾، وهو الذي دنا موته، وغَشِيَتْهُ أسبابه، فإنه يخاف ويذهل عقلُه، ويَشخصُ بصرُه، فلا يَطرَفُ، فكذلك هؤلاء؛ لأنَّهم يخافون القتل.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٢٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٢١).

(٣) انظر: النكت والعيون (٤/ ٣٨٥).

﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم﴾.

قال الفراء: يقول آذَوْكم بالكلام في الأمن ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ سليطةٍ ذَرِبةٍ، والعرب تقول: صَلَقوكم، بالصاد، ولا يجوز في القراءة[1].

هذا قول الفرَّاء.

وقد قرأ بالصاد أُبَيُّ بن كعب، وأبو الجوزاء، وأبو عمرانَ الجونيُّ، وابن أبي عبلةَ في آخرين[2].

وقال الزجاج: معنى: ﴿سَلَقُوكُم﴾: خاطبوكم أشدَّ مخاطبةٍ وأبلغَها في الغنيمة، يقال: خطيبٌ مِسلاقٌ، إذا كان بليغًا في خطبته[3].

﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ أي: خاطبوكم وهم أشحَّةٌ على المال والغنيمة.

قال قتادة: إذا كان وقتُ قسمة الغنيمة بسطوا ألسنتهم فيكم، يقولون: أعطونا فلستم أحقَّ بها منا، فأما عند البأس فأجبَنُ قومٍ وأخذلُه للحقِّ، وأمَّا عند الغنيمة فأشحُّ قومٍ[4].

وفي المراد بالخير هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه الغنيمة.

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٣٩).

(٢) في الكامل (ص:٦١٩)، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٣٧٦)، وفي البحر المحيط (٨/ ٤٦٤) ثلاثتهم عزوها لابن أبي عبلة.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٢١).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٥٤) من رواية سعيد، عن قتادة به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥٨١) لابن أبي حاتم.

والثاني: على المال أن ينفقوه في سبيل الله تعالى.

والثالث: على رسول الله ﷺ بظفره.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ﴾ أي: هم وإن أظهروا الإيمانَ فليسوا بمؤمنين؛ لنفاقهم.

﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

قال مقاتل: أبطل جهادهم لأنَّه لم يكن في إيمان، ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ الإحباطُ ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾[1]. [٦٤٢/أ]

ثم أخبر عنهم بما يدلُّ على جبنهم، فقال: ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ﴾ أي: يحسب المنافقون من شدَّةِ خوفهم وجُبنِهم، أنَّ الأحزابَ بعد انهزامهم وذهابهم لم يذهبوا.

﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ﴾ أي: يرجعوا إليهم كرَّةً ثانيةً للقتال.

﴿يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ﴾ أي: يتمنَّوا لو كانوا في بادية الأعراب من خوفهم.

﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾ أي: ودوا لو أنَّهم بالبعد منكم يسألون عن أخباركم، فيقولون: ما فعل محمد وأصحابه؟ ليعرفوا حالكم بالاستخبار لا بالمشاهدة فرَقًا وجُبنًا، وقيل: بل يسألون شماتةً بالمسلمين وفرحًا بنكباتهم.

﴿وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم﴾ أي: لو كانوا يشهدون القتال معكم.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٨٢).

﴿مَا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ فيه قولان:

أحدهما: إلَّا رميًا بالحجارة، قاله ابن السائب.

والثاني: إلَّا رياءً من غير احتسابٍ، قاله مقاتل[١].

ثم عابَ من تخلَّفَ بالمدينة بقوله: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ أي: قدوةٌ صالحةٌ، والمعنى: لقد كان لكم به اقتداءً لو اقتديتم به في الصبر معه كما صبر يوم أُحدٍ حين كُسِرَتْ رباعيَّتُه وشُجَّ جبينُه، وقُتِلَ عمُّه، وآساكم مع ذلك بنفسه.

وقرأ عاصم: ﴿أُسۡوَةٌ﴾ بضمِّ الألف، والباقون بكسر الألف، وهما لغتان[٢].

قال الفرَّاء: أهل الحجاز وأسد يقولون: «إِسْوَةٌ» بالكسر، وتميم وبعض قيس يقولون «أُسْوَةٌ» بالضم[٣].

وخصَّ الله تعالى بهذه الأسوة المؤمنين، فقال: ﴿لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ والمعنى أنَّ الأسوةَ برسول الله إنَّما كانت لمن كان يرجو الله واليوم الآخر.

وفيه قولان:

أحدهما: يرجو ما عنده من الثواب والنعيم، قاله ابن عباس.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٨٣)

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٢٠)، والحجة (٥/ ٤٧٢)، والمبسوط (ص:٣٥٧)، والتيسير (ص:١٧٨)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٧٧)، والتحصيل (٥/ ٢٨٤).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٣٩).

والثاني: يخشى الله ويخشى البعث، قاله مقاتل[1].

قوله تعالى: ﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي: ذكرًا كثيرًا، لأنَّ ذاكر الله متَّبعٌ لأوامره، بخلاف الغافل عنه.

ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب فقال: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾.

وفي ذلك الوعد قولان:

أحدهما: أنه قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾ الآية [البقرة: ٢١٤]، فلما عاينوا البلاءَ يومئذ قالوا: هذا ما وعدَنا اللهُ ورسوله، قاله ابن عباس، وقتادة في آخرين[2].

والثاني: أن رسول الله ﷺ وعدهم النصرَ والظهور على مدائن كسرى وقصور الحيرة، ذكره الماورديُّ[3] وغيره.

قوله تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ يعني ما رأوه ﴿إِلَّآ إِيمَٰنًا﴾ بوعد الله ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ لأمره.

قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٨٣).

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٤/ ٣٨٩).

(٣) انظر: النكت والعيون (٤/ ٣٨٩).

بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾[الأحزاب: ٢٣-٢٧].

قوله: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ﴾

اختلفوا فيمن نزلت على قولين:

أحدهما: أنها نزلت في أنس بن النضر، قاله أنس بن مالك.

وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك قال: غاب عمِّي أنسُ بن النضر عن قتال بدر، فلما قَدِمَ قال: غِبتُ عن أول قتالٍ قاتله رسول الله ﷺ المشركين، لئن أشهدَني الله ﷻ قتالاً ليَرَيَنَّ اللهُ ما أصنع، فلما كان يومُ أُحدٍ انكشفَ الناس، فقال: اللهمَّ إنِّي أبرأُ إليك ممَّا جاء به هؤلاء، يعني: المشركين، وأعتذرُ إليك ممَّا صنعَ هؤلاء، يعني: المسلمين، ثم مشى بسيفه، [٦٤٢/ب] فلقيه سعد بن معاذٍ، فقال: أي سعدُ والذي نفسي بيده إنِّي لأجدُ ريحَ الجنَّة دون أُحُدٍ، واهًا لريح الجنة. قال سعد: فما استطعتُ يا رسول الله ما صنع. قال أنس: فوجدناه بين القتلى، به بِضعٌ وثمانون جراحةً من ضربةٍ بسيفٍ، وطعنةٍ برُمحٍ، ورميةٍ بسهمٍ، قد مثَّلوا به. قال: فما عرفناه، حتى عرفَتْهُ أختهُ ببنانه، قال أنس: فكنا نقول: أنزلت هذه ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ﴾ فيه وفي أصحابه(١).

(١) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه (٢٨٠٥،٤٧٨٣)، ومسلم في صحيحه (١٩٠٣)، والطبري في تفسيره (١٩/ ٦٥)، والواحدي في أسباب النزول (ص:٣٥٢-٣٥٣)=

والثاني: أنها نزلت في طلحة بن عبيد الله، روى النزال بن سبرة عن علي عليه السلام أنهم قالوا له: حدِّثْنا عن طلحة، قال: ذاك امرؤٌ نزلت فيه آيةٌ من كتاب الله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ لا حساب عليه فيما يستقبل[1].

وقد جعل بعضُ المفسرين هذا القدرَ من الآية في طلحة، وأوَّلَها في أنس.

قال ابن جرير[2]: ومعنى الآية: وفَّوا لله بما عاهدوه عليه.

وفي ذلك أربعة أقوال:

أحدها: أنهم عاهدوا ليلة العقبة على الإسلام والنصرة.

والثاني: أنهم قوم لم يشهدوا بدرًا، فعاهدوا الله أن لا يتأخَّروا بعدها.

والثالث: أنهم عاهدوا أن لا يَفِرُّوا إذا لاقوا فصدقوا.

والرابع: أنهم عاهدوا على البأساء والضرَّاء وحين البأس.

قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: فمنهم من مات ومنهم من ينتظر الموت، قاله ابن عباس.

والثاني: فمنهم من قضى عهدَهُ قُتِلَ أو عاش، ومنهم من ينتظر أن يقضيُه بقتالٍ أو صِدْقِ لقاءٍ، قاله مجاهد.

=وغيرهم، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٥٤) من رواية النزال بن سبرة، عن علي رضي الله عنه.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٦٢).



والثالث: فمنهم من قضى نذره الذي كان نذر، قاله أبو عبيدة[١].

فيكون النحب على القول الأول: الأجل، وعلى الثاني: العهد، وعلى الثالث: النذر.

وقال ابن قتيبة: قضى نحبه. أي: قتل، وأصل النحب النذر، كأنَّ قومًا نذورا أنهم إن لقُوا العدوَّ قاتلوا حتَّى يُقتَلُوا، أو يفتحَ الله عليهم، فقُتِلُوا، فقيل: فلانٌ قضى نحبَهُ أي: قُتِلَ، فاستُعيرَ النَّحبُ مكانَ الأجل، لأنَّ الأجلَ وقع بالنحب، وكان النَّحْبُ سببًا له، ومنه قيل: للعطية «مَنٌّ» لأنَّ من أعطى فقد مَنَّ[٢].

قال ابن عباس: ممَّن قضى نحبه: حمزة بن عبد المطلب، وأنس بن النضر وأصحابه[٣].

وقال ابن إسحاق: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ من استشهد يومَ بدرٍ وأُحدٍ، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ ما وعد الله من نصره أو الشهادة على ما مضى عليه أصحابه، ﴿وَمَا بَدَّلُواْ﴾ أي: ما غيَّروا العهد الذي عاهدوا ربَّهم عليه، كما غيَّر المنافقون.

قوله تعالى: ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ وهم المؤمنون الذين صدقوا فيما عاهدوا اللهَّ تعالى عليه.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٣٥).

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص:١١٧)، وغريب القرآن (ص:٣٤٩).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٦٥).

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ بنقض العهد ﴿إِن شَآءَ﴾ وهو أن يُميتَهم على نفاقهم.

﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ في الدنيا فيُخرِجَهم من النفاق إلى الإيمان، فيَغفِرَ لهم.

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني: الأحزابَ، صدَّهُمْ ومنعَهم عن الظفر بالمسلمين.

﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ أي: لم يَشفِ صدورَهم بنيل ما أرادوا.

﴿لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا﴾ أي: لم يظفروا بالمسلمين، وكان ذلك عندهم خيرًا، [٦٤٣/أ] فخوطبوا على استعمالهم.

﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ بالريح والملائكة.

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ أي: عاونوا الأحزابَ، وهم بنو قريظة، وذلك أنَّهم نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد، وصاروا مع المشركين يدًا واحدة.



وهذه الإشارة إلى قصتهم

ذكر أهل العلم بالسيرة أنَّ رسول الله ﷺ لما انصرف من الخندق، وضع عنه اللَّأْمة واغتسل، فتبدَّى له جبريل فقال: ألا أراك وضعت اللَّأمة، وما وضعت الملائكة سلاحَها منذ أربعين ليلةً؟ إن الله يأمرُكَ أن تسيرَ إلى بني قريظة، فإنِّي عامدٌ إليهم فمُزلزِلٌ بهم حصونَهم.

فدعا عليًّا فدفع لواءه إليه، وبعث بلالاً فنادى في الناس: إنَّ رسول الله ﷺ يأمركم أن لا تصلُّوا العصر إلَّا ببني قريظة، ثمَّ سار إليهم فحاصرهم خمسة عشر يومًا أشدَّ الحصار، وقيل عشرين ليلة، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ: أرسل إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر، فأرسلَهُ إليهم، فشاوروه في أمرهم، فأشار إليهم بيده: إنَّه الذبح، ثم ندم فقال: خُنْتُ الله ورسوله، فانصرف، فارتبط في المسجد حتَّى أنزل الله توبته، ثم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأمر بهم رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة، فكُتِّفُوا، ونُحُّوا ناحيةً، وجُعِلَ النساء والذُّرِّية ناحيةً، وكلَّمت الأوسُ رسول الله ﷺ أن يَهَبَهم لهم، وكانوا حلفاءَهم، فجعل رسولُ الله ﷺ الحُكْمَ فيهم إلى سعد بن معاذٍ، هكذا ذكر محمد بن سعدٍ[1].

وحكى غيره: أنَّهم نزلوا أولاً على حكم سعد بن معاذ، وكان بينهم وبين قومه حلف فَرَجَواْ أن تأخذه فيهم هوادةٌ، فحكم فيهم أن يُقتَلَ كلُّ مَنْ جَرَت عليه المَوَاسي، وتُسبَى النساء والذراري، وتُقسمَ الأموال.

(١) انظر: الطبقات الكبرى (٢/ ٧٤).

فقال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ حَكَمْتَ بِحُكْمِ اللهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ»[١]، وانصرفَ رسول الله ﷺ وأمر بهم، فأُدخِلُوا المدينةَ، وحُفِرَ لهم أخدودٌ في السوق، وجلس رسول الله ﷺ ومعه أصحابه، وأُخرِجُوا إليه، فضُرِبَتْ أعناقهم، وكانوا ما بين الستمائة إلى السبعمائة.

قوله تعالى: ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾.

قال ابن عباس وقتادة: من حصونهم[٢].

قال ابن قتيبة: وأصل الصياصي قرون البقر، لأنَّها تمتَّنعُ بها وتدفع عن أنفسها، فقيل: للحصون: الصياصي، لأنها تمنع[٣].

وقال الزجاج: كل قَرنٍ صِيصِيَةٌ، وصيصية الديك شوكةٌ يتحصَّنُ بها[٤].

قوله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ أي: ألقى فيها الخوف.

﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ وهم المقاتلة، ﴿وَتَأْسِرُونَ﴾ وقرأ ابن يعمر، وابن أبي عبلة: «وَتَأْسُرُونَ» برفع السين[٥].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣٠٤٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بلفظ: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ المَلِكِ».
وأما اللفظ الذي أورده المصنف فقد أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٢/ ٢٤٠) من رواية علقمة بن وقاص الليثي عن سعد بن معاذ رضي الله عنه، وهو حديث مرسل.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٦٦).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٣٤٩).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٢٣).

(٥) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٠)، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٣٨٠) كلاهما نسبها لأبي حيوة، في الكامل (ص:٦٢٠) نسبها لأبي حيوة، وابن أبي عبلة.

﴿فَرِيقًا﴾ وهم النساء والذراري.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ﴾ يعني عقارهم ونخيلهم ومنازلهم.

﴿وَأَمْوَٰلَهُمْ﴾ من الذهب والفضة والحلي والعبيد والإماء.

[٦٤٣/ب] ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ أي: لم تطؤوها بأقدامكم بعدُ، وهي مما سنفتحها عليكم.

وفيها أربعة أقوال:

أحدها: أنها فارس والروم، قاله الحسن.

والثاني: ما ظهر عليه المسلمون إلى يوم القيامة، قاله عكرمة.

والثالث: مكة، قاله قتادة.

والرابع: خيبر، قاله ابن زيد، وابن السائب، وابن إسحاق، ومقاتل(١).

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٨٥).

ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢٨-٣٤].

قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ ﴾ الآية.

ذكر أهل التفسير أن أزواج النبي ﷺ سألنه شيئًا من عرض الدنيا، وطلبن منه زيادة النفقة، وآذينَهُ بغيرة بعضهنَّ على بعضٍ، فآلى رسول الله ﷺ منهنَّ شهرًا، وصعد إلى غرفةٍ له فمكثَ فيها، فنزلت هذه الآية، وكُنَّ أزواجُهُ يومئذٍ تسعًا: عائشةَ، وحفصةَ، وأمَّ حبيبةَ، وسَودةَ، وأمَّ سلمةٍ، وصفيَّةَ الخيبريَّةَ، وميمونةَ الهلاليَّة، وزينبَ بنتَ جحشٍ، وجويريةَ بنتَ الحارث، فنزل رسول الله ﷺ فعرض الآية عليهنَّ، فبدأ بعائشةَ فاختارَتِ الله ورسوله، ثم قالت: يا رسول الله لا تُخبِرْ أزواجكَ أنِّي اخترتُكَ، فقال: «**إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي مُبَلِّغًا وَلَمْ يَبْعَثْنِي مُتَعَنِّتًا**»[1]، وقد ذكرت حديث التخيير[2] في كتاب «الحدائق»، وفي «المغني» بطوله.

وفي ما خيَّرَهُنَّ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه خيَّرهنَّ بين الطلاق والمقام معه، هذا قول عائشة ڤ.

---

(١) رواه الترمذي في سننه بهذا اللفظ (٣٣١٨) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما به.

قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب، قد روي من غير وجه عن ابن عباس».

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤٧٨٦)، ومسلم في صحيحه (١٤٧٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

والثـاني: أنَّـه خيَّرهُـنَّ بـين اختيـار الدنيـا فيفارقهـنَّ، أو اختيـار الآخـرة فيمسـكهنَّ، ولم يخيِّرهُـنَّ في الطـلاق، قالـه الحسـن وقتـادة.

وفي سبب تخييره إيَّاهُنَّ ثلاثةُ أقوال:

أحدها: أنَّهُنَّ سألنَهُ زيادةَ النفقة.

والثاني: أنَّهُنَّ آذينَهُ بالغيرة، والقولان مشهوران في التفسير.

والثالـث: أنَّـه لمـا خُـيِّرَ بـين ملـك الدنيـا ونعيـم الآخـرة فاختـار الآخـرة، أمـر بتخيـير نسـائه ليكـن عـلى مثـل حالـه، حـكاه أبـو القاسـم الصيمـريُّ.

والمـراد بقولـه: ﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾ متعـةُ الطـلاق، والمـراد بالـسراح: الطـلاق، وقـد ذكرنـا ذلـك في البقـرة[1]، والمـراد بالـدار الآخـرة: الجنَّـة، والمُحسِـنَاتُ: المؤثِـرَاتُ للآخـرة.

قال المفسِّرون: فلمَّا اخترنَهُ، أثابهنَّ الله ﷻ ثلاثةَ أشياء:

أحدها: التفضيل على سائر النساء بقوله: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾.

والثاني: أن جعلَهنَّ أمَّهات المؤمنين.

والثالـث: أن حظـر عليـه طلاقَهُـنَّ والاسـتبدالَ بهـنَّ بقولـه: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ [الأحـزاب: ٥٢].

وهـل أبيـح لـه بعـد ذلـك التزويـج عليهـن؟ فيـه قـولان سـيأتي ذكرهمـا إن شـاء الله تعـالى.

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٣١).

قوله تعالى: ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ أي: بمعصيةٍ ظاهرة.

قال ابن عباس: يعني النشوز وسوء الخلق[1].

﴿يُضَاعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ أي: يجعل عذاب جرمها في الآخرة كعذاب جرمين، كما أنَّها تؤتى أجرَها على الطاعة مرَّتين، وإنَّما ضُوعِفَ عقابُهنَّ لأنَّهُنَّ يشاهدْنَ من الزواجر الرادعة ما لا يشاهدُ غيرُهُنَّ، فإذا لم يَمتَنِعنَ استحققْنَ تضعيفَ العذاب، ولأنَّ في معصيتهنَّ أذًى لرسول الله ﷺ، وجُرْمُ مَنْ آذى رسولَ الله ﷺ أكبرُ من جُرمِ غيره.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ أي: فكان عذابُها على الله [٦٤٤/أ] هيِّنًا.

﴿وَمَن يَقْنُتْ﴾ أي: تُطِعْ.

﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ قد سبق بيانُه[2].

والرزق الكريم: الحَسَنُ، وهو الجنَّة.

ثم أظهر فضيلتهُنَّ على النساء بقوله: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾.

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٤/ ٣٩٧)، والواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٦٨)، والتفسير البسيط (١٨/ ٢٢٨).

(٢) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (٣٧).

قال الزجَّاج: لم يقلْ: كواحدةٍ من النساء، لأنَّ (أحدًا) نفيٌ عامٌّ للمذكَّر والمؤنَّث والواحدِ والجماعة[١].

قال ابن عباس: يريد ليس قدْرُكُنَّ عندي مثل قدر غيرِكُنَّ من النساء الصالحات، أنتُنَّ أكرَمُ عليَّ، وثوابُكنَّ أعظم[٢].

﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ فشرطَ عليهنَّ التقوى بيانًا أنَّ فضيلتهُنَّ إنَّما تكون بالتقوى، لا بنفس اتِّصالِهنَّ برسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ أي: لا تَلِنَّ بالكلام.

﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ أي: فجور، والمعنى: لا تَقُلْنَ قولاً يَجِدُ به منافقٌ أو فاجرٌ سبيلاً إلى موافقتكُنَّ له، والمرأة مندوبةٌ إذا خاطبت الأجانبَ إلى الغِلظَةِ في المقالة؛ لأنَّ ذلك أبعَدُ من الطمع في الريبة.

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ أي: صحيحًا عفيفًا لا يُطمِعُ فاجرًا.

﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾:

قرأ نافع وعاصمٌ إلَّا أبان، وهبيرة والوليد بن مسلم، عن ابن عامر: ﴿وَقَرْنَ﴾ بفتح القاف.

وقرأ الباقون بكسرها[٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٢٤).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٦٩)، والتفسير البسيط (١٨/ ٢٣٢).

(٣) انظر: السبعة (ص:٥٢١-٥٢٢)، والحجة (٥/ ٤٧٤-٤٧٥)، والمبسوط (ص:٣٥٨)، والتيسير (ص:١٧٩)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٨٣)، والتحصيل (٥/ ٢٨٥).

قال الفراء: من قرأ بالفتح فهو مِنْ: قَرَرْتُ في المكان، فخُفِّفَتْ، كما قال: ﴿ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ [طه: ٩٧]، ومن قرأ بالكسر فمن الوقار، يقال: قِرْ في منزلك[١].

وقال ابن قتيبة: من قرأ بالكسر فهو من الوقار، يقال: وقر في منزله يقِر وقورًا، ومن قرأ بنصب القاف جعله من القرار[٢].

وقرأ أبيٌّ بن كعب، وأبو المتوكِّل: «واقْرَرْن» بإسكان القاف، وبراءين الأولى مفتوحةٌ، والثانية ساكنةٌ[٣].

وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبلة مثلَهُ، إلَّا أنَّهما كسرا الراء الأولى[٤].

قال المفسِّرون: ومعنى الآية الأمرُ لهنَّ بالتوقُّرِ والسكون في بيوتهنَّ، وأن لا يَخْرُجْنَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾.

قال أبو عبيدة: التبرُّجُ أن يُبرِزْنَ محاسنَهُنَّ[٥].

وقال الزجاج: التبرُّجُ إظهار الزينة وما يُستدعَى به شهوةُ الرجل[٦].

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٤٢).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ٣٥٠-٣٥١).

(٣) في الكشف والبيان (٨/ ٣٤) نسبها لابن أبي عبلة.

(٤) في المحرر الوجيز (٤/ ٣٨٣)، وفي البحر المحيط (٨/ ٤٧٧) كلاهما نسبها لابن أبي عبلة.

(٥) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٣٨).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٢٥).

وفي الجاهلية الأولى أربعة أقوال:

أحدها: أنها كانت بين إدريس ونوح، وكانت ألف سنة، رواه عكرمة عن ابن عباس.

والثاني: أنها كانت على عهد إبراهيم عليه السلام، وهو قول عائشة رضي الله عنها.

والثالث: بين نوحٍ وآدمَ، قاله الحكم.

والرابع: ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام، قاله الشعبي.

قال الزجاج: وإنما قيل الأولى؛ لأن كل متقدم أول، وكل متقدمة أولى، فتأويله: أنهم تقدموا أمة محمد ﷺ[1].

وفي صفة تبرج الجاهلية الأولى ستة أقوال:

أحدها: أن المرأة كانت تخرج فتمشي بين الرجال، فهو التبرُّج، قاله مجاهد.

والثاني: أنها مشية فيها تكسُّرٌ وتغنُّجٌ، قاله قتادة.

والثالث: أنه التبختر، قاله ابن أبي نجيح.

والرابع: أن المرأة منهنَّ كانت تتخذ الدرع من اللؤلؤ، فتلبسه ثم تمشي وسط الطريق، ليس عليها غيره، وذلك في زمن إبراهيم عليه السلام، قاله الكلبي.

[٦٤٤/ب] **والخامس**: أنها كانت تُلقي الخِمار عن رأسها ولا تشُدُّه، فيُرى قُرْطُها وقلائدُها، قاله مقاتل[2].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٢٥).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٨٨).

والسادس: أنها كانت تَلْبَسُ الثياب تبلغُ المال، لا تواري جسدها، حكاه الفراء[١].

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾.

وفيه للمفسرين خمسة أقوال:

أحدها: الشرك، قاله الحسن.

والثاني: الإثم، قاله السدي.

والثالث: الشيطان، قاله ابن زيد.

والرابع: الشكّ.

والخامس: المعاصي، حكاهما الماوردي[٢].

قال الزجاج: الرجس كلُّ مستقذَرٍ من مأكولٍ أو عملٍ أو فاحشة[٣].

ونصب ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ على وجهين:

أحدهما: على معنى: أعني أهل البيت.

والثاني: على النداء، فالمعنى: يا أهل البيت.

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٤٢-٣٤٣).

(٢) انظر: النكت والعيون (٤/ ٤٠١).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٢٦).

وفي المراد بأهل البيت هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم نساء رسول الله ﷺ، لأنهنَّ في بيته، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وابن السائب، ومقاتل[١].

ويؤكد هذا القول أن ما قبله وبعده متعلِّقٌ بأزواج رسول الله ﷺ، وعلى أرباب هذا القول اعتراضٌ، وهو أن جمع المؤنث بالنون، فكيف قيل: ﴿عَنكُمُ﴾، ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾؟ فالجواب أنَّ رسول الله ﷺ فيهنَّ فغُلِّبَ المذكَّر.

والثاني: أنَّه خاصٌّ في رسول الله ﷺ، وعليٍّ، وفاطمة، والحسن، والحسين، قاله أبو سعيد الخدري، وروي عن أنس، وعائشة، وأمِّ سلمةَ نحو ذلك.

والثالث: أنهم أهل رسول الله ﷺ وأزواجه، قاله الضحَّاك.

وحكى الزجاج: أنَّهم نساءُ رسول الله ﷺ، والرجال الذين هم آله، قال: واللغة تدلُّ على أنَّها للنساء والرجال جميعًا لقوله: «عنكم» بالميم، ولو كانت للنساء لم يجزْ إلَّا (عنكنَّ، ويطهِّركُنَّ)[٢].

قوله تعالى: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: من الشرك، قاله مجاهد.

والثاني: من السوء، قاله قتادة.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٨٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٢٦-٢٢٧).

والثالث: من الإثم، قاله السدي، ومقاتل[١].

قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْنَ ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أنه تذكيرٌ لهنَّ بالنعم.

والثاني: أَنَّه أمرٌ لهنَّ بحفظ ذلك.

فمعنى ﴿ وَٱذْكُرْنَ ﴾: واحفَظْن.

﴿مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعني القرآن.

وفي الحكمة قولان:

أحدهما: أنها السُّنَّة، قاله قتادة.

والثاني: الأمر والنهي، قاله مقاتل[٢].

قولــه تعــالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾ أي: ذا لُطـفٍ بكـنَّ، إذ جعلكُـنَّ في البيـوت التـي تُتـلَى فيهـا آياتـه.

﴿خَبِيرًا ﴾ بكُنَّ إذ اختاركُنَّ لرسوله.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٨٩).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٨٩).



قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٣٥].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾.

في سبب نزولها خمسة أقوال:

أحدها: أنَّ نساءَ رسول الله ﷺ قُلنَ: ما له ليس يُذكَرُ إلَّا المؤمنون، ولا تُذكَرُ المؤمنات بشيءٍ؟ فنزلت هذه الآية، رواه أبو ظبيان عن ابن عباس[١].

والثاني: أن أم سلمة قالت: يا رسول الله يُذْكَرُ الرجال ولا نُذْكَر! فنزلت هذه الآية، ونزل قوله: ﴿لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم﴾[آل عمران: ١٩٥] قاله مجاهد[٢].

والثالث: أن أم عمارة الأنصارية قالت: قلت: يا رسول الله بأبي وأمي، ما بال الرجال يُذكَرُون ولا تُذكَرُ النساء، فنزلت هذه الآية، قاله عكرمة[٣].

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ١١١) من رواية قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضًا (٦/ ٦٠٨) للطبراني، وابن مردويه.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٦/ ٦٦٤) و(١٩/ ١١٠) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضًا (٦/ ٦٠٨) للفريابي وابن سعد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) رواه الترمذي في سننه (٣٢١١)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٥/ ٣١) وغيرهم من رواية عكرمة، عن أم عمارة الأنصارية رضي الله عنها. قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب=

وذكر مقاتل بن سليمان: أن أم سلمة وأم عمارة قالتا ذلك، فنزلت [٦٤٥/أ] هذه الآية في قولهما[١].

والرابع: أنَّ الله تعالى لما ذكر أزواجَ رسوله ﷺ، دخل النساءُ المسلمات عليهنَّ، فقُلنَ: ذُكِرتُنَّ ولم نُذكَرْ، ولو كان فينا خيرٌ ذُكِرْنا، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة[٢].

والخامس: أنَّ أسماء بنتَ عُمَيسٍ، لـمَّا رجعَتْ من الحبشة دخلَتْ على نساء رسول الله ﷺ، فقالت: هل نزل فينا شيءٌ من القرآن؟ قلن: لا، فأتت رسولَ الله ﷺ، فقالت: يا رسولَ الله إِنَّ النساءَ لفي خَيْبةٍ وخسارٍ، قال: «وَمِمَّ ذَاكَ؟» ؟ قالت: لأنَّهنَّ لا يُذْكَرْنَ بخيرٍ كما يُذْكَرُ الرجال، فنزلت هذه الآية، ذكره مقاتل بن حيَّان[٣].

وقد سبق تفسير ألفاظ الآية في مواضع[٤].

=وإنما نعرف هذا الحديث من هذا الوجه». وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضًا (٦/ ٦٠٨) للفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن مردويه.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٨٩).

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٣٤٣)، والطبري في تفسيره (١٩/ ١٠٩) من رواية معمر، عن قتادة به.

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ٤٥)، والواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٧١)، وفي أسباب النزول (ص:٣٥٦).

(٤) انظر: سورة البقرة الآيات (٤٥، ١٠٩، ١٢٩، ١٨٤)، وسورة آل عمران الآيات (١٧، ١٩١)، وسورة الأنبياء الآية رقم (٩١)، وسورة الأحزاب الآية رقم (٣١).



قولــه تعــالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾[الأحزاب: ٣٦-٣٧].

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن رسولَ الله ﷺ انطلق يخطب زينب بنت جحشٍ لزيد بن حارثة، فقالت: لا أرضاه ولست بناكحته، فقال رسول الله ﷺ: «**بَلَى فَانْكِحِيهِ، فَإِنِّي قَدْ رَضِيتُهُ لَكِ**»، فأبَتْ، فنزلت هذه الآية[1].

وهذا المعنى مرويٌّ عن ابن عبَّاسٍ، ومجاهد، وقتادة، والجمهور.

وذكر بعضُ المفسِّرين: أن عبد الله بن جحشٍ أخا زينب كره ذلك كما كرهَتْهُ زينب، فلما نزلت الآية رضيا وسلَّما[2].

قال مقاتل: والمراد بالمؤمن: عبد الله بن جحش، والمؤمنة: زينب بنت جحش[3].

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٣٤٥)، والطبري في تفسيره (١٩/ ١١٣) من رواية معمر عن قتادة به. ورواه الطبري أيضًا (١٩/ ١١٢) من رواية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) انظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (٨/ ٤٦)، والنكت والعيون؛ للماوردي (٤/ ٤٠٤)، والتفسير الوسيط؛ للواحدي (٣/ ٤٧١)، والتفسير البسيط؛ له أيضًا (١٨/ ٢٤٩).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٩٠).

والثاني: أنها نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعَيطٍ، وكانت أوَّل امرأةٍ هاجرت، فوهبت نفسَها لرسول الله ﷺ فقال: «قَدْ قَبِلْتُكِ»، وزوَّجها زيدَ بن حارثة، فسَخِطَتْ هي وأخوها، وقالا: إنَّما أردنا رسولَ الله، فزوَّجها عبدَه؟! فنزلت هذه الآية، قاله ابن زيد[1].

والأول عند المفسرين أصحُّ.

قوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾ أي: حُكماً بذلك.

﴿أَن تَكُونَ﴾ وقرأ أهل الكوفة: ﴿أَن يَكُونَ﴾ بالياء[2].

﴿لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء: «الخِيْرَةُ» بإسكان الياء[3].

فجمع في الكناية في قوله تعالى: «لهم»؛ لأن المراد جميع المؤمنين والمؤمنات، و﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾: الاختيار، فأعلمَ اللهُ ﷻ أنَّه لا اختيارَ على ما قضاه الله ورسوله.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ١١٤) من رواية ابن وهب، عن ابن زيد به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦١٠) لابن أبي حاتم.

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٢٢)، والمبسوط (ص:٣٥٨)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٨٦)، والتحصيل (٥/ ٣١١).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٠) قال: «ذكره عيسى بن سليمان».



فلـمَّا زوَّجهـا رسـول الله ﷺ زيـدًا مكثـت عنـده حينًـا، ثـم إن رسـول الله ﷺ أتـى منـزل زيـد فنظـر إليهـا، وكانـت بيضـاءَ جميلـةً، مـن أتـمِّ نسـاء قريـشٍ، فوقعـت في قلبـه، فقـال: «سُبْحَانَ مُقَلِّبِ الْقُلُوبِ»، وفَطِـنَ زيـدٌ فقـال: يـا رسـول الله ائـذن لي في طلاقهـا، وقـال بعضهـم: أتـى رسـول الله ﷺ منـزلَ زيـدٍ، فـرأى زينـب، فقـال: «سُبْحَانَ مُقَلِّبِ الْقُلُوبِ»، فسـمعت ذلـك زينـب، فلـمَّا جـاء زيـدٌ ذكـرَتْ لـه ذلـك، فعلـم أنَّهـا قـد وقعـت في نفسـه، فأتاه فقـال: يـا رسـول الله ائـذن لي في طلاقهـا[1].

---

(١) هـذه الروايـة ذكرهـا أيضًـا: مقاتـل بـن سـليمان في تفسـيره (٣/ ٤٩٣-٤٩٤)، والثعلبـي في الكشـف والبيـان (٨/ ٤٧)، والمـاوردي في النكـت والعيـون (٤/ ٤٠٥)، والواحـدي في التفسـير الوسـيط (٣/ ٤٧٢)، والتفسـير البسـيط (١٨/ ٢٥٠)، دون عزوهـا لأحـد.
وقـد أخرجهـا ابـن سـعد في الطبقـات الكـبرى (٨/ ١٠١)، والحاكـم في مسـتدركه (٤/ ٢٥) مـن روايـة محمـد بـن عمـر الواقـدي، عـن عبـد الله بـن عامـر الأسـلمي، عـن محمـد بـن يحيـى بـن حبـان مرسـلاً بـه. وهـذا إسـناد ضعيـف جـدًّا؛ الواقـدي مـتروك الحديـث، وعبـد الله بـن عامـر ضعيـف، ثـم الإسـناد مرسـل.
وقـد أشـار الحافـظ ابـن حجـر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفتـح (٨/ ٥٢٤) إلى ضعـف هـذه الآثـار، فقـال: «ووردت آثـار أخـرى أخرجهـا ابـن أبي حاتـم والطـبري، ونقلهـا كثـير مـن المفسريـن، لا ينبغـي التشـاغل بهـا، والـذي أوردتـه منهـا هـو المعتمـد، والحاصـل أن الـذي كان يخفيـه النبـي ﷺ هـو إخبـار الله إيـاه أنهـا سـتصير زوجتـه، والـذي كان يحملـه عـلى إخفـاء ذلـك خشـية قـول النـاس: تـزوج امـرأة ابنـه، وأراد الله إبطـال مـا كان أهـل الجاهليـة عليـه مـن أحـكام التبنـي بأمـر لا أبلـغ في الإبطـال منـه وهـو تـزوج امـرأة الـذي يدعـى ابنًـا، ووقـوع ذلـك مـن إمـام المسـلمين، ليكـون أدعـى لقبولهـم، وإنـما وقـع الخبـط في تأويـل متعلـق الخشـية، والله أعلـم».
وضعَّـف هـذه الآثـار أيضًـا الإمـام ابـن العـربي في أحـكام القـرآن (٣/ ٥٧٧) فقـال: «وهـذه الروايـات كلهـا سـاقطة الأسـانيد»، وقـال أيضًـا: «فأمـا قولهـم: إن النبـي ﷺ رآهـا فوقعت=

وقال ابن زيد: جاء رسول الله ﷺ إلى باب زيد، وعلى الباب سترٌ من شعرٍ، فرفعت الريح السِّتر، فرأى زينبَ، فلمّا وقعت في قلبه، كُرِّهَتْ [٦٤٥/ ب] إلى الآخر، فجاء فقال: يا رسول الله أُريد فِراقَها، فقال له: «اتَّقِ اللهَ»[1].

وقال مقاتل: لما فطن زيدٌ لتسبيح رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله ائذَنْ لي في طلاقِها، فإنَّ فيها كِبْراً، فهي تَعَظَّمُ عليَّ وتُؤذِيني بلسانِها، فقال له النبيُّ ﷺ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ الله» . ثم إنَّ زيداً طلَّقها بعد ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالعِتْق[2].

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ أي: في أمرها فلا تُطلِّقْها.

﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ﴾ أي: تُسِرُّ وتُضْمِرُ في قلبك.

﴿مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ أي: مُظْهِرُه.

=في قلبه، فباطل، فإنه كان معها في كل وقت وموضع، ولم يكن حينئذ حجاب، فكيف تنشأ معه وينشأ معها، ويلحظها في كل ساعة، ولا تقع في قلبه إلا إذا كان لها زوج، وقد وهبته نفسها، وكرهت غيره، فلم تخطر بباله، فكيف يتجدَّد له هوى لم يكن، حاشا لذلك القلب المطهَّر من هذه العلاقة الفاسدة».

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ١١٦) من رواية ابن وهب، عن ابن زيد به، وهو حديث معضل.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٩٤).

وفيه أربعة أقوال:

أحدها: حبُّها، قاله ابن عباس.

والثاني: عهدٌ عهدَهُ الله إليه أنَّ زينبَ ستكونُ له زوجةً، فلما أتى زيدٌ يشكوها، قال له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ وأخفى في نفسه ما الله مبديه، قاله عليُّ بن الحسين.

والثالث: إيثارُه لطلاقِها، قاله قتادة، وابن جريج، ومقاتل[1].

والرابع: أن الذي أخفاه: إن طلَّقها زيدٌ تزوَّجتُها، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه خشي اليهودَ أن يقولوا تزوَّجَ محمَّد امرأةَ ابنه. رواه عطاء عن ابن عباس.

والثاني: أنَّه خشي لومَ الناس أن يقولوا: أمر رجلاً بطلاق امرأتِه، ثمَّ نكحَها.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ أي: أولى أن تخشى في كلِّ الأحوال، وليس المراد أنَّه لم يخشَ في هذه الحال، ولكن لما كان لخشيته بالخلق نوعُ تعلُّقٍ، قيل له: الله أحقُّ أن تخشى منهم.

قالت عائشة: ما نزلت على رسول الله ﷺ آيةٌ هي أشدُّ عليه من هذه الآية، ولو كتمَ شيئًا من الوحي، لَكتمَها[2].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٩٥).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١٧٧)، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ١١٧) عن عائشة رضي الله عنها، ورواه البخاري في صحيحه (٧٤٢٠) لكن عن أنس رضي الله عنه.

فصل

وقد ذهب بعض العلماء إلى تنزيه رسول الله من حُبِّها وإيثاره طلاقَها، وإن كان ذلك شائعًا في التفسير.

قالوا: وإنما عُوتِبَ في هذه القصَّة على شيئين:

أحدهما: أنَّه أُخبِرَ بأنَّها ستكون زوجةً له، فقال لزيدٍ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ فكتم ما أخبره الله به من أمرِها؛ حياءً من زيد أن يقولَ له: إنَّ زوجتَكَ ستكونُ امرأتي.

وهذا يُخرَّجُ على ما ذكرنا عن عليِّ بن الحسين، وقد نصره الثعلبي[1]، والواحدي[2].

والثاني: أنَّه لما رأى اتِّصالَ الخصومة بين زيدٍ وزينبَ، ظنَّ أنَّهما لا يتَّفقان، وأنَّه سيفارقها، وأضمر أنَّه إنْ طلَّقَها تزوَّجتُها صِلةً لرحمِها، وإِشفاقاً عليها، لأنَّها كانت بنتَ عمَّته أميمةَ بنتِ عبد المطَّلب، فعاتبه الله على إضمار ذلك، وإخفائه حين قال لزيد: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ وأرادَ منه أن يكونَ ظاهرُه وباطنُه عند الناس سواءٌ، كما قيل له في قصَّة رجلٍ أراد قتلَهُ: هلَّا أومأْتَ إلينا بقتله؟ فقال: «**مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ**»[3]. ذكر هذا القول القاضي أبو يَعلَى رحمة الله عليه.

---

(١) انظر: الكشف والبيان (٨/ ٤٧).

(٢) انظر: التفسير الوسيط (٣/ ٤٧٢)، والتفسير البسيط (١٨/ ٢٥٠).

(٣) رواه أبو داود في سننه (٢٦٨٣، ٤٣٥٩) وغيره من رواية مصعب بن سعد، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.



قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾.

قال الزجاج: الوَطَر كل حاجة لك فيها هِمَّة، فإذا بلغها البالغ قيل: قد قضى وَطَره[١].

وقال غيره: قضاءُ الوَطَر في اللغة: بلوغ منتهى ما في النفس من الشيء، ثم صار عبارةً عن الطلاق، لأنَّ الرجل إنَّما يطلِّق امرأته إذا لم يبقَ له فيها حاجةٌ، والمعنى: لَّما قضى زيد حاجته من نكاحِها ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾، وإنما ذكر قضاء الوطر هاهنا ليُبيِّنَ أنَّ امرأةَ المتبنَّى تَحِلُّ وإن وطِئَها، وهو قوله تعالى: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾، والمعنى: زوَّجْناك زينب - وهي امرأة زيد الذي تبنَّيْتَه- لكيلا يُظَنَّ أنَّ امرأة المتبنَّى لا يحلُّ نكاحُها. [٦٤٦/أ]

وروى مسلم في أفراده من حديث أنس بن مالك قال: لَّما انقضت عِدَّة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: «اذْهَبْ فَاذْكُرْهَا عَلَيَّ»، قال زيد: فانطلقتُ، فلمَّا رأيتُها عَظُمَتْ في صدري حتى ما أستطيع أن أنظرَ إليها، لأن رسول الله ﷺ ذكرها، فولَّيتُها ظهري، ونَكَصْتُ على عَقِبي، وقلتُ: يا زينب، أرسلني رسول الله ﷺ يذكُركِ، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربِّي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن[٢].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٢٩).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١٤٢٨) من رواية ثابت، عن أنس رضي الله عنه.

وذكر أهل العلم أنَّ من خصائص رسول الله ﷺ أنَّه أُجيز له التزويجُ بغير مَهْرٍ ليَخلُصَ قصد زوجاته لله دونَ العِوَض، وليخفَّف عنه، وأجيز له التزويج بغير وليٍّ؛ لأنَّه مقطوعٌ بكفاءته، وكذلك هو مستغنٍ في نكاحه عن الشهود، وكانت زينب تفاخر نساءَ النبيِّ ﷺ وتقول: زوَّجكن أهلوكُنَّ، وزوجَّني الله ﷻ[1].

قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[الأحزاب: ٣٨-٤٠].

قوله: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾.

قال قتادة: فيما أحلَّ الله له من النساء[2].

قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ هي منصوبةٌ على المصدر؛ لأنَّ معنى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ﴾ سنَّ اللهُ ﷻ سُنَّةً واسعةً لا حَرَج فيها.

و﴿ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾: هم النبيُّون، فالمعنى: أنَّ سنَّة الله ﷻ في التَّوسعة على محمد فيما فرض له، كسُنَّته في الأنبياء الماضين.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٧٤٢٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٣٤٨) من رواية معمر، عن قتادة به. ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ١١٩) من رواية سعيد، عن قتادة به.



قال ابن السائب: هكذا سُنَّة الله في الأنبياء، كداود، فإنه كان له مائة امرأة، وسليمان كان له سبعمائة امرأة وثلاثمائة سُرِّيَّة[1].

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ أي: قضاءً مقضيًّا.

وقال ابن قتيبة: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾ معناه: لا حرجَ على أحدٍ فيما لم يُحرَّم عليه[2].

ثم أثنى الله على الأنبياء بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أي: لا يخافون لائمة الناس وقولِهم فيما أُحِلَّ لهم.

وباقي الآية قد تقدَّم بيانُه[3].

قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾.

قال المفسرون: لما تزوَّج رسول الله ﷺ زينب، قال الناس إن محمدًا قد تزوَّج امرأة ابنه، فنزلت هذه الآية، والمعنى: ليس بأبٍ لزيد فتحرم عليه زوجته ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾.

قال الزجاج: مَنْ نصبه، فالمعنى: ولكن كان رسول الله وكان خاتم النبيِّين، ومن رفعه فالمعنى: ولكنْ هو رسول الله، ومن قرأ «خاتِم» بكسر التاء، فمعناه: وخَتْمُ النبيين، ومن فتحها، فالمعنى: آخر النبيين[4].

---

(١) انظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (٨/ ٤٩)، والتفسير الوسيط؛ للواحدي (٣/ ٤٧٤).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٣٥١).

(٣) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (٦).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٣٠).

قال ابن عباس: يريد لو لم أختم به النبيِّين، لجعلت له ولدًا يكون بعده نبيًّا[١]. [٦٤٦/ب]

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٤].

قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾.

قال مجاهد: هو أن لا ينساه أبدًا[٢].

وقال ابن السائب: يقال: ﴿ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ بالصلوات الخمس[٣].

وقال مقاتل بن حيان: هو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير على كل حال[٤].

وقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يَقُولُ رَبُّكُمْ: أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ**»[٥].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٧٤).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٧٥)، والتفسير البسيط (١٨/ ٢٦٢)، والثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ٥١).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٧٥)، والتفسير البسيط (١٨/ ٢٦٢).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٧٥)، والتفسير البسيط (١٨/ ٢٦٢).

(٥) رواه أحمد في مسنده (١٠٩٦٨)، وابن ماجه في سننه (٣٧٩٢) من رواية أم الدرداء، عن أبي هريرة ﷺ. وقد علّقه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، في باب: قول الله=



قوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾.

قال أبو عبيدة: الأصيل: ما بين العصر إلى الليل(١).

وللمفسِّرين في هذا التسبيح قولان:

أحدهما: أنه الصلاة، واتَّفق أرباب هذا القول على أن المراد بالتسبيح بُكرةً: صلاة الفجر.

واختلفوا في صلاة الأصيل على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها صلاة العصر، قاله أبو العالية وقتادة.

والثاني: أنها الظهر والعصر والمغرب والعشاء، قاله ابن السائب.

والثالث: أنها الظهر والعصر، قاله مقاتل(٢).

والقول الثاني: أنه التسبيح باللسان، وهو قول: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله»، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾.

في صلاة الله علينا خمسة أقوال:

أحدها: أنها رحمته، قاله الحسن.

=تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ [القيامة: ١٦]، فقال: قال أبو هريرة، عن النبي ﷺ قال الله تعالى: «أنا مع عبدي حيثما ذكرني وتحركت بي شفتاه».

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٣٨).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٩٩).

والثاني: مغفرته، قاله سعيد بن جبير.

والثالث: ثناؤه، قاله أبو العالية.

والرابع: كرامته، قاله سفيان.

والخامس: بركته، قاله أبو عبيدة[١].

وفي صلاة الملائكة قولان:

أحدهما: أنها دعاؤهم، قاله أبو العالية.

والثاني: استغفارهم، قاله مقاتل[٢].

وفي الظلمات والنور هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: الضلالة والهدى، قاله ابن زيد.

والثاني: الإيمان والكفر، قاله مقاتل[٣].

والثالث: الجنة والنار، حكاه الماوردي[٤].

قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ الهاء والميم كناية عن المؤمنين.

فأما الهاء في قوله: ﴿يَلْقَوْنَهُ﴾ ففيها قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى الله ﷻ، ثم فيه ثلاثة أقوال:

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٣٨).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٩٩).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٩٩).

(٤) انظر: النكت والعيون (٤/ ٤١٠).

إحداهـا: أن معنـاه: تحيتهـم مـن الله يـوم يلقونـه سـلام، وروى صهيـب عـن النبـي ﷺ: «أَنَّ اللهَ يُسَـلِّمُ عَـلَى أَهْـلِ الْجَنَّـةِ»[1].

والثاني: تحيتهم من الملائكة يوم يلقون الله سلام، قاله مقاتل[2].

وقـال أبـو حمـزة الثـمالي: تسلِّم عليهـم الملائكـة يـوم القيامـة، وتبشِّرهـم حـين يخرجـون مـن قبورهـم.

والثالـث: تحيتهـم بينهـم يـوم يلقـون ربهـم سـلام، وهـو أنْ يُحَيِّـيَ بعضهم بعضًـا بالسـلام، ذكـره أبو سـليمان الدمشـقي.

والقـول الثـاني: أن الهـاء ترجـع إلى ملـك المـوت، وقـد سـبق ذكـره في ذكـر الملائكـة.

---

(١) الـذي ورد عـن صهيـب فيـه إثبـات رؤيـة الله ﷻ، وهـو مـا أخرجـه مسـلم في صحيحـه (١٨١) عـن النبـي ﷺ قـال: «إِذَا دَخَـلَ أَهْـلُ الْجَنَّـةِ الْجَنَّـةَ، قَـالَ: يَقُـولُ اللهُ تَبَـارَكَ وَتَعَـالَى: تُرِيـدُونَ شَـيْئًا أَزِيدُكُـمْ؟ فَيَقُولُـونَ: أَلَمْ تُبَيِّـضْ وُجُوهَنَـا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَـا الْجَنَّـةَ، وَتُنَجِّنَـا مِـنَ النَّـارِ؟ قَـالَ: فَيَكْشِـفُ الْحِجَـابَ، فَـمَا أُعْطُـوا شَـيْئًا أَحَـبَّ إِلَيْهِـمْ مِـنَ النَّظَـرِ إِلَى رَبِّهِـمْ ﷻ». وأمـا تسـليم الـرب سبحانه وتعالى عـلى أهـل الجنة؛ فقـد ورد من حديـث جابـر ﷺ كما في سـنن ابـن ماجـه (١٨٤) وغـيره، قـال النبـي ﷺ: «بَيْنَـا أَهْـلُ الْجَنَّـةِ فِي نَعِيمِهِـمْ، إِذْ سَـطَعَ لَهُمْ نُـورٌ، فَرَفَعُـوا رُءُوسَـهُمْ، فَـإِذَا الـرَّبُّ قَـدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِـمْ مِـنْ فَوْقِهِـمْ، فَقَـالَ: السَّـلَامُ عَلَيْكُـمْ يَـا أَهْـلَ الْجَنَّـةِ قَـالَ: وَذَلِـكَ قَـوْلُ اللهِ: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس: ٥٨]، قَـالَ فَيَنْظُرُ إِلَيْهِـمْ، وَيَنْظُـرُونَ إِلَيْـهِ، فَـلَا يَلْتَفِتُـونَ إِلَى شَيْءٍ مِـنَ النَّعِيـمِ، مَـا دَامُـوا يَنْظُـرُونَ إِلَيْـهِ، حَتَّـى يَحْتَجِـبَ عَنْهُـمْ، وَيَبْقَـى نُـورُهُ وَبَرَكَتُـهُ عَلَيْهِـمْ فِي دِيَارِهِـمْ». وقـد ضعَّـف إسـناده البوصـيري في مصبـاح الزجاجـة (١/ ٢٦) لضعـف الفضـل بـن عِيسَـى بـن إبـان الرقـاشِي.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٩٩).

قال ابن مسعود: إذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن، قال له: ربُّكَ يقرئك السلام[١].

وقال البراء بن عازب: في قوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ قال: ملك الموت ليس مؤمنٌ يقبض روحَهُ إلَّا سلَّم عليه[٢].

فأمَّا «الأجر الكريم»، فهو الحُسْنُ في الجنة.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾[الأحزاب: ٤٥-٤٨].

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ أي: على أُمَّتِكَ بالبلاغ.

﴿وَمُبَشِّرًا﴾ بالجنة لمن صدَّقك.

﴿وَنَذِيرًا﴾ أي: منذرًا بالنار لمن كذَّبك.

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ٥٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٢٣) للمروزي في الجنائز، وابن أبي الدنيا، وأبي الشيخ

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٤٧٦٧)، والحاكم في المستدرك (٣٣٤٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٩٩) من رواية محمد بن مالك، عن البراء بن عازب ﷺ به، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ٥٢)، والواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٧٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٢٣).

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وتعقبه الذهبي بقوله: «عبد الله بن واقد، قال ابن عدي: مظلم الحديث، ومحمد بن مالك، قال ابن حبان: لا يُحتج به».



﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أي: إلى توحيده وطاعته.

﴿ بِإِذْنِهِۦ ﴾ أي: بأمره، لا أنك فعلته من تلقاء نفسك.

﴿ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ أي: أنت لمن اتَّبعك سراجًا، أي: كالسراج المضيء في الظلمة يُهتدى به.

[٦٤٧/أ] قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ وهو الجنة.

قال جابر بن عبد الله: لما نزل قوله: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح:١] الآيات، قال الصحابة: هنيئًا لك يا رسول الله، فما لنا؟ فنزلت هذه الآية[١].

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ قد سبق في أول السورة[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ ﴾ قال العلماء: معناه لا تُجازِهم عليه، وتوكَّل على الله في كفاية شرِّهم، وهذا منسوخٌ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤٩].

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ٥٢).

(٢) عند الآية رقم (١).

قوله: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾.

قال الزجاج: معنى ﴿نَكَحْتُمُ﴾: تزوَّجتم، ومعنى ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾ تقربوهن[١].

وقرأ حمزة، والكسائي: «تُمَاسُّوهُنَّ» بألف[٢].

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ أجمع العلماء أنه إذا كان الطلاق قبل المسيس والخلوة، فلا عِدَّة، وعندنا أنَّ الخلوةَ توجب العِدَّة وتُقرِّرُ الصَّداق، خلافًا للشافعي.

قوله تعالى: ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ المراد به من لم يُسمِّ لها مهرًا، لقوله تعالى: ﴿أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة:٢٣٦]، وقد بينَّا المتعة هنالك[٣].

وكان سعيد بن المسيب وقتادة يقولان: هذه الآية منسوخةٌ بقوله: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾[٤] [البقرة٢٣٧].

قوله تعالى: ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ أي: من غير إضرار.

وقال قتادة: هو طلاقها طاهرًا من غير جِماع[٥].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٣١-٢٣٢).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٢٢)، والحجة (٥/ ٤٧٧)، والمبسوط (ص:١٤٧)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٩٠).

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٣٦).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٤/ ٢٩٧)، و(١٩/ ١٢٩) من رواية قتادة، عن سعيد بن المسيب به.

(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٤/ ٤١٣).

وقال القاضي أبو يعلي: الأظهر أن هذا التسريحَ ليس بطلاقٍ؛ لأنَّه قد ذكر الطلاق، وإنَّما هو بيان أنَّه لا سبيلَ له عليها، وأنَّ عليه تخليتها من يده وحباله.

فصل

واختلف العلماء فيمن قال: إن تزوجتُ فلانة فهي طالقٌ، ثم تزوَّجها، فعندنا أنَّها لا تطلق، وهو قول ابن عباس وعائشة والشافعي، واستدلَّ أصحابنا بهذه الآية، وأنه جعل الطلاق بعد النكاح.

وقال سمَّاك بن الفضل: النكاح عقدةٌ، والطلاق يحلُّها، فكيف يحلُّ عقدةً لم تعقد[1]، فجُعِلَ بهذه الكلمة قاضيًا على صنعاء.

وقال أبو حنيفة: ينعقد الطلاق، فإذا وُجِدَ النكاح وقع.

وقال مالك: ينعقد ذلك في خصوص النساء، وهو إذا كان في امرأة بعينِها، ولا ينعقد في عمومهنَّ.

فأما إذا قال: إن ملكتُ فلانًا فهو حرٌّ، ففيه عن أحمد روايتان.

قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٧٦).

وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾[الأحـزاب: ٥٠-٥٢].

قولـه تعـالى: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ ذكـر الله تعـالى أنـواع الأنكحـة التـي أحلهـا لـه فقـال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ﴾ أي: مهورهـن وهـن اللـواتي تزوَّجتهـنَّ بصـداق.

﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ يعنـي الجـواري ممـا أفـاء الله عليـك، أي: ردَّ عليك مـن الكفـار كصفيـة وجويريـة، فإنـه أعتقهـا وتزوجها.

﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ﴾ يعني نساء قريش.

﴿وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ﴾ يعني نساء بني زهرة.

﴿ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ إلى المدينة.

قال القاضي أبو يعلى: وظاهر هذا يدل على أن من لم تهاجر معه من النساء لم يَحِلَّ له نكاحها.

وقالـت أمُّ هانـئ: خطبنـي رسـول الله ﷺ فاعتـذرتُ إليـه بعـذر، ثـم أنزل اللهُ تعـالى: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ إلى قولـه تعـالى: ﴿ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾



قالت: فلم أكن لأحلَّ له، لأني لم أهاجرْ معه، كنت من الطلقاء[1].

وهذا يدل من مذهبها أن تخصيصه بالمهاجرات قد أوجب حظر من لم تهاجر.

وذكر بعض المفسرين أن شرط الهجرة في التحليل منسوخٌ، ولم يذكر ناسخه.

وحكى الماوردي في ذلك قولين:

أحدهما: أن الهجرة شرط في إحلال النساء له على الإطلاق.

والثاني: أنه شرط في إحلال قراباته المذكورات في الآية دون الأجنبيات[2].

قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً﴾ أي: وأحللنا لك امرأة مؤمنة ﴿إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا﴾ لك ﴿إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ أي: إن آثر نكاحها ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾ أي: خاصة.

قال الزجاج: وإنما قال: ﴿إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ ولم يقل: لك، لأنَّه لو قال: «لَكَ»، جاز أن يتوهم أن ذلك يجوز لغير رسول الله ﷺ، كما جاز في بنات العم وبنات العمات، و﴿خَالِصَةً﴾ منصوب على الحال[3].

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٣٢١٤)، والحاكم في مستدركه (٢٧٥٤) وصحَّحه من رواية السدي، عن أبي صالح، عن أم هانئ بنت أبي طالب به. قال الترمذي: «هذا حديث حسن، لا أعرفه إلا من هذا الوجه من حديث السدي».

(٢) انظر: النكت والعيون (٤/ ٤١٤).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٣٣).

وللمفسرين في معنى ﴿خَالِصَةً﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المرأة إذا وهبت له نفسها لم يلزمه صَداقُها دون غيره من المؤمنين، قاله أنس بن مالك، وسعيد بن المسيب.

والثاني: أن له أن ينكحَها بلا وليٍّ ولا مهرٍ دون غيره، قاله قتادة.

والثالث: خالصةً لك أن تملكَ عقدَ نكاحِها بلفظ الهبة دون المؤمنين، وهذا قول الشافعي وأحمد.

وفي المرأة التي وهبت له نفسها أقوال:

أحدها: أم شريك.

والثاني: خولة بنت حكيم، ولم يدخل بواحدةٍ منهما.

وذكروا أنَّ ليلى بنت الخطيم وهبت نفسَها له، فلم يقبلها.

قال ابن عباس: لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأةٌ وهبت نفسَها له[1].

وقد حكي عن ابن عباس أن التي وهبت نفسَها له ميمونةُ بنت الحارث[2].

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٣٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٧٢٩) من رواية عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٣٥) من رواية قتادة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وعن الشعبي أنها زينب بنت خزيمة[١]، والأوَّل أصحُّ.

قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ على المؤمنين غيرك.

﴿فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾، وفيه قولان:

أحدهما: أن لا يجاوزَ الرجلُ أربعَ نسوةٍ، قاله مجاهد.

والثاني: أن لا يتزوَّجَ الرجل المرأة إلَّا بوليٍّ وشاهدين وصداق، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي: وما أبحنا لهم من ملك اليمين مع الأربع الحرائر من غير عددٍ محصور.

قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ هذا فيه تقديم، المعنى أحللنا لك أزواجك إلى قوله: ﴿خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ... لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «تُرْجِئُ» مهموزًا.

وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: بغير همز[٢].

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ٥٤)، والماوردي في النكت والعيون (٤/ ٤١٥)، والواحدي في التفسير البسيط (١٨/ ٢٧٥).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٢٣)، والحجة (٥/ ٤٧٨)، والمبسوط (ص:٣٥٨).

وسبب نزولها:

أنه لَمَّا نزلت آية التخيير المتقدِّمة أشفقن أن يُطَلِّقَهنَّ، فقلن: يا نبيَّ الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت، ودعنا على حالنا، فنزلت هذه الآية، قاله أبو رزين(١).

وفي معنى الآية أربعةُ أقوال:

أحدها: تُطلِّقُ من تشاء من نسائك، وتُمسِكُ من تشاء من نسائك، قاله ابن عباس.

والثاني: تترك نكاحَ من تشاء، وتنكح من نساء أُمَّتِكَ من تشاء، قاله الحسن.

والثالث: تعزل من شئت من أزواجك فلا تأتيها بغير طلاق، وتأتي من تشاء فلا تعزلها، قاله مجاهد.

والرابع: تَقْبَلُ من تشاء من المؤمنات اللواتي يهبْنَ أنفسهُنَّ، وتترك من تشاء، قاله الشعبي وعكرمة.

وأكثر العلماء على أنَّ هذه الآيةَ نزلت مبيحةً لرسول الله ﷺ مصاحبةَ [٦٤٨/أ] نسائه كيف شاء من غير إيجاب القسمة عليه والتسوية بينهنَّ، غير أنَّه كان يُسوِّي بينهنَّ.

وقال الزهري: ما علمنا رسولَ الله ﷺ أرجأ منهنَّ أحدًا، ولقد آواهُنَّ كُلَّهنَّ حتَّى مات(٢).

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٣٩، ١٤٠)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ١٩٦) من رواية منصور، عن أبي رزين به.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٣٥١) من رواية معمر، عن الزهري به.



وقال أبو رزين: آوى عائشة، وأمَّ سلمةَ، وحفصة، وزينب، وكان قسمه من نفسه ومالِه فيهنَّ سواءٌ، وأرجأ سودة وجويرية وصفية وأمَّ حبيبة وميمونة، وكان يقسم لهنَّ ما شاء، وكان أراد فراقهُنَّ، فقلن: اقسم لنا ما شئت، ودعنا على حالنا[1].

وقال قوم: إنَّما أرجأ سودةَ وحدها، لأنَّها وهبت يومها لعائشة، فتُوفِّيَ وهو يقسم لثمان.

قوله تعالى: ﴿وَتُـْٔوِيٓ﴾ أي: تضمُّ.

﴿وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ﴾ أي: إذا أردْتَ أن تؤويَ إليك امرأةً ممَّن عزلْتَ من القسمة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ﴾ أي: لا ميل عليك بلوم ولا عَتب.

﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ﴾ أي: ذلك التخيير الذي خيَّرناك في صحبتهنَّ أقرب إلى رضاهنَّ، والمعنى: إنَّهُنَّ إذا علمْنَ أنَّ هذا أمرٌ من الله كان أطيبَ لأنفسهِنَّ.

وقرأ ابن محيصن، وأبو عمران الجوني: «أن تُقِرَّ» بضم التاء وكسر القاف، «أَعْيُنَهُنَّ» بنصب النون[2].

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٣٦١)، والطبري في تفسيره (١٩/ ١٣٩، ١٤٠)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ١٩٦)، والواحدي في التفسير الوسيط (٧٥٨) من رواية منصور، عن أبي رزين به.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢١)، والتحصيل (٥/ ٣١٢)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٩٣)، والبحر المحيط (٨/ ٤٩٦) كلهم نسبوها لابن محيصن.

﴿وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ أي: بما أعطيتهنَّ من تقريبٍ وتأخير.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ من الميل إلى بعضهنَّ، والمعنى: إنَّما خيرناك تسهيلاً عليك.

قوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ﴾.

كلهم قرأ ﴿لَّا يَحِلُّ﴾ بالياء غير أبي عمرو، فإنَّه قرأ بالتاء، والتأنيث ليس بحقيقيٍّ، إنما هو تأنيث الجمع، فالقراءتان حسنتان(١).

وفي قوله: ﴿مِنۢ بَعْدُ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: من بعد نسائك اللواتي خيرتَهنَّ، فاخترن الله ورسوله، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة في آخرين، وهن التسع، فصار مقصورًا عليهن ممنوعًا من غيرهن، وذكر أهل العلم أنَّ طلاقه لحفصة وعزمَهُ على طلاق سودةَ كان قبل التخيير.

والثاني: من بعد الذي أحللنا لك، فكانت الإباحة بعد نسائه مقصورةً على المذكور في قوله: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ إلى قوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾ قاله أبي بن كعب، والضحاك.

والثالث: لا تحلُّ لك النساء غير المسلمات كاليهوديَّات والنصرانيَّات والمشركات، وتحلُّ لك المسلمات، قاله مجاهد.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٢٣)، والحجة (٥/ ٤٧٩)، والمبسوط (ص:٣٥٩)، والتحصيل (٥/ ٣١٢)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٩٤).

قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن تطلق زوجاتك وتستبدل بهن سواهن، قاله الضحاك.

والثاني: أن تبدل بالمسلمات المشركات، قاله مجاهد في آخرين.

والثالث: أن تعطي الرجل زوجتك، وتأخذ زوجته، وهذه كانت عادةً للجاهلية، قاله أبو هريرة، وابن زيد.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ يعني الإماء.

وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: إلا أن تملك بالسبي فيحل لك وطؤها، وإن كانت من غير الصنف الذي أحللتُه لك، وإلى هذا أومأ أبي بن كعبٍ في آخرين.

والثاني: إلَّا أن تصيب يهوديَّةً أو نصرانيَّةً فتطأها بملك اليمين، قاله [٦٤٨/ب] ابن عباسٍ، ومجاهد.

والثالث: إلا أن تُبدِّلَ أمتَكَ بأمة غيرِكَ، قاله ابن زيد.

قال أبو سليمان الدمشقي: وهذه الأقوال جائزة، إلا أنَّا لا نعلم أن رسول الله ﷺ نكح يهودية ولا نصرانية بتزويج ولا ملك يمين، ولقد سبى ريحانة القرظيَّة، فلم يَدنُ منها حتى أسلمت.

فصل

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على قولين:

أحدهما: أنها منسوخة بقوله: ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ﴾، وهذا مروي عن علي، وابن عباس، وعائشة، وأم سلمة، وعلي بن الحسين، والضحاك.

وقالت عائشة: ما مات رسول الله ﷺ حتى أُحِلَّ له النساء[1].

قال أبو سليمان الدمشقي: يعني نساء جميع القبائل من المهاجرات وغير المهاجرات.

والقول الثاني: أنها محكمة.

ثم فيها قولان:

أحدهما: أن الله تعالى أثاب نساءه حين اخترنه بأن قصره عليهن، فلم يحلَّ له غيرهنَّ، ولم ينسخ هذا، قاله الحسن، وابن سيرين، وأبو أمامة بن سهل، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث.

والثاني: أن المراد بالنساء هاهنا الكافرات، ولم يجز له أن يتزوج كافرة، قاله مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وجابر بن زيد.

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٤١٣٧)، والترمذي في سننه (٣٢١٦) وصحَّحه، والنسائي في المجتبى (٣٢٠٤)، والطبري في تفسيره (١٩/ ١٥٤)، والثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ٥٦) من رواية عطاء، عن عائشة رضي الله عنها به.

مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾[الأحزاب: ٥٣].

قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ ﴾ الآية.

في سبب نزولها ستة أقوال:

القول الأول: أخرجاه في الصحيحين من حديث أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ لما تزوج زينب بنت جحش، دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدَّثون، فأخذ كأنَّه يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، وقام من القوم من قام، وقعد ثلاثة، فجاء رسول الله ﷺ فدخل، فإذا القوم جلوسٌ فرجع، وإنهم قاموا فانطلقوا، وجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل، وذهبت أدخل، فألقى الحجاب بيني وبينه، وأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

والثاني: أن ناسًا من المؤمنين، كانوا يتحيَّنون طعام النبي ﷺ، فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك، ثم يأكلون ولا يخرجون، فكان رسول الله ﷺ يتأذَّى بهم، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس[2].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤٧٩١)، ومسلم في صحيحه (١٤٢٨)، والطبري في تفسيره (١٩/ ١٦٤) وغيرهم من رواية أبي مجلز، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ٥٨)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٤/ ٣٩٥)، وأبو حيان في البحر المحيط (٨/ ٤٩٨).

والثالث: أن عمر بن الخطاب قال: قلت يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهنَّ البَرُّ والفاجر، فلو أمرتهُنَّ أن يحتجِبْنَ، فنزلت آية الحجاب، أخرجه البخاري من حديث أنس، وأخرجه مسلم من حديث ابن عمر، كلاهما عن عمر[١].

والرابع: أن عمر أمر نساءَ رسول الله ﷺ بالحجاب، فقالت زينب: يا ابن الخطَّاب، إنَّك لتغارُ علينا، والوحي ينزل في بيوتنا، فنزلت الآية، قاله ابن مسعود[٢].

والخامس: أن عمر كان يقول لرسول الله ﷺ: احجب نساءك، فلا يفعل، فخرجت سودة ليلةً، فقال عمر: قد عرفناكِ يا سودة، حرصًا على أن ينزلَ الحجاب، فنزل الحجاب، رواه عكرمة عن عائشة[٣]. [٦٤٩/أ]

والسادس: أن رسول الله ﷺ كان يُطعِمُ معه بعضَ أصحابه، فأصابت يدُ رجلٍ منهم يدَ عائشة، وكانت معهم، فكَرِهَ النبيُّ ﷺ ذلك، فنزلت آية الحجاب، قاله مجاهد[٤].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤٠٢)، والطبري في تفسيره (١٩/ ١٦٧،١٦٤)، والواحدي في أسباب النزول (ص:٣٦٠) من حديث أنس بن مالك، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. ولم نقف عليه من رواية ابن عمر عن عمر كما قال المصنِّف.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٦٥، ١٦٩) من رواية أبي وائل، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١٤٦)، ومسلم في صحيحه (٢١٧٠)، والطبري في تفسيره (١٩/ ١٦٨) من رواية عروة، عن عائشة رضي الله عنها، ولم نقف عليه من رواية عكرمة، عن عائشة رضي الله عنها!.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٦٧)، والواحدي في أسباب النزول (ص:٣٦٠) من=

قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ أي: أن تُدعوا إليه ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ﴾ أي: منتظرين ﴿إِنَىٰهُ﴾.

قال الزجاج: موضع «أن» نصب، والمعنى: إلا بأن يؤذنَ لكم أو لأن يؤذن، «وغير» منصوبة على الحال، والمعنى: إلا أن يؤذن لكم غير منتظرين و﴿إِنَىٰهُ﴾ نضجه وبلوغه[1].

قوله تعالى: ﴿فَٱنتَشِرُواْ﴾ أي: فاخرجوا.

قوله تعالى: ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ المعنى: ولا تدخلوا مستأنسين أي: طالبي الأنس لحديث، وذلك أنهم كانوا يجلسون بعد الأكل، فيتحدَّثون طويلاً، وكان ذلك يؤذيه ويستحيي أن يقولَ لهم: قوموا، فعلَّمهم الله الأدب، فذلك قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ أي: لا يترك أن يُبيِّنَ لكم ما هو الحق.

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا﴾ أي: شيئًا يستمتع به وينتفع به من آلة المنزل.

﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ﴾ أي: سؤالكم إياهنَّ المتاع من وراء حجاب ﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من الريبة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ أي: ما كان لكم أذاه في شيءٍ من الأشياء.

=رواية ليث، عن مجاهد به.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٣٤).

قال أبو عبيدة: و﴿ كَانَ ﴾ من حروف الزوائد، والمعنى: ما لكم أن تؤذوا رسول الله[١].

﴿ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ﴾.

روى عطاء عن ابن عباس قال: كان رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال: لو توفي رسول الله ﷺ تزوجت عائشة، فأنزل الله ما أنزل[٢].

وزعم مقاتل أن ذلك الرجلَ طلحةُ بن عبيد الله[٣].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ ﴾ يعني نكاح أزواج رسول الله ﷺ.

﴿ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ أي: ذنبًا عظيم العقوبة.

قوله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۝٥٤ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴾[الأحزاب: ٥٤-٥٥].

قوله: ﴿ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ قيل: إنها نزلت فيما أبداه القائل: لئن مات رسول الله لأتزوَّجن عائشة[٤].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٤٠).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٨٠)، والتفسير البسيط (١٨/ ٢٨٥-٢٨٦)، وأسباب النزول (ص: ٣٦٠-٣٦١).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٠٥)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (١٨/ ٢٨٦).

(٤) روى ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٢٠١) من طريق إبراهيم بن عقبة وأبي أمامة بن سهل بن حنيف قالا في قوله: ﴿ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ ﴾[الأحزاب: ٥٤]، قال:=



قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ﴾.

قال المفسرون: لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب لرسول الله ﷺ: ونحن أيضًا نكلمهنَّ من وراء حجاب؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ﴾ أي: في أن يَرَوْهُنَّ ولا يحتجبْنَ عنهم، إلى قوله: ﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾.

قال ابن عباس: يعني نساء المؤمنين، لأن نساء اليهود والنصارى يصفن لأزواجِهنَّ نساء رسول الله ﷺ إن رأينَهُنَّ[1].

فإن قيل: ما بال العمِّ والخال لم يُذكَرا؟ فعنه جوابان:

أحدهما: لأنَّ المرأة تحلُّ لأبنائهما، فكُرِهَ أن تضعَ خمارها عند عمِّها وخالها، لأنَّهما ينعتانِها لأبنائهما، هذا قول الشعبي، وعكرمة.

والثاني: لأنَّهما يجريان مجرى الوالدين فلم يُذكَرا، قاله الزجاج[2].

فأما قوله: ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ ففيه قولان:

أحدهما: أنه أراد الإماء دون العبيد، قاله سعيد بن المسيب.

والثاني: أنه عامٌّ في العبيد والإماء.

=«أن تكلموا به فتقولوا نتزوج فلانة لبعض أزواج النبي ﷺ أو تخفوا ذلك في أنفسكم فلا تنطقوا به يعلمه الله».

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٨/ ٢٨٨)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٤٥) لابن مردويه.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٣٦).

قال ابن زيد: كنَّ أزواج رسول الله ﷺ لا يحتجبن من المماليك[١]، [٦٤٩/ب] وقد سبق بيان هذا في سورة النور[٢].

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ﴾ أي: أن يراكُنَّ غيرُ هؤلاء.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴾ أي: لم يغب عنه شيء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٥٧ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾[الأحزاب: ٥٦-٥٨].

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ في صلاة الله وصلاة الملائكة أقوالٌ قد تقدَّمَتْ في هذه السورة[٣].

قوله تعالى: ﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ﴾.

قال كعب بن عجرة: قلنا: يا رسول الله قد عرفنا التسليم عليك، فكيف الصلاة عليك؟ فقال: «**قُولُوا: اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**» أخرجه البخاري ومسلم[٤].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٧٣) من رواية ابن وهب، عن ابن زيد به.

(٢) انظر: تفسير سورة النور الآية رقم (٣١).

(٣) عند الآية رقم (٤٣).

(٤) متفق عليه؛ رواه البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٦) في صحيحيهما عن كعب بن عجرة رضي الله عنه.



ومعنى قوله: «قد علمنا التسليم عليك»: ما يقال في التشهد: «السلام عليك أيُّها النبيُّ ورحمة الله وبركاته».

وذهب ابن السائب إلى أن معنى التسليم: سلِّموا لما يأمركم به[1].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال:

أحدها: في الذين طعنوا على رسول الله ﷺ حين اتَّخذ صفيَّة بنت حُيَيّ، قاله ابن عباس.

والثاني: نزلت في المصوِّرين، قاله عكرمة.

والثالث: في المشركين واليهود والنصارى، وصفوا الله بالولد، وكذَّبوا رسوله، وشجُّوا وجهه، وكسروا رباعيَّته، وقالوا: مجنون شاعر ساحر كذاب.

ومعنى أذى الله: وصفه بما هو مُنزَّهٌ عنه، وعصيانه.

ولعنهم في الدنيا بالقتل والجلاء، وفي الآخرة بالنار.

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾.

في سبب نزولها أربعة أقوال:

أحدها: أنَّ عمر بن الخطاب رأى جاريةً متبرِّجةً فضربها، وكفَّ ما رأى من زينتها، فذهبت إلى أهلها تشكو، فخرجوا إليه فآذَوْه، فنزلت

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٤/ ٤٢٢)، ولم ينسبه لأحد.

هـذه الآيـة، رواه عطـاء عـن ابـن عبـاس(١).

والثـاني: أنهـا نزلـت في الزنـاة الذيـن كانـوا يمشـون في طـرق المدينـة، يتبعـون النسـاء إذا بـرزن بالليـل لقضـاء حوائجهـن، فـيرون المـرأة فيدنـون منهـا فيغمزونهـا، وإنـما كانـوا يـؤذون الإمـاء، غـير أنـه لم تكـن الأمـة تُعـرَف مـن الحـرَّة، فشَـكَوْنَ ذلـك إلى أزواجهـنَّ، فذكـروا ذلـك لرسـول الله ﷺ، فنزلـت هـذه الآيـة، قالـه السـدي(٢).

والثالـث: أنهـا نزلـت فيمـن تكلَّـمَ في عائشـة وصفـوان بـن المعطِّـل بالإفـك، قالـه الضحـاك(٣).

والرابـع: أن ناسًـا مـن المنافقـين آذوا علـيَّ بـن أبي طالـب، فنزلـت هـذه الآيـة، قالـه مقاتـل(٤).

قال المفسرون: ومعنى الآية: يرمونهم بما ليس فيهم.

قولـه تعـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٥٩ ۞ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٨/ ٢٩١)، وأسباب النزول (ص:٣٦٢).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٨٢)، والتفسير البسيط (١٨/ ٢٩١)، وأسباب النزول (ص:٣٦٢).

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٤/ ٤٢٣).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٠٧)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ٦٣)، والواحدي في التفسير الوسيط (١٨/ ٢٩١)، وأسباب النزول (ص:٣٦٢).

لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[الأحزاب: ٥٩-٦٢].

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ الآية.

سبب نزولها:

أن الفسَّاق كانوا يؤذون النساء إذا خرجن بالليل، فإذا رأوا المرأة عليها قناعٌ تركوها، وقالوا: هذه حرَّة، وإذا رأوها بغير قناعٍ قالوا: أمة، فآذوها، فنزلت هذه الآية، قاله السدي[1].

قوله تعالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾.

قال ابن قتيبة: يلبَسْنَ الأَرديَة[2].

وقال غيره: يغطين رؤوسهن ووجوههن، ليُعلَم أنهن حرائر[3].

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ﴾ أي: أحرى وأقرب.

﴿أَن يُعْرَفْنَ﴾ أنهُنَّ حرائرُ فلا يؤذَين.

[٦٥٠/أ] قوله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ أي: عن نفاقهم.

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٦٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٦١) لابن أبي حاتم.

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٣٥٢).

(٣) انظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (٨/ ٦٤)، والتفسير الوسيط؛ للواحدي (٣/ ٤٨٢)، والتفسير البسيط (١٨/ ٢٩٢).

﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: فجورٌ، وهم الزناة.

﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ بالكذب والباطل يقولون: أتاكم العدو، وقُتِلَتْ سراياكم وهُزِمَتْ.

﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ أي: لنُسلِّطنَّكَ عليهم بأن نأمُرَك بقتالهم.

قال المفسرون: وقد أُغري بهم، فقيل له: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [التوبة: ٧٣، التحريم: ٩]، وقال يوم الجمعة: «أُخْرُجْ يَا فُلَانُ مِنَ الْمَسْجِدِ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ، قُمْ يَا فُلَانُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ»(١).

﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ﴾ أي: في المدينة.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ حتى يهلكوا.

﴿مَّلْعُونِينَ﴾ منصوبٌ على الحال؛ أي: لا يجاورونك إلَّا وهم ملعونون.

﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾ أي: وُجِدُوا وأُدرِكُوا.

﴿أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا﴾ معنى الكلام: الأمر، أي: هذا الحكم فيهم.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أي: سنَّ في الذين ينافقون الأنبياء ويرجفون بهم أن يُفعَل بهم هذا.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٤٤)، والطبراني في المعجم الأوسط (٧٩٢) من رواية السدي عن أبي مالك عن ابن عباس به.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٤) (١١٠٥٣): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي، وهو ضعيف».

قولـه تعـالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾[الأحـزاب: ٦٣-٦٨].

قوله: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ﴾.

قال عروة: الذي سأله عنها عتبة بن ربيعة.

قولـه تعـالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ أي: أيُّ شيءٍ يُعلِمُـكَ أمـر السـاعة، ومتـى تكـون، والمعنـى: أنـت لا تعـرف ذلـك.

ثم قال: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾.

فإن قيل: هلَّا قال: قريبة؟

فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدهـا: أنـه أراد الظـرف، ولـو أراد صفـة السـاعة بعينهـا، لقـال: قريبـة، هـذا قـول أبي عبيـدة[1].

والثاني: أن المعنى راجع إلى البعث، أو إلى مجيء الساعة.

والثالث: أن تأنيث الساعة غير حقيقي، ذكرهما الزجاج[2].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٤١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٩٦).

وما بعد هذا قد سبق بيان ألفاظه[١].

فأما قوله تعالى: ﴿وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾.

فقال الزجاج: الاختيار الوقف بألف، لأن أواخر الآي وفواصلها تجري مجرى أواخر الأبيات، وإنما خوطبوا بما يعقلونه من الكلام المؤلَّف ليدلَّ بالوقف بزيادة الحرف أن الكلام قد تمَّ، وقد أشرنا إلى هذا في قوله تعالى: ﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾[٢].

قوله تعالى: ﴿أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ أي: أشرافنا وعظماءنا.

قال مقاتل: هم المطعمون في غزوة بدر[٣].

وكلُّهم قرؤوا: ﴿سَادَتَنَا﴾ على التوحيد غير ابن عامر، فإنه قرأ: «ساداتنا» على الجمع مع كسر التاء، ووافقه المفضَّل، ويعقوب إلا أبا حاتم[٤].

﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ أي: عن سبيل الهدى.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ﴾ يعنون السادة.

﴿ضِعْفَيْنِ﴾ أي: ضعفي عذابنا.

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٥٩)، وسورة النساء الآية رقم (١٠)، وسورة الإسراء الآية رقم (٩٧).

(٢) الأحزاب الآية رقم (١٠).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٠٩).

(٤) انظر: السبعة (ص:٥٢٣)، والحجة (٥/ ٤٨٠)، والمبسوط (ص:٣٥٩)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٠١)، والتحصيل (٥/ ٣١٣).

﴿وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا﴾:

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «كَثِيراً» بالثاء.

وقرأ عاصم، وابن عامر: ﴿كَبِيرٗا﴾ بالباء[1].

وقال أبو علي: الكثرة أشبه بالمِرار المتكرِّرة من الكبر[2].

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٦٩-٧١].

قوله تعالى: ﴿لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ﴾ أي: لا تؤذوا محمدًا، كما آذى بنو إسرائيل موسى، فينزل بكم ما نزل بهم.

و في ما آذوا به موسى أربعة أقوال:

أحدها: أنهم قالوا: هو آدر، فذهب يومًا يغتسل، ووضع ثوبه على حجر، ففرَّ الحجر بثوبه، فخرج في طلبه، فرأوه فقالوا: والله ما به من بأس.

والحديث مشهور في الصحاح كلِّها من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ[3]، وقد ذكرته بإسناده في المغني والحدائق.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٢٣)، والحجة (٥/ ٤٨١)، والمبسوط (ص:٣٥٩)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٠١)، والتحصيل (٥/ ٣١٣).

(٢) انظر: الحجة (٥/ ٤٨١).

(٣) متفق عليه؛ رواه البخاري (٢٧٨)، ومسلم (٣٣٩) في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال ابن قتيبة: والآدر عظيم الخصيتين[١].

والثاني: أن موسى صعد الجبل ومعه هارون، فمات هارون، فقال بنو [٦٥٠/ب] إسرائيل: أنت قتلته، فآذوه بذلك، فأمر الله تعالى الملائكة فحملته حتى مرت به على بني إسرائيل، وتكلمت الملائكة بموته، حتى عرف بنو إسرائيل أنه مات، فبرَّأه الله من ذلك، قاله علي ﷺ.

والثالث: أن قارونَ استأجر بغيًّا لتقذف موسى بنفسها على ملأٍ من بني إسرائيل، فعصمها الله، وبرَّأ موسى من ذلك، قاله أبو العالية.

والرابع: أنهم رموه بالسحر والجنون، حكاه الماوردي[٢].

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾.

قال ابن عباس: كان عند الله حظيًّا، لا يسأله شيئًا إلا أعطاه[٣].

وقد بينَّا معنى الوجيه في آل عمران[٤].

وقرأ ابن مسعود، والأعمش، وأبو حيوة: «وَكَانَ عَبْداً للهِ»، بالتنوين والباء وكسر اللام[٥].

---

(١) انظر: أدب الكاتب (ص:١٣٨).

(٢) انظر: النكت والعيون (٤/ ٤٢٧).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٨٤)، والتفسير البسيط (١٨/ ٣٠٠).

(٤) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (٤٥).

(٥) في التحصيل (٥/ ٣١٣)، والمحتسب (٢/ ١٨٥) كلاهما نسبها لابن مسعود.

قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: صوابًا، قاله ابن عباس.

والثاني: صادقًا، قاله الحسن.

والثالث: عدلاً، قاله السدي.

والرابع: قصدًا، قاله ابن قتيبة[١].

ثم في المراد بهذا القول ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه لا إله إلا الله، قاله ابن عباس، وعكرمة.

والثاني: أنه العدل في جميع الأقوال والأعمال، قاله قتادة.

والثالث: في شأن زينب وزيد، ولا تنسبوا رسول الله ﷺ إلى ما لا يصلح، قاله مقاتل بن حيان.

قوله تعالى: ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: يتقبل حسناتكم، قاله ابن عباس.

والثاني: يزكي أعمالكم، قاله مقاتل[٢].

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ أي: نال الخير وظفر به.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٣٥٢).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥١٠).

قولـه تعـالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[الأحـزاب: ٧٢-٧٣].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ﴾.

فيها قولان:

أحدهما: أنها الفرائض، عرضها الله على السماوات والأرض والجبال، إن أدَّتها أثابها، وإن ضيَّعَتْها عذَّبها، فكرهت ذلك، وعرضها على آدمَ فقَبِلَها بما فيها، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

وكذلك قال سعيد بن جُبَير: عُرِضَتِ الأمانةُ على آدم، فقيل له: تأخذُها بما فيها، إن أطعْتَ غَفرتُ لك، وإن عصيْتَ عذَّبتُك، فقال: قبلت، فما كان إلَّا كما بين صلاة العصر إلى أن غربَتِ الشمس، حتَّى أصاب الذنب[1].

وممَّنْ ذهب إلى أنَّها الفرائض: قتادة، والضحاك، والجمهور.

والثاني: أنَّها الأمانة التي يأتمن الناسُ بعضَهم بعضًا عليها.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٩٧) من رواية سعيد، عن ابن عباس: قال: «عرضت على آدم، فقال: خذها بما فيها، فإن أطعت غفرت لك، وإن عصيت عذبتك، قال: قد قبلت، فما كان إلا قدر ما بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم حتى أصاب الخطيئة».
وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضًا (٦/ ٦٦٩) لسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في كتاب الأضداد، والحاكم وصححه.

روى السدي عن أشياخه أن آدم لما أراد الحجَّ قال للسماء: احفظي ولدي بالأمانة، فأبَتْ، وقال للأرض فأبَتْ، وقال للجبال فأبَتْ، فقال لقابيلَ فقال: نعم، تذهبُ وتجيءُ وتجدُ أهلَكَ كما يَسرُّكَ، فلما انطلق آدم، قتل قابيلُ هابيلَ، فرجع آدم فوجد ابنه قد قتل أخاه، فذلك حيث يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ إلى قوله: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ وهو ابن آدمَ، فما قام بها[1].

وحكى ابن قتيبة عن بعض المفسِّرين: أنَّ آدم لما حضرته الوفاة، قال: يا ربِّ من أستخلِفُ من بعدي؟ فقيل له: اعرض خلافتَك على جميع الخلق، فعرضَها فكلٌّ أباها غيرَ ولده[2].

وللمفسرين في المراد بعرض الأمانة على السماوات والأرض قولان:

أحدهما: أن الله تعالى ركَّب العقل في هذه الأعيان وأفهمهُنَّ خطابَهُ، وأنطقهُنَّ بالجواب حين عرضَها عليهِنَّ، ولم يُرِدْ بقوله: «أَبَيْنَ» المخالفةَ، ولكن «أَبَيْنَ» للخشية والمخافة؛ لأنَّ العرض كان تخييرًا لا إلزامًا. [٦٥١/أ]

﴿وَأَشْفَقْنَ﴾ بمعنى: خِفنَ منها أن لا يؤدِّينها، فيلحقَهُنَّ العقاب، هذا قول الأكثرين.

والثاني: أن المراد بالآية: إنَّا عرضنا الأمانة على أهل السماوات وأهل الأرض وأهل الجبال من الملائكة، قاله الحسن.

وفي المراد بالإنسان أربعة أقوال:

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٨/ ٣٢٢)، و(١٩/ ٢٠٣) عن السدي.

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ٣٥٢).

أحدها: آدم في قول الجمهور.

والثاني: قابيل في قول السدي.

والثالث: الكافر والمنافق، قاله الحسن.

والرابع: جميع الناس، قاله ثعلب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ **فيه ثلاثة أقوال**:

أحدها: ظلومًا لنفسه غِرًّا بأمر ربه، قاله ابن عباس، والضحاك.

والثاني: ظلومًا لنفسه جهولاً بعاقبة أمره، قاله مجاهد.

والثالث: ظلومًا بمعصية ربه، جهولاً بعقاب الأمانة، قاله ابن السائب.

وذكر الزجاج[1] في الآية وجهًا يخالف أكثر الأقوال، وذكر أنه موافق للتفسير، فقال: إن الله تعالى ائْتَمنَ بني آدمَ على ما افترضه عليهم من طاعته، وائْتَمنَ السماوات والأرض والجبال على طاعته والخضوع له، فأما السماوات والأرض فـ ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، وأعلَمَنا أنَّ من الحجارة ما يهبط من خشية الله، وأنَّ الشمس والقمر والنجوم والجبال والملائكة يسجدون لله، فعرَّفنا الله تعالى أنَّ السماوات والأرض لم تحتمل الأمانة، لأنَّها أدَّتها، وأداؤها طاعةُ الله وتركُ معصيته، وكلُّ من خان الأمانةَ فقد احتملَها، وكذلك كلُّ من أثم فقد احتمل الإثم، وكذلك قال الحسن.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٣٨).



﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: الكافر والمنافق حملاها، أي: خانا ولم يطيعا؛ فأما من أطاع، فلا يقال: كان ظلومًا جهولاً.

قوله تعالى: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾

قال ابن قتيبة: المعنى: عرضنا ذلك ليظهر نفاقُ المنافق وشركُ المشرك، فيعذِّبَهم الله، ويُظهِرَ إيمان المؤمنين، فيتوبَ الله عليهم، أي: يعودَ عليهم بالرحمة والمغفرة إن وقعَ منهم تقصيرٌ في الطاعات[1].

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص:٢٤٥).



سورة سبأ

وهي مكية بإجماعهم.

وقال الضحاك، وابن السائب، ومقاتل: فيها آية مدنية، وهي قوله تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ [سبأ: ٦].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ١-٦].

قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا.

﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ يحمده أولياؤه إذا دخلوا الجنة فيقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧٤] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤].

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من بذرٍ، أو مطرٍ، أو كنزٍ، أو غير ذلك.

﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من زرع ونبات وغير ذلك.

﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من مطر أو رزق أو ملك.

﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ من ملك أو عمل أو دعاء.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني: منكري البعث.

﴿لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ أي: لا نبعث.

قوله تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾:

قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو: ﴿عَٰلِمِ﴾ بكسر الميم.

وقرأ نافع، وابن عامر برفعها. [٦٥١/ب]

وقرأ حمزة، والكسائي: «علَّامِ الْغَيْبِ» بالكسر ولام قبل الألف[١].

قال أبو علي: من كسر فعلى معنى الحمد للهِ عالِمِ الغيب، ومن رفع جاز أن يكون «عَالِمُ الْغَيْبِ» خبرَ مبتدأ محذوف، تقديره هو: «عَالِمُ الْغَيْبِ»[٢].

ويجوز أن يكون ابتداءً، خبرُه: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾، وعلَّام أبلغ من عالم.

وقرأ الكسائي وحده: «لاَ يَعْزِبُ» بكسر الزاي، وهما لغتان[٣].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٢٦)، والحجة (٦/ ٥)، والمبسوط (١/ ٣٦٠)، والتيسير (١/ ١٧٩- ١٨٠)، والتحصيل (٥/ ٣٢٩)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٠٥).

(٢) انظر: الحجة (٦/ ٥).

(٣) انظر: السبعة (ص:٥٢٦)، والحجة (٦/ ٦)، والتحصيل (٥/ ٣٢٩)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٠٥).

قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ﴾.

وقرأ ابن السميفع، والنخعي، والأعمش: «وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْبَرَ» بالنصب فيهما[١].

قوله تعالى: ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

قال الزجاج: المعنى: بلى وربي لتأتينَّكم المجازاة[٢].

وقال ابن جرير: المعنى: أثبتَ مثقال الذرة وأصغرَ منه في كتابٍ مبين؛ لِيجزِيَ الذين آمنوا، ولِيُرِيَ الذين أوتوا العلم[٣].

قوله تعالى: ﴿مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ﴾: قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، ويعقوب، والمفضل: ﴿مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ﴾ رفعًا، والباقون بالخفض فيهما[٤].

وفي ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ قولان:

أحدهما: أنهم مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٢) نسبها للأعمش، وقتادة، وفي التحصيل (٥/ ٣٢٩) نسبها لمحبوب، وحسين عن أبي عمرو، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٤٠٥) عزاها لنافع!، والأعمش، وقتادة، ورويت عن أبي عمرو، وقال في البحر المحيط (٨/ ٥١٩): «وقرأ الأعمش، وقتادة: بفتح الراءين. قال ابن عطية: عطفًا على ذرة. ورويت عن أبي عمرو، وعزاها أيضا إلى نافع، ولا يتعين ما قال».

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٤٠).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٢١٣).

(٤) انظر: السبعة (ص:٥٢٦)، والحجة (٦/ ٦)، والمبسوط (ص:٣٦٠)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٠٥)، والتحصيل (٥/ ٣٣٠).

والثاني: أصحاب محمد ﷺ، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ يعني القرآن.

﴿هُوَ ٱلۡحَقَّ﴾.

قال الفراء: «هو» عماد، فلذلك انتصب (الحقّ)[1].

وما أخللنا به فقد سبق في مواضع[2].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ۝٨ أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾[سبأ: ٧-٩].

قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وهم منكرو البعث.

قال بعضهم لبعض: ﴿هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ﴾ أي: يقول لكم: إنّكم ﴿إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي: فُرِّقتم كل تفريق، والممزق هاهنا مصدر بمعنى التمزيق.

﴿إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾ أي: يجدد خلقكم للبعث.

ثم أجاب بعضهم فقالوا: ﴿أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ حين زعم أنا نبعث، وألف (أَفْتَرَى) ألف استفهام، وهو استفهام تعجُّبٍ وإنكار.

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٥٢).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآيات رقم (١٣٠، ٢٦٧)، وسورة الحج الآيات رقم (٥١، ٥٢).

﴿أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ﴾ أي: جنون.

فردَّ الله عليهم فقال: ﴿بَلِ﴾ أي: ليس الأمر كما تقولون من الافتراء والجنون.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ﴾ وهم الذين يجحدون البعث.

﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾ إذا بعثوا في الآخرة.

﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ من الحقِّ في الدنيا.

ثم وعظهم فقال: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وذلك أن الإنسان حيثما نظر رأى السماء والأرض قدامه وخلفه، وعن يمينه وعن شماله، فالمعنى: أنهم أين كانوا فأرضي وسمائي محيطةٌ بهم، وأنا القادر عليهم، إن شئتُ خسفتُ بهم الأرض، وإن شئتُ أسقطتُ عليهم قطعةً من السماء.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: فيما يرون من السماء والأرض.

﴿لَأَيَةً﴾ تدل على قدرة الله تعالى على بعثهم والخسف بهم.

﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ أي: راجعٌ إلى طاعة الله، متأمِّلٌ لما يرى.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[سبأ: ١٠-١١].

قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ وهو النُّبوَّة والزَّبور وتسخير الجبال والطير إلى غير ذلك مما أنعم الله به عليه.

﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ وروى الحلبي عن عبد الوارث: «أُوْبي» بضم الهمزة وتخفيف الواو(١).

قال الزجاج: المعنى: وقلنا يا جبال أَوِّبي معه، أي: رَجِّعي معه، والمعنى: سَبِّحي معه ورَجِّعي التسبيح(٢).

ومن قرأ «أُوْبي» معناه: عودي في التسبيح معه كلَّما عاد.

[٦٥٢/أ] وقال ابن قتيبة: ﴿أَوِّبِي﴾ أي: سبِّحي، وأصل التأويب في السير، وهو أن يسير النهارَ كله وينزلَ ليلاً، فكأنَّه أراد: ادأِبِي النهارَ كلَّه بالتسبيح إلى الليل(٣).

قوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾.

وقرأ أبو رزين، وأبو عبد الرحمن السلمي، وأبو العالية، وابن أبي عبلة: «وَالطَّيْرُ» بالرفع(٤).

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٢) عزاها لابن عباس، والحسن، وقتادة، وابن أبي إسحاق، وفي التحصيل (٥/ ٣٣٠) عزاها للحسن، وقتادة، وغيرهما.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٤٣).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٣٥٣).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٢) عزاها للأعرج، وعبد الوارث عن أبي عمرو، وفي التحصيل (٥/ ٣٣٠) عزاها لابن هرمز، ومسلمة بن عبد الملك، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٤٠٧) عزاها للأعرج، وعاصم بخلاف، وجماعة من أهل المدينة، وفي البحر المحيط (٨/ ٥٢٥) عزاها للسلمي، وابن هرمز، وأبي يحيى، وأبي نوفل، ويعقوب، وابن أبي عبلة، وجماعة من أهل المدينة، وعاصم في رواية.

فأما قراءة النصب، فقال أبو عمرو بن العلاء: هو عطف على قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾، ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ أي: وسخَّرنا له الطير[١].

قال الزجاج: ويجوز أن يكون نصبًا على النداء، كأنه قال: دعونا الجبال والطيرَ، «فالطير» معطوف على موضع «الجبال»، وكلُّ منادى عند البصريين فهو في موضع نصب.

قال: وأمَّا الرفع فمن جهتين:

إحداهما: أن يكون نسقًا على ما في ﴿أَوِّبِى﴾، فالمعنى: يا جبال رجِّعي التسبيحَ معه أنت والطير.

والثانية: على النداء، المعنى: يا جبال، ويا أيُّها الطير أَوِّبِي معه[٢].

قال ابن عباس: كانت الطير تُسبِّحُ معه إذا سبَّح، وكان إذا قرأ لم تبقَ دابَّةٌ إلَّا استمعت لقراءته، وبكَتْ لبُكائه[٣].

وقال وهب بن منبِّه: كان يقول للجبال: سبِّحي، وللطير: أجيبي، ثم يأخذ هو في تلاوة الزبور بين ذلك بصوته الحسن، فلا يرى الناس منظرًا أحسن من ذلك، ولا يسمعون شيئًا أطيبَ منه[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٤/ ٢٤٣).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٤٣).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٨/ ٣٢٤) هكذا: «كانت الطير تسبح معه إذا سبح».

(٤) ذكره بنحوه الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ٧١).



قوله تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ أي: جعلناه ليِّنًا.

قال قتادة: سخَّر الله له الحديد بغير نار، فكان يُسوِّيه بيده، لا يُدخِلُه النار ولا يضربه بحديدة، وكان أوَّلَ من صنع الدروع، وكانت قبلَ ذلك صفائح[1].

قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ﴾.

قال الزجاج: معناه وقلنا له: اعمل، ويكون في معنى: «لِأنْ يعملَ».

﴿سَٰبِغَٰتٍ﴾ أي: دروعًا سابغات، فذكر الصفة؛ لأنَّها تدلُّ على الموصوف[2].

قال المفسرون: كان يأخذ الحديد بيده فيصير كأنَّه عجينٌ يعمل به ما يشاء، فيعمل الدرعَ في بعض يومٍ، فيبيعه بمالٍ كثيرٍ، فيأكل ويتصدق، والسابغات الدروع الكوامل التي تُغطِّي لابسَها حتى تفضلَ عنه، فيجرُّها على الأرض.

﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ أي: اجعله على قدر الحاجة.

قال ابن قتيبة: السَّرْدُ: النَّسْج، ومنه يقال لصانع الدُّروع: سَرَّادٌ وزَرَّادٌ، تُبدَلُ من السين الزاي، كما يقال: سرَّاط وزرَّاط[3].

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٣٩٧)، والطبري في تفسيره (١٩/ ٢٢٢) عن قتادة، وذكره الماوردي في النكت والعيون (٤/ ٤٣٦)، والواحدي في التفسير البسيط (١٨/ ٣٢٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٤٤).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ٣٥٤).

وقال الزجاج: السَّرْدُ في اللغة: تَقْدِمَةُ الشيء إلى الشيء تأتي به متَّسقاً بعضُه في إِثر بعضٍ متتابعاً، ومنه قولهم: سَرَدَ فلانٌ الحديثَ(١).

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: عدِّل المسمار في الحَلْقة، ولا تصغِّره فيقلق، ولا تُعظِّمه فتنفصمَ الحَلْقة، قاله مجاهد.

والثاني: لا تجعل حِلَقَهُ واسعةً، فلا تَقي صاحبَها، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ خطاب لداود وآله.

قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ﴾[سبأ: ١٢-١٤].

قوله: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾:

قرأ الأكثرون بنصب الريح على معنى: وسخَّرنا لسليمان الريح.

وروى أبو بكر، والمفضل عن عاصم: «الرِّيحُ» رفعًا أي: له تسخير الريح.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٤٤).

وقرأ أبو جعفر: «الرِّيَاح» على الجمع[1].

﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾.

قال قتادة: تغدو مسيرة شهر إلى نصف النهار، وتروح مسيرة شهر إلى آخر النهار، فهي تسير في اليوم الواحد مسيرة شهرين[2].

قال الحسن: لما شغلت نبيَّ الله سليمانَ الخيلُ عن الصلاة فعقرها، أبدله الله خيرًا منها وأسرع وهي الريح، فكان يغدو من دمشق فيقيل بِإِصْطَخْرَ، وبينهما مسيرة شهر للمسرع، ثم يروح من إصطخر فيبيت بكابل، وبينهما مسيرة شهر للمسرع[3]. [٦٥٢/ب]

قوله تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾.

قال الزجاج: القِطْرُ النُّحاس، وهو الصُّفْر، أُذيبَ مذ ذاك، وكان قبلَ سليمان لا يذوب[4].

قال المفسِّرون: أجرى الله لسليمان عين الصفر، حتى صنع منها ما أراد من غير نار، كما أُلينَ لداود الحديدُ بغير نار، فبقيت تجري ثلاثة

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٢٧)، والحجة (٦/ ٩)، والمبسوط (ص:٣٦١)، والتيسير (ص:١٨٠)، والتحصيل (٥/ ٣٣٠).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٢٧) من رواية سعيد، عن قتادة به، وعزاه اسيوطي في الدر المنثور أيضًا (٦/ ٦٧٧) لعبد بن حميد.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٩٤) من رواية عوف، عن الحسن به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٧٧) لعبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٤٥).

أيام ولياليهنَّ كجري الماء، وإنما يعمل الناس اليوم مما أُعطِيَ سليمان.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ﴾ المعنى: وسخرنا له من الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه أي: بأمره، سخرهم الله له وأمرهم بطاعته، والكلام يدل على أن منهم من لم يُسخَّر له.

﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ﴾، أي: يعدل ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾ له بطاعة سليمان ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

وهل هذا في الدنيا أم في الآخرة؟ **فيه قولان:**

أحدهما: في الآخرة، قاله الضحاك.

والثاني: في الدنيا، قاله مقاتل(١).

وقيل: إنه كان مع سليمان ملَكٌ بيده سوطٌ من نار، فمن زاغ من الجنِّ ضربه الملك بذلك السوط.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾.

وفيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها المساجد، قاله مجاهد، وابن قتيبة(٢).

والثاني: القصور، قاله عطية.

والثالث: المساجد والقصور، قاله قتادة.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٢٧).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ١٠٤، ٣٥٤).

وأما التماثيل: فهي الصور.

قال الحسن: ولم تكن يومئذٍ محرَّمةً[1].

ثم فيها قولان:

أحدهما: أنها كانت كالطواويس والعقبان والنسور على كرسيِّه ودرجات سريره، لكي يهابَها من أراد الدُّنوَّ منه، قاله الضحاك.

والثاني: أنها كانت صور النبيين والملائكة، لكي يراهم الناس مصورين، فيعبدوا مثل عبادتهم ويتشبَّهوا بهم، قاله ابن السائب.

وفي ما كانوا يعملونها منه قولان:

أحدهما: من النحاس، قاله مجاهد.

والثاني: من الرُّخام والشَّبَه، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَجِفَانٍ﴾ الجفان جمع جَفْنَة، وهي القصعة الكبيرة، والجَوَابِي: جمع جابية، وهي الحوض الكبير، يُجْبَى فيه الماء، أي: يُجمَع.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «كالجوابي» بياء، إلا أن ابن كثير يثبت الياء في الوصل والوقف، وأبو عمرو يثبتها في الوصل دون الوقف[2].

قال الزجاج: وأكثر القراء على الوقف بغير ياء، وكان الأصل

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٤/ ٤٣٨)، وابن أبي زمنين في تفسير القرآن العزيز (٤/ ١٠).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٢٧)، والحجة (٦/ ١٠)، والمبسوط (ص:٣٦٥)، والتيسير (ص:١٨٢)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤١٠).

الوقـف باليـاء إلا أن الكـسرة تنـوب عنهـا[١].

قـال المفـسرون: كانـوا يصنعـون لـه القصـاع كحيـاض الإبـل، يجتمـع عـلى القصعـة الواحـدة ألـفُ رجـلٍ يأكلـون منهـا.

قوله تعالى: ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ أي: ثوابت، يقال: رسا يَرسُو إذا ثبتَ.

وفي علة ثبوتها في مكانها قولان:

أحدهما: أنَّ أَثَافِيهَا منها، قاله ابن عباس.

والثاني: أنها لا تنزلُ لعِظَمِها، قاله ابن قتيبة[٢].

قـال المفـسرون: وكانـت القـدور كالجبـال لا تُحـرَّكُ مـن أماكنهـا، يـأكل مـن القِـدْرِ ألـفُ رجـل.

قولـه تعـالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا﴾ المعنـى: وقلنـا: اعملـوا بطاعـة الله شـكرًا لـه عـلى مـا آتاكـم.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ﴾ يعني على سليمان.

قـال المفـسرون: كانـت الإنـس تقـول: إن الجـنَّ تعلَـمُ الغيـبَ الـذي يكـون في غـدٍ، فوقـف سـليمان في محرابـه يصـلي متوكِّئًـا عـلى عصـاه فـمات، فمكـث كذلـك حـولاً، والجـنُّ تعمـل تلـك الأعـمال الشـاقَّة، ولا تعلـم بموتـه، حتـى أكلـت الأَرَضُ عصـا سـليمانَ فخـرَّ، فعلمـوا بموتـه، وعلـم الإنـسُ أنَّ الجـنَّ لا تعلـم الغيـب. [٦٥٣/أ]

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٤٦).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ٣٥٤).

وقيل: إن سليمان سأل الله تعالى أن يُعمِّيَ على الجنِّ موته، فأخفاه الله عنهم حولاً.

وفي سبب سؤاله قولان:

أحدهما: لأنَّ الجنَّ كانوا يقولون للإنس: إنَّنا نعلم الغيبَ، فأراد تكذيبهم.

والثاني: لأنَّه كان قد بَقِيَ من عمارة بيت المقدس بقيَّةٌ.

فأمَّا ﴿دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ فهي الأَرَضَةُ.

وقرأ أبو المتوكِّل، وأبو الجوزاء، وعاصم الجحدريُّ: «دابَّة الأَرَض» بفتح الراء[1].

والمنسأة: العصا.

قال الزجاج: وإنَّما سُمِّيتْ منسأةً؛ لأنَّه يُنسَأُ بها، أي يُطرَدُ ويُزجَرُ[2].

قال الفراء: أهل الحجاز لا يهمزون «المنسأة»، وتميم وفصحاء قيس يهمزونها[3].

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ أي: سقط.

---

(١) قال في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٢): «وروى أبو شبيل عن أبيه عن الوقدي: (إلا دابَّة الأَرَض) بفتح الراء، جمع أرضة»، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٤١١) نسبها لابن عباس، والعباس بن المفضل.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٤٧).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٥٦).

﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ أي: ظهرت وانكشف للناس أنهم لا يعلمون الغيب، ولو علموا ﴿مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ أي: ما عملوا مُسخَّرين وهو ميِّتٌ، وهم يظنُّونَهُ حيًّا.

وقيل: تبيَّنتِ الجنُّ أي: عَلِمَتْ؛ لأنَّها كانت تتوهَّمُ باستراقها السمع أنَّها تعلم الغيبَ، فعلمت حينئذٍ خطأَها في ظنِّها.

وروى رويس عن يعقوب: «تُبُيِّنَتِ» برفع التاء والباء وكسر الياء[1].

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾[سبأ: ١٥-٢١].

---

(١) في المبسوط (ص:٣٦١) نسبها ليعقوب، وفي التحصيل (٥/ ٣٣١) نسبها لرويس عن يعقوب، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٤١٢) نسبها ليعقوب، وفي البحر المحيط (٨/ ٥٣٢) نسبها لابن عباس، ويعقوب بخلاف عنه، وفي الكامل (ص:٦٢٢) نسبها لرويس، وفي مختصر ابن خالويه (ص:١٢٢) نسبها لابن عباس.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «في مَسَاكِنِهم».

وقرأ حمزة، وحفص عن عاصم: ﴿مَسْكَنِهِمْ﴾ بفتح الكاف من غير ألف.

وقرأ الكسائي وخلف: «مَسْكِنِهم» بكسر الكاف، وهي لغة(١).

قال المفسرون: المراد بسبأ هاهنا القبيلة التي هم من أولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وقد ذكرنا في سورة النمل الخلاف في هذا(٢)، وأن قومًا يقولون: هو اسم بلدٍ وليس باسم رجل.

وذكر الزجاج في هذا المكان: أنَّ مَنْ قرأ: «لِسَبأَ» بالفتح وترك الصَّرْف جعله اسماً للقبيلة، ومن صرف وكسر ونوَّن جعله اسماً للحيِّ واسمًا لرجل، وكلٌّ جائزٌ حسن، و(آيَةٌ) رفعٌ اسمُ «كان»، وجَنَّتَانِ رفعٌ على نوعين:

أحدهما: أنَّه بدلٌ من «آية».

والثاني: على إِضمارٍ، كأنَّه لَمَّا قيل: «آيةٌ»، قيل: الآية جنَّتَان(٣).

---

(١) انظر: السبعة (٥٢٨)، والحجة (٦/ ١٢)، والمبسوط (ص:٣٦١-٣٦٢)، والتيسير (ص:١٨٠)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤١٣)، والتحصيل (٥/ ٣٣١).

(٢) انظر: تفسير سورة النمل الآية رقم (٢٢).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٤٧-٢٤٨).

الإشارة إلى قصتهم

ذكـر العلماء بالتفسير والسِّيَر أن بلقيس لَّما ملكت قومَها جعل قومُها يقتتِلون على ماء واديهم، فجعلت تنهاهم فلا يُطيعونها، فتركت مُلْكَها وانطلقَتْ إلى قصرِها فنزلَتْه، فلمَّا كَثُرَ الشَّرُّ بينهم وندموا، أتَوها فأرادوها على أن ترجعَ إلى مُلكِها، فأبت، فقالوا: لَتَرجِعِنَّ أو لَنَقْتُلَنَّكِ، فقالت: إنَّكم لا تُطيعونني، وليست لكم عقول، فقالوا: فإنَّا نُطيعُكِ، فجاءت إلى واديهم، وكانوا إذا مُطِروا أتاه السَّيل من مسيرة أيَّام، فأمرتْ به، فسُدَّ ما بين الجبلين بمُسَنَّاةٍ، وحَبسَتِ الماءَ من وراء السدِّ، وجعلت له أبوابًا بعضُها فوقَ بعضٍ، وبَنَتْ من دونه بِرْكةً، وجعلت فيها اثني عشَرَ مخرجًا على عدَّة أنهارهم، فكان الماء يخرج بينهم بالسويَّة، إلى أن كان من شأنها مع سليمانَ ما سبق ذِكرُه[1]، وبَقُوا بعدَها على حالهم.

وقيل: إنَّما بنوا ذلك البنيانَ لئلَّا يغشى السيلُ أموالَهم فيُهلِكَها، فكانوا يفتحون من أبواب السدِّ ما يريدون، فيأخذون من الماء ما يحتاجون إليه، وكانت لهم جنَّتان عن يمين واديهم وعن شماله، فأخصبت أرضُهم وكثُرَتْ [٦٥٣/ ب] فواكههم، وإن كانت المرأة لتَمرُّ بين الجنَّتين والمكتل على رأسها، فترجع وقد امتلأ من الثمر، ولا تمسُّ بيدِها شيئًا منه، ولم يكن يرى في بلدهم حيَّةً ولا عقربَ ولا بعوضةً ولا ذُبابَ ولا برغوثَ، ويمرُّ الغريب ببلدتهم وفي ثيابه القملُ، فيموت القملُ لطِيْبِ هوائِها.

---

(١) انظر: تفسير سورة النمل الآيات رقم (٢٩- ٤٤).

وقيل لهم: ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ أي: هذه بلدة طيبةٌ، أو بلدتُكم بلدةٌ طيبة، ولم تكن سبخةً ولا فيها ما يؤذي.

﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ أي: والله ربٌّ غفور، وكانت ثلاثَ عشْرةَ قريةً، فبعثَ الله إليهم ثلاثةَ عشَرَ نبيًّا، فكذَّبوا الرسلَ، ولم يُقِرُّوا بنعم الله، فذلك قوله: ﴿فَأَعْرَضُواْ﴾ أي: عن الحقِّ وكذَّبوا أنبياءهم.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾.

وفيه أربعة أقوال:

أحدها: أنَّ العَرِمَ: الشَّديدُ، رواه علي بن أبي طالب عن ابن عباس.

وقال ابن الأعرابي: العَرِم: السَّيل الذي لا يُطاق[1].

والثاني: أنَّه اسم الوادي، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والضحاك، ومقاتل[2].

والثالث: أنَّه المُسنَّاة، قاله مجاهد، وأبو ميسرة، والفراء[3]، وابن قتيبة[4].

وقال أبو عبيدة: العَرِمُ جمع عَرِمَةٍ، وهي: السِّكْر والمُسَنَّاة[5].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٩١)، وفي التفسير البسيط (١٨/ ٣٤٤).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٢٩).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٥٨).

(٤) انظر: غريب القرآن (٣٥٥).

(٥) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٤٦).

والرابع: أنَّ العرمَ الجرذ الذي نقب عليهم السِّكْرَ، حكاه الزجاج[1].

وفي صفة إرسال هذا السيل عليهم قولان:

أحدهما: أنَّ الله تعالى بعث على سِكْرهم دابَّةً من الأرض، فنقبت فيه نقبًا، فسال ذلك الماء إلى موضعٍ غير الموضع الذي كانوا ينتفعون به، رواه العوفيُّ عن ابن عباس.

وقال قتادة[2] والضحاك[3] في آخرين: بعث الله عليهم جُرَذاً يسمَّى الخُلْد - والخُلْد: الفأر الأعمى - فنقبه من أسفله فأغرق الله به جنَّاتِهم، وخرَّب به أرضَهم.

والثاني: أنَّه أرسَلَ عليهم ماءً أحمر، أرسله في السدِّ، فنسفه وهدمه، وحفر الوادي ولم يكن الماء أحمر من السدِّ، وإنَّما كان سيلاً أُرسِلَ عليهم، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ﴾ يعني اللتين تطعمان الفواكه.

﴿جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿أُكُلٍ﴾ بالتنوين.

وقرأ أبو عمرو: «أُكُلِ» بالإضافة.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٤٨).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٥٣) من رواية سعيد، عن قتادة به.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٥٣) من رواية عبيد بن سليمان، عن الضحاك به.

وخفَّف الكاف ابن كثير ونافع، وثقَّلها الباقون[١].

أمَّا الأُكُل، فهو الثمر.

وفي المراد بـ «الخمط» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه الأراك، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، والجمهور.

فعلى هذا، أُكُلُه: ثمره، ويسمَّى ثمر الأراك: البَرِير.

والثاني: أنه كلُّ شجرةٍ ذات شوك، قاله أبو عبيدة[٢].

والثالث: أنه كلُّ نبتٍ قد أخذ طعمًا من المرارة، حتَّى لا يمكن أكله، قاله المبرد والزجاج[٣].

فعلى هذا القول الخَمطُ: اسمٌ للمأكول، فيحسن على هذا قراءة من نوَّنَ الأُكُلَ، وعلى ما قبله هو اسم شجرة، والأُكُل ثمرُها، فيَحسنُ قراءة من أضاف.

فأما «الأَثْل» ففيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه الطَّرْفاء، قاله ابن عبَّاس.

والثاني: أنَّه السَّمُر، حكاه ابن جرير[٤].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٢٨)، والحجة (٦/ ١٤)، والمبسوط (ص:٣٦٢)، والتيسير (ص:١٨٠)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤١٤-٤١٥)، والتحصيل (٥/ ٣٣١).

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٤٧).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٤٩).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٢٥٧).

والثالث: أنه شجرٌ يشبه الطَّرْفاء إلَّا أنَّه أعظَمُ منه.

قوله تعالى: ﴿وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ فيه تقديم، وتقديره: وشيءٍ قليلٍ من سِدْرٍ، وهو شجر النَّبِق، والمعنى: أنَّه كان الخَمطُ والأَثْلُ في [٦٥٤/أ] جَنَّتيهم أكثرَ من السدر.

قال قتادة: بينا شجرهم من خير الشجر إذ صيَّره الله من شرِّ الشجر[١].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم﴾ أي: ذلك التبديل جزيناهم ﴿بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾.

فإن قيل: قد يجازى المؤمنُ والكافر فما معنى هذا التخصيص؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أن المؤمن يُجْزى ولا يجازى، فيقال في أفصح اللغة: جزى الله المؤمن، ولا يقال جازاه، لأن «جازاه» بمعنى كافأه، فالكافر يجازى بسيِّئته مثلها مكافأةً له، والمؤمن يُزاد في الثواب ويُتفضَّل عليه، هذا قول الفراء[٢].

والثاني: أن الكافر ليست له حسنة تكفِّر ذنوبه، فهو يجازى بجميع الذنوب، والمؤمن قد أحبطت حسناتُه سيئاتِه، هذا قول الزجاج[٣].

وقال طاووس: الكافر يجازى ولا يُغفَر له، والمؤمن لا يُناقَش الحساب[٤].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٥٨) من رواية سعيد، عن قتادة به.

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٥٩).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٤٩).

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٤٠٨) من رواية معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه به.=



قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ هذا معطوف على قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ والمعنى: كان من قصصهم أنا جعلنا بينهم ﴿وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ وهي قرى الشام، وقد سبق بيان معنى البركة فيها[1]، هذا قول الجمهور.

وحكى ابن السائب: أن الله تعالى لما أهلك جنتيهم، قالوا للرسل: قد عرفنا نعمة الله علينا، فلئن ردَّ إلينا ما كنا عليه، لنعبدنَّه عبادةً شديدة، فردَّ عليهم النعمة، وجعل لهم قرًى ظاهرةً، فعادوا إلى الفساد وقالوا: ﴿بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ فمُزِّقوا.

قوله تعالى: ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾ أي: متواصلةً ينظر بعضها إلى بعض.

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم كانوا يغدون فيقيلون في قرية، ويروحون فيبيتون في قرية، قاله الحسن وقتادة.

والثاني: أنه جعل ما بين القرية والقرية مقدارًا واحدًا، قاله ابن قتيبة[2].

قوله تعالى: ﴿سِيرُوا فِيهَا﴾ والمعنى: وقلنا لهم سيروا فيها.

﴿لَيَالِيَ وَأَيَّامًا﴾ أي: ليلاً ونهارًا.

=وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضًا (٦/ ٦٩٢) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(١) انظر: تفسير سورة الأنبياء الآية رقم (٧١).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٣٥٦).

﴿ءَامِنِينَ﴾ من مخاوف السفر من جوعٍ أو عطشٍ أو سَبُعٍ أو تعبٍ، وكانوا يسيرون أربعة أشهرٍ في أمان، فبطروا النعمة وملُّوها، كما ملَّ بنو إسرائيلَ المنَّ والسلوى.

﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾:

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «بَعِّدْ» بتشديد العين وكسرها.

وقرأ نافع وعاصم وحمزة :﴿بَٰعِدۡ﴾ بألف وكسر العين[١].

وعن ابن عباس كالقراءتين[٢].

قال ابن عباس: إنَّهم قالوا: لو كانت جنَّاتُنا أبعدَ مما هي، كان أجدرَ أن يُشتهَى جناها[٣].

قال أبو سليمان الدمشقي: لما ذكَّرتْهُم الرسل نعم الله، أنكروا أن يكون ما هم فيه نعمةً، وسألوا الله أن يباعِدَ بين أسفارهم.

وقرأ يعقوب: «ربُّنا» برفع الباء «باعَدَ» بفتح العين والدال، جعله فعلاً ماضيًا على طريق الإخبار للناس، بما أنزله الله ﷻ بهم[٤].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٢٩)، والحجة (٦/ ١٨-١٩)، والمبسوط (ص:٣٦٢)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤١٦)، والتحصيل (٥/ ٣٣١).

(٢) انظر المحرر الوجيز (٤/ ٤١٦)، والبحر المحيط (٨/ ٥٣٨).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٦٥) من رواية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٤) انظر المبسوط (ص:٣٦٢)، والتحصيل (٥/ ٣٣٢).

وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو عبد الرحمن السلمي، وأبو رجاء، وابن السميفع، وابن أبي عبلة: «بَعُدَ» برفع العين وتخفيفها وفتح الدال من غير ألف على طريق الشكاية إلى الله ﷻ[1].

وقرأ عاصم الجحدري، وأبو عمران الجوني: «بُوعِدَ» برفع الباء وبواو ساكنة مع كسر العين[2].

قوله تعالى: ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ فيه قولان:

[٦٥٤/ب] **أحدهما**: بالكفر وتكذيب الرسل.

والثاني: بقولهم: ﴿بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾.

﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ﴾ لمن بعدَهم، يتحدَّثون بما فُعِلَ بهم.

﴿وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي: فرَّقناهم في كل وجهٍ من البلاد كل التفريق، لأنَّ الله لما غرَّق مكانهم وأذهب جنَّتيهم، تبدَّدوا في البلاد، فصارت العرب تتمثَّل في الفُرقة بسبأ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: فيما فُعِلَ بهم ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ أي: لعبرًا.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٢) نسبها لليماني وجماعة، وفي التحصيل (٥/ ٣٣١) نسبها ليحيى بن يعمر، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٤١٦)، والبحر المحيط (٨/ ٥٣٨) نسبها لسعيد بن أبي الحسن أخي الحسن، وابن الحنفية أيضًا، وسفيان بن حسين، وابن السميفع.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٢) قال: «حكاه أبو معاذ وأجازه».

﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن معاصي الله ﴿شَكُورٍ﴾ لنعمه.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ عليهم بمعنى «فيهم»، وصدقه في ظنه أنه ظنَّ بهم أنَّهم يتَّبعونه إذ أغواهم، فوجدهم كذلك، وإنَّما قال: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ [النساء: ١١٩] بالظنِّ لا بالعلم.

فمن قرأ ﴿صَدَّقَ﴾ بتشديد الدال، فالمعنى: حقَّق ما ظنَّه فيهم بما فعل بهم، ومن قرأ بالتخفيف، فالمعنى: صدق عليهم في ظنه بهم.

وفي المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنهم أهلُ سبأ.

والثاني: سائر المطيعين لإبليس.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ قد شرحناه في قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾[1] [الحجر: ٤٢].

قال الحسن: والله ما ضربَهم بعصا، ولا قهرهم على شيءٍ، إلَّا أنَّه دعاهم إلى الأماني والغرور[2].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ أي: ما كان تسليطنا إيَّاه إلَّا لنعلمَ المؤمنين من الشاكِّين.

---

(١) انظر: تفسير سورة الحجر الآية رقم (٤٢).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٧١) من رواية قتادة، عن الحسن به، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ٨٦)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٤/ ٤١٧).

وقرأ الزهري: «إِلاَّ لِيُعْلَمَ» بياء مرفوعة على ما لم يُسمَّ فاعله[١].

وقرأ ابن يعمر: «لِيَعْلَمَ» بفتح الياء[٢].

وفي المراد بعلمه هاهنا ثلاثة أقوال: قد شرحناها في أول العنكبوت[٣].

﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الإيمان والشكِّ ﴿حَفِيظٌ﴾.

وقال ابن قتيبة: والحفيظ بمعنى الحافظ[٤].

قال الخطابي: وهو فعيل بمعنى فاعل كالقدير والعليم، فهو يحفظ السماوات والأرض بما فيها، لتبقى مدَّة بقائها، ويحفظ عباده من المهالك، ويحفظ عليهم أعمالهم ويعلم نياتهم، ويحفظ أولياءه عن مواقعة الذنوب ويحرسهم من مكايد الشيطان[٥].

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾[سبأ: ٢٢-٢٣].

---

(١) في المحتسب (٢/ ١٩١)، والتحصيل (٥/ ٣٥٠)، والبحر المحيط (٨/ ٥٤٠) كلهم نسبوها للزهري، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٤١٧) نسبها لفرقة.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٢) نسبها للزهري.

(٣) انظر: تفسير سورة العنكبوت الآية رقم (٣).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:١٦).

(٥) انظر: شأن الدعاء (ص:٦٧-٦٨).

قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم ﴾ المعنى: قل للكفار: ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة، ليُنعِمُوا عليكم بنعمة أو يكشفوا عنكم بليَّةً.

ثم أخبر عنهم فقال: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: من خيرٍ وشرٍّ ونفعٍ وضَرٍّ.

﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ لم يشاركونا في شيءٍ من خلقهما.

﴿وَمَا لَهُۥ ﴾ أي: وما لله ﴿مِنْهُم ﴾ أي: من الآلهة ﴿مِّن ظَهِيرٍ﴾ أي: من مُعينٍ على شيء.

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾:

قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: ﴿أَذِنَ لَهُۥ ﴾ بفتح الألف.

وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «أُذِنَ له» برفع الألف.

وعن عاصم كالقراءتين(١).

أي: لا تنفع شفاعة ملَكٍ ولا نبيٍّ حتَّى يُؤْذَن له في الشفاعة، وقيل: حتَّى يؤذنَ له فيمن يشفع، وفي هذا ردٌّ عليهم حين قالوا: إنَّ هذه الآلهة تشفع لنا.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٢٩)، والحجة (٦/ ٢١)، والمبسوط (ص: ٣٦٣)، والتيسير (ص:١٨١)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤١٨)، والتحصيل (٥/ ٣٥٠).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾:

قرأ الأكثرون: ﴿فُزِّعَ﴾ بضم الفاء وكسر الزاي[1].

قال ابن قتيبة: خُفِّفَ عنها الفزع[2].

وقال الزجاج: معناه كُشِفَ الفزع عن قلوبهم[3].

وقرأ ابن عامر، ويعقوب، وأبان: «فَزَّعَ» بفتح الفاء والزاي، والفعل لله ﷻ[4].

[٦٥٥/أ] وقرأ الحسن، وقتادة، وابن يعمر: «فرغ» بالراء غير معجمة، وبالغين معجمة[5]، وهو بمعنى الأول؛ لأنَّها فرغت من الفزع.

وقال غيره: بل فرغت من الشكِّ والشرك.

وفي المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنَّهم الملائكة، وقد دلَّ الكلام على أنَّهم يفزعون لأمرٍ يطرأ عليهم من أمر الله، ولم يذكره في الآية، لأنَّ إخراج الفزع يدلُّ على حصوله.

---

(١) انظر: السبعة (٥٣٠)، والحجة (٦/ ١٦)، والمبسوط (ص:٣٦٣).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٣٥٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٥٣).

(٤) انظر: السبعة (٥٣٠)، والحجة (٦/ ١٦)، والمبسوط (ص:٣٦٣)، والتحصيل (٥/ ٣٥٠).

(٥) انظر: التحصيل (٥/ ٣٥٠) ونسبها للحسن، وقتادة، والبحر المحيط (٨/ ٥٤٥) ونسبها لعبد الله بن عمر، والحسن، وأيوب السختياني، وقتادة، وأبي مجلز.

وفي سبب فزعهم قولان:

أحدهما: أنهم يفزعون لسماع كلام الله تعالى.

روى عبد الله بن مسعود ﵁ عن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا، فَيُصْعَقُونَ فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ، فَإِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، فَيَقُولُونَ: يَا جِبْرِيلُ مَاذَا قَالَ رَبُّكَ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: الْحَقَّ، فَيُنَادُونَ الْحَقَّ، الْحَقَّ**»(١).

وروى أبو هريرة ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِذَا قَضَى اللهُ ﷻ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: ﴿ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾**»(٢).

والثاني: أنهم يفزعون من قيام الساعة، وفي السبب الذي ظنوه بدنوِّ الساعة ففزعوا قولان:

أحدهما: أنه لما كانت الفترة التي بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم، ثم بعث الله محمدًا، أنزل الله جبريل بالوحي، فلما نزل ظنَّت الملائكة أنه نزل بشيء من أمر الساعة، فصَعِقُوا لذلك، فجعل جبريل

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٤٧٣٨)، وابن حبان في صحيحه (٣٧)، والبخاري في خلق أفعال العباد (ص:٩٩)، والآجري في الشريعة (٦٦٩) من رواية مسروق، عن عبد الله بن مسعود ﵁. وذكره البخاري في صحيحه معلّقًا قبل حديث (٧٤٨١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤٧٠١، ٤٨٠٠، ٧٤٨١) من حديث أبي هريرة ﵁.



يمرُّ بكلِّ سماءٍ، ويكشف عنهم الفزعَ، ويخبرهم أنَّه الوحيُ، قاله قتادة، ومقاتل[1]، وابن السائب.

وقيل: لما علموا بالإيحاء إلى محمد ﷺ فزعوا لعلمهم أنَّ ظهورَهُ من أشراط الساعة.

والثاني: أنَّ الملائكةَ المعقِّباتِ الذين يختلفون إلى أهل الأرض، ويكتبون أعمالهم، إذا أرسلهم الله تعالى، فانحدروا يُسمَعُ لهم صوتٌ شديدٌ، فيحسب الذين هم أسفل منهم من الملائكة أنَّه من أمر الساعة، فيخرون سُجَّدًا ويصعقون، حتَّى يعلموا أنَّه ليس من أمر الساعة، وهذا كلَّما مرُّوا عليهم، رواه الضحاك عن ابن مسعود.

والقول الثاني: أن الذي أشير إليهم المشركون.

ثم في معنى الكلام قولان:

أحدهما: أن المعنى: حتى إذا كُشِفَ الفزعُ عن قلوب المشركين عند الموت إقامةً للحُجَّةِ عليهم، قالت لهم الملائكة: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ فِي الدُّنْيَا؟ قالوا: الحقَّ، فأقرُّوا حين لم ينفعهم الإقرار، قاله الحسن وابن زيد.

والثاني: حتى إذا كُشِفَ الغطاءُ عن قلوبهم يوم القيامة، قيل لهم: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قاله مجاهد.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٣٢).

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤) قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (٢٦) قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[سبأ: ٢٤- ٢٧].

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ﴾ يعني المطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ يعني النبات والثمر، وإنَّما أمر أن يسأل الكفار عن هذا احتجاجًا عليهم بأن الذي يرزق هو المستحقُّ للعبادة، وهم لا يثبتون رازقًا سواه.

ولهذا قيل له: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ لأنهم لا يجيبون بغير هذا، وهاهنا تم الكلام.

ثم أمره أن يقول لهم: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ مذهب المفسرين أن «أَوْ» هاهنا بمعنى الواو.

وقال أبو عبيدة: معنى الكلام: وإنا لعلى هدًى وإنكم لفي ضلال [٦٥٥/ب] مبين[1].

وقال الفراء معنى: «أَوْ» عند المفسرين معنى الواو، وكذلك هو في المعنى، غير أنَّ العربية على غير ذلك، لا تكون «أَوْ» بمنزلة الواو، ولكنها تكون في الأمر المفوَّض، كما تقول: إن شئت فخذ درهمًا أو اثنين، فله أن يأخذَ واحدًا أو اثنين، وليس له أن يأخذَ ثلاثةً.

وإنَّما معنى الآية: وإنَّا لضالُّون أو مهتدون، وإنكم أيضًا لضالُّون أو مهتدون، وهو يعلم أن رسوله المهتدي، وأن غيرَهُ الضالُّ، كما تقول

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٤٨).



للرجل تكذِّبه: والله إنَّ أحدَنا لَكاذبٌ، وأنت تعنيه، فكذَّبتَهُ تكذيبًا غيرَ مكشوف.

ويقول الرجل: والله لقد قَدِمَ فلانٌ، فيقول له من يعلم كذبه: قل: إن شاء الله، فيُكذِّبه بأحسنَ من تصريح التكذيب.

ومن كلام العرب أن يقولوا: قاتلَهُ الله، ثمَّ يستقبحونها، فيقول: قاتعه الله، ويقول بعضهم: كاتعه الله، ويقولون: جوعًا، دعاءً على الرجل، ثم يستقبحونها فيقولون: جودًا، وبعضهم يقول: جوسًا، ومن ذلك قولهم: ويحك وويسك، وإنَّما هي في معنى ويلك، إلَّا أنَّها دونَها[1].

قوله تعالى: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾ أي: لا تؤاخذون به.

﴿وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب.

والمعنى: إظهار التبرِّي منهم.

وهذه الآية عند أكثر المفسرين منسوخةٌ بآية السيف، ولا وجهَ لذلك.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يعني عند البعث في الآخرة.

﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا﴾ أي: يقضي ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالعدل.

﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ﴾ القاضي ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يقضي.

﴿قُلْ﴾ للكفار ﴿أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ أي: أعلموني من أيِّ وجهٍ ألحقتموهم، وهم لا يَخلُقون ولا يَرزُقون.

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٦٢).

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ وتنبيه، والمعنى: ارتدِعوا عن هذا القول وتنبَّهوا عن ضلالتكم، فليس الأمرُ على ما أنتم عليه.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٨ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٩ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾[سبأ: ٢٨-٣٠].

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ أي: عامَّةً لجميع الخلائق.

وفي الكلام تقديم تقديره: وما أرسلناك إلَّا للناس كافَّةً.

وقيل: معنى ﴿كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ تكفُّهم عمَّا هم عليه من الكفر، والهاء فيه للمبالغة.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ يعنون العذاب الذي يعدهم به في يوم القيامة، وإنما قالوا هذا لأنَّهم ينكرون البعث.

﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: أنه يوم الموت عند النزع والسياق، قاله الضحاك.

والثاني: يوم القيامة، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۝٣١ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ۝٣٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن

نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[سبأ: ٣١-٣٣].

قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ يعني مشركي مكة.

﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ يعنون التوراة والإنجيل، وذلك أن مؤمني أهل الكتاب قالوا: إن صفة محمد في كتابنا، فكفر أهل مكة بكتابهم.

ثم أخبر عن حالهم في القيامة فقال: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ يعني مشركي مكة ﴿ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ في الآخرة.

﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ ﴾ أي: يرد بعضهم على بعضٍ في الجدال واللوم ﴿ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ ﴾ وهم الأتباع ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ ﴾ وهم الأشراف والقادة ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ أي: مصدِّقين بتوحيد الله، والمعنى: أنتم منعتمونا عن الإيمان.

فأجابهم المتبوعون فقالوا: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ ﴾ أي: منعناكم عن الإيمان ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ﴾ به الرسول ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴾ بترك الإيمان، [٦٥٦/أ] وفي هذا تنبيهٌ للكفَّار على أن طاعة بعضهم لبعض في الدنيا تصير سببًا للعداوة في الآخرة.

فردَّ عليهم الأتباع فقالوا: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ أي: بل مَكرُكم بنا في الليل والنهار.

قال الفراء: وهذا ممَّا تتوسَّعُ فيه العرب لوضوح معناه، كما يقولون:

ليله قائم ونهاره صائم، فتضيف الفعل إلى غير الآدميين، والمعنى لهم[١].

وقال الأخفش: وهذا كقوله: ﴿مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ﴾[٢] [محمد: ١٣].

قال جرير[٣]: [من الطويل]

لَقَدْ لُمْتِنَا يَا أُمَّ غَيْلانَ في السُّرَى ... ونِمْتِ وَمَا لَيلُ المَطِيِّ بِنَائِمِ

وقرأ سعيد بن جبير، وأبو الجوزاء، وعاصم الجحدري: «بل مَكَرَ» بفتح الكاف والراء، «الليلُ والنهارُ» برفعهما[٤].

وقرأ ابن يعمر: «بل مَكْرٌ» بإسكان الكاف ورفع الراء وتنوينها، «الليلَ والنهارَ» بنصبهما[٥].

قوله تعالى: ﴿إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ﴾ وذلك أنهم كانوا يقولون لهم إن ديننا حقٌّ، ومحمَّدٌ كذَّابٌ.

﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ وقد سبق بيانه في يونس[٦].

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٦٣).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤٨٤).

(٣) البيت لجرير في ديوانه (ص:٩٩٣)، وخزانة الأدب (١/ ٤٦٥)، (٨/ ٢٠٢)، والكتاب (١/ ١٦٠)، والأضداد؛ لابن الأنباري (ص:١٢٧)، ولسان العرب (٢/ ٤٤٢) مادة (ربح)؛ وبلا نسبة في الصاحبي في فقه اللغة (ص:١٦٩)، والمحتسب (٢/ ١٨٤)، والمقتضب (٣/ ١٠٥)، (٤/ ٣٣١).

(٤) انظر: مختصر ابن خالويه (ص:١٢٣)، والمحتسب (٢/ ١٩٣).

(٥) في المحتسب (٢/ ١٩٣)، والتحصيل (٥/ ٣٥١)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٢١) كلهم نسبوها لقتادة.

(٦) انظر: تفسير سورة يونس الآية رقم (٥٤).

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ إذا دخلوا جهنم غُلَّت أيديهم إلى أعناقهم، وقالت لهم خزنة جهنم: هل تجزون إلا ما كنتم تعملون في الدنيا.

قال أبو عبيدة: مجاز «هل» هاهنا مجاز الإيجاب، وليس باستفهام، والمعنى: ما تجزون إلا ما كنتم تعملون[1].

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[سبأ: ٣٤-٣٩].

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ أي: نبيٍّ يُنذِرُ ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ وهم أغنياؤهم ورؤساؤها.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا﴾ في المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنهم المترفون من كلِّ أمَّةٍ.

والثاني: مشركو مكَّة، فظنُّوا من جهلهم أنَّ الله خوَّلهم المال والولد لكرامتهم عليه، فقالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾؛ لأنَّ الله أحسن إلينا بما أعطانا

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٤٩).

فلا يعذِّبُنا فأخبر أنَّه ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾؛ والمعنى أن بسطَ الرزق وتضييقَهُ ابتلاءٌ وامتحانٌ، لا أنَّ البسطَ يدلُّ على رضى الله، ولا التضييقَ يدلُّ على سخطه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

ثم صرَّح بهذا المعنى بقوله: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾.

قال الفراء[١]: يصلحُ أن تقعَ «التي» على الأموال والأولاد جميعًا، لأنَّ الأموالَ جمعٌ، والأولادَ جمعٌ، وإن شئت وجَّهْتَ «التي» إلى الأموال، واكتفيْتَ بها مِنْ ذكر الأولاد، وأنشد لمرار الأسديِّ[٢]: [من المنسرح]

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَ عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفُ

وقد شرحنا هذا في قوله: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

وقال الزجاج: المعنى: وما أموالكم بالتي تُقرِّبُكم، ولا أولادكم بالذين يقربونكم، فحُذِفَ اختصارًا[٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٦٣).

(٢) البيت لمرار الأسدي كما في معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٣٦٣)، وهو لقيس بن الخطيم في ملحق ديوانه (ص:٢٣٩)، والكتاب (١/ ٧٥)، وتخليص الشواهد (ص:٢٠٥) والدرر (٥/ ٣١٤)، والمقاصد النحوية (١/ ٥٥٧)، ولعمرو بن امرئ القيس الخزرجي في الدرر (١/ ١٤٧)، وشرح أبيات سيبويه (١/ ٢٧٩)، ولدرهم بن زيد الأنصاري في الإنصاف (١/ ٩٥) وبلا نسبة في معاني القرآن؛ للأخفش (١/ ٨٨)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٢/ ٤٤٥)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٣/ ٢٢٩)، والمذكر والمؤنث (٢/ ٢٧٩).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٥٥).



وقرأ أُبَيُّ بن كعب، والحسن، وأبو الجوزاء: «باللاتي تقرِّبكم»(١).

قال الأخفش: و«زُلْفَىٰ» هاهنا اسم مصدر، كأنه قال: تقربكم عندنا ازدلافًا(٢).

وقال ابن قتيبة: «زُلْفَىٰ» أي: قربى ومنزلة عندنا(٣).

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ﴾.

قال الزجاج: المعنى: ما تُقَرِّبُ الأموالُ إلَّا من آمن وعمل بها في طاعة الله، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾ والمراد به هاهنا عشرُ حسناتٍ، تأويله لهم جزاء الضعف الذي قد أعلمتكم مقدارَهُ(٤). [٦٥٦/ب]

وقال ابن قتيبة: لم يرد فيما يرى أهل النظر - والله أعلم - أنَّهم يجازُونَ بواحدٍ مثله ولا اثنين، ولكنَّه أراد جزاء التضعيف، وهو مِثْلٌ يُضَمُّ إلى مِثْل ما بلغ، وكأنَّ الضِّعفَ الزيادةُ، فالمعنى: لهم جزاء الزيادة(٥).

وقرأ سعيد بن جُبَير، وأبو المتوكل، ورويس، وزيد عن يعقوب: «لهم جزاءً» بالنصب والتنوين وكسر التنوين وصلاً، «الضِّعفُ» بالرفع(٦).

---

(١) في البحر المحيط (٨/ ٥٥٤) نسبها للحسن.

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤٨٤).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٣٥٧).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٥٥).

(٥) انظر: غريب القرآن (ص:٣٥٧-٣٥٨).

(٦) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٢) وفي البحر المحيط (٨/ ٥٥٥) كلاهما نسبها ليعقوب في رواية، وقال أبو حيان: «وحكى هذه القراءة الداني عن قتادة»، وفي التحصيل=

وقرأ أبو الجوزاء، وقتادة، وأبو عمران الجوني: «لهم جزاءٌ» بالرفع والتنوين، «الضِّعفُ» بالرفع[١].

قوله تعالى: ﴿وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ﴾ يعني في غُرَفِ الجنَّة، وهي البيوت فوقَ الأبنية.

وقرأ حمزة: «في الغُرْفة» على التوحيد أراد اسم الجنس[٢].

وقرأ الحسن، وأبو المتوكل: «في الغُرْفات» بضم الغين وسكون الراء مع الألف[٣].

وقرأ أبو الجوزاء، وابن يعمر: بضم الغين وفتح الراء مع الألف[٤].

﴿ءَامِنُونَ﴾ من الموت والغِيَر.

=(٥/ ٣٥١) نسبها لرويس عن يعقوب، ، ، وفي الكامل (ص:٣٩٩) قال الهذلي: «جزاءً الضِّعفُ؛ بالتنوين ونصب الهمزة ورفع الفاء: ابن مقسم، وابن أبي عبلة، ورويس في قول الجمع، قال ابن مهران والعراقي: يعقوب بكماله وهو غلط خلاف الجماعة وعدم للمفرد، وهو الاختيار لئلا يُضاف الجزاء إلى الضعف، الباقون مضاف».

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٣) نسبها لقتادة، وكذلك في المحرر الوجيز (٤/ ٤٢٢)، وكذلك في البحر المحيط (٨/ ٥٥٥)، وفي المبسوط (ص:٣٦٤) نسبها ليعقوب.

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٣٠)، والحجة (٦/ ٢٢)، والمبسوط (ص:٣٦٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٢٢)، والتحصيل (٥/ ٣٥١).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٣) نسبها للحسن، والأعمش، ومحمد بن كعب، وفي التحصيل (٥/ ٣٥١) نسبها للأعمش، وفي البحر المحيط (٨/ ٥٥٥) نسبها للأعمش، ومحمد بن كعب.

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٣) نسبها لبعضهم.



وما بعد هذا قد تقدَّم تفسيرهُ[١] إلى قوله: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ أي: يأتي ببدله يقال: أخلفَ الله له وعليه: إذا أبدلَ ما ذهبَ عنه.

وفي معنى الكلام أربعة أقوال:

أحدهما: ما أنفقتم من غير إسراف ولا تقتيرٍ فهو يخلفه، قاله سعيد بن جُبَيرٍ.

والثاني: ما أنفقتم في طاعته فهو يخلفه في الآخرة بالأجر، قاله السدي.

والثالث: ما أنفقتم في الخير والبِرِّ فهو يخلفه، إما أن يُعجِّلَهُ في الدنيا، أو يَدَّخِرَهُ لكم في الآخرة، قاله ابن السائب.

والرابع: أنَّ الإنسانَ قد ينفق مالَهُ في الخير، ولا يرى له خُلفًا أبدًا، وإنَّما معنى الآية: ما كان من خُلفٍ فهو منه، ذكره الثعلبي[٢].

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ لما دار على الألسُنِ أنَّ السلطانَ يُرزَقُ الجند، وفلان يُرزَقُ عيالَهُ، أي: يعطيهم، أخبر أنَّه خيرُ المعطين.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ

(١) انظر: تفسير سورة الرعد الآية رقم (٢٦)، وسورة الحج الآية رقم (٥١).

(٢) انظر: الكشف والبيان (٨/ ٩٢).

كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُواْ رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾[سبأ: ٤٠-٤٥].

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ يعني المشركين.

وقال مقاتل: يعني: الملائكة ومن عبدَها.

﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ﴾ وهذا استفهام تقريرٍ وتوبيخٍ للعابدين، فنزَّهتِ الملائكةُ ربَّها عن الشرك، فـ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ﴾ أي: تنزيهًا لك ممَّا أضافوه إليكَ من الشركاء.

﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ أي: نحن نتبرَّأُ إليك منهم ما تولَّينا، ولا اتخذناهم عابدين، ولسنا نريد وليًّا غيرَك.

﴿بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ أي: يطيعون الشياطين في عبادتهم إيَّانا ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم﴾ أي: بالشياطين ﴿مُّؤْمِنُونَ﴾ أي: مُصدِّقونَ لهم فيما يخبرونهم من الكذب أنَّ الملائكةَ بناتُ الله.

فيقول الله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ يعني في الآخرة ﴿لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾ يعني العابدين والمعبودين ﴿نَّفْعًا﴾ بالشفاعة ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ بالتعذيب ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ فعبدوا غيرَ الله ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ الآية.

ثم أخبر أنَّهم يُكذِّبون محمَّدًا والقرآن بالآية التي تلي هذه، وتفسيرُها ظاهرٌ.

ثـم أخـبر أنّهـم لم يقولـوا ذلـك عـن بيِّنـةٍ، ولم يُكذِّبُـوا محمَّـدًا عـن يقـين، ولم يأتِهـم قبلَـهُ كتـابٌ ولا نبـيٌّ يخبرهـم بفسـاد أمـره، فقـال: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَا﴾.

قـال قتـادة: مـا أنـزل الله عـلى العـرب كتابًـا قبـل القـرآن، ولا بعـث إليهم نبيًّـا قبـل محمـد، وهـذا محمـول عـلى الذيـن أنذرهـم نبينـا محمـد ﷺ وقـد كان إسـماعيل نذيـرًا للعـرب[١]. [٦٥٧/أ]

ثـم أخـبر عـن عاقبـة المكذِّبـين قبلهـم مخوِّفًـا لهـم فقـال: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ يعنـي الأمـم الكافـرة.

﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾ **وفيه ثلاثة أقوال:**

أحدهـا: مـا بلـغ كفَّـارُ مكَّـة معشـارَ مـا آتينـا الأمـم التـي كانـت قبلهـم مـن القـوَّة والمـال وطـول العمـر، قالـه الجمهـور.

والثاني: ما بلغ الذين من قبلهم معشارَ ما أعطينا هؤلاء من الحجة والبرهان.

والثالـث: مـا بلـغ الذيـن مـن قبلهـم معشـارَ شـكر مـا أعطيناهـم، حكاهمـا المـاوردي[٢].

والمعشار: العشر، والنكير: اسم بمعنى الإنكار.

قال الزجاج: والمعنى: فكيف كان نكيري، وإنما حذفت الياء لأنه آخر آية[٣].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٨/ ٣٧٨).

(٢) انظر: النكت والعيون (٤/ ٤٥٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٥٦).

قولـه تعـالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٤٦ - ٥٠].

قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم﴾ أي: آمركم وأوصيكم.

﴿بِوَٰحِدَةٍ﴾ وفيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها لا إله إلا الله، رواه ليث عن مجاهد.

والثاني: طاعة الله، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد.

والثالث: أنها قوله: ﴿أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾، قاله قتادة.

والمعنى: أن التي أعظكم بها قيامكم وتشميركم لطلب الحق، وليس بالقيام على الأقدام، والمراد بقوله: ﴿مَثْنَىٰ﴾ أي: يجتمع اثنان فيتناظران في أمر رسول الله ﷺ، والمراد بـ ﴿وَفُرَٰدَىٰ﴾ أن يتفكَّرَ الرجل وحدَهُ، ومعنى الكلام: ليتفكَّرَ الإنسانُ منكم وحدَهُ، وليَخلُ بغيره، وليناظِرْ، وليستَشِرْ، فيستدلُّ بالمصنوعات على صانعها، ويصدق الرسول على اتباعه، وليقل الرجل لصاحبه: هلمَّ فلنتصادَقْ هل رأينا بهذا الرجل جُنَّةً قطُّ؟ أو جرَّبنا عليه كذبًا قط؟

وتمَّ الكلام عند قوله: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ وفيه اختصارٌ تقديره: ثمَّ تتفكَّروا لتعلموا صحَّةَ ما أمرتُكم به، وأنَّ الرسولَ ليس بمجنون.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ والمعنى ما أسألكم شيئًا، ومثله قول القائل: ما لي في هذا فقد وهبته لك، يريد ليس لي فيه شيء.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ أي: يلقي الوحي إلى أنبيائه.

﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ وقرأ أبو رجاء: «عَلَّامَ» بنصب الميم[1].

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ وهو الإسلام والقرآن.

وفي المراد بالباطل ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الشيطان لا يخلق أحدًا ولا يبعثه، قاله قتادة.

والثاني: أنه الأصنام لا تُبدِئُ خلقًا ولا تحيي، قاله الضحاك.

وقال أبو سليمان: لا يبتدئ الصنم من عنده كلامًا فيُجاب، ولا يرد ما جاء من الحقِّ بحُجَّةٍ.

والثالث: أنَّه الباطل الذي يضادُّ الحقَّ، فالمعنى: ذهب الباطل

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٣)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٢٥) كلاهما نسبها لعيسى بن عمر، وابن أبي إسحاق، وفي الكامل (ص:٦٢٣) نسبها لابن أبي عبلة، وأبي حيوة، وجرير عن طلحة.

بمجيء الحقِّ، فلم تبقَ منه بقيَّةٌ يقبل بها أو يدبر، أو يبدي أو يعيد، ذكرَهُ جماعةٌ من المفسِّرين.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ﴾ أي: إثمُ ضلالتي على نفسي، وذلك أنَّ كُفَّارَ مكَّةَ زعموا أنَّه قد ضلَّ حين ترك دينَ آبائه.

﴿ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ﴾ من الحكمة والبيان.

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴾[سبأ: ٥١-٥٤].

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ ﴾.

في زمان هذا الفزع قولان: [٦٥٧/ ب]

أحدهما: أنه حين البعث من القبور، قاله الأكثرون.

والثاني: أنَّه عند ظهور العذاب في الدنيا، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال قتادة.

وقال سعيد بن جبير: هو الجيش الذي يُخسَفُ به بالبيداء، يبقى منهم رجلٌ فيُخبِرُ الناسَ بما لَقُوا(١).

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٣١٠) من رواية جعفر، عن سعيد به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضًا (٦/ ٧١٢) لابن أبي حاتم، وعبد بن حميد، وابن المنذر.



وهـذا حديـثٌ مـشروحٌ في التفسـير، وأنَّ هـذا الجيشَ يـؤمُّ البيـتَ الحـرام لتخريبـه فيخسـف بهـم.

وقال الضحَّاك وزيد بن أسلم: هذه الآية فيمن قُتِلَ يومَ بدرٍ من المشركين.

قوله تعالى: ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ المعنى: فلا فوتَ لهم، أي: لا يمكنهم أن يَفُوتونا.

﴿وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

أحدها: من مكانهم يومَ بدرٍ، قاله زيدُ بن أسلم.

والثاني: من تحت أقدامهم بالخسف، قاله مقاتل.

والثالث: من القبور، قاله ابن قتيبة.

وأين كانوا، فهم من الله قريبٌ.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا﴾ أي: حين عاينوا العذاب ﴿ءَامَنَّا بِهِ﴾.

في هاء الكناية أربعة أقوال:

أحدها: أنها تعود إلى الله ﷻ، قاله مجاهد.

والثاني: إلى البعث، قاله الحسن.

والثالث: إلى الرسول، قاله قتادة.

والرابع: إلى القرآن، قاله مقاتل[1].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ﴾.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٤٠).

قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿ٱلتَّنَاوُشُ﴾ غير مهموز.

وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، والمفضل عن عاصم: بالهمز[١].

قال الفراء: من همز جعله من «نَأَشْتُ»، ومن لم يهمز جعله من «نُشْتُ»، وهما متقاربان والمعنى: تناولتُ الشيءَ، بمنزلة: ذِمْتُ الشيءَ وذأَمْتُه: إذا عِبْتَه، وقد تناوشَ القومُ في القتال: إذا تناول بعضُهم بعضاً بالرِّماح، ولم يتدانَوا كُلَّ التداني، وقد يجوز همز «التَّنَاؤش» وهي من «نُشْتُ» لانضمام الواو، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾[٢] [المرسلات: ١١].

وقال الزجاج: من همز «التَّنَاؤش» فلأنَّ واو التَّناوش مضمومة، وكل واو مضمومة ضمَّتُها لازمة، إن شئتَ أبدلت منها همزة، وإن شئتَ لم تبدل نحو: أدؤر[٣].

وقال ابن قتيبة: معنى الآية: وأنى لهم التناوش لما أرادوا بلوغه وإدراك ما طلبوا من التوبة[٤].

﴿مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ وهو الموضع الذي تقبل فيه التوبة.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٣٠)، والحجة (٦/ ٢٣)، والمبسوط (ص:٣٦٥)، والتيسير (ص:١٨١)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٢٦)، والتحصيل (٥/ ٣٥٢).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٦٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٥٩).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:٣٥٨-٣٥٩).

وكذلك قال المفسرون: أنَّى لهم بتناول الإيمان والتوبة وقد تركوا ذلك في الدنيا والدنيا قد ذهبت.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾.

في هاء الكناية أربعة أقوال: قد تقدَّمَتْ في قوله: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [سبأ: ٥٢].

ومعنى ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: في الدنيا من قبل معاينة أهوال الآخرة.

﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: يرمون بالظنِّ ﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ وهو بُعْدُهم عن العلم بما يقولون.

وفي المراد بمقالتهم هذه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّهم يظنُّون أنَّهم يُرَدُّون إلى الدنيا، قاله أبو صالحٍ عن ابن عبَّاس.

والثاني: أنَّه قولُهم في الدنيا: لا بعثَ لنا ولا جنَّة ولا نار، قاله الحسن، وقتادة.

والثالث: أنَّه قولُهم عن رسول الله ﷺ: هو ساحرٌ، هو كاهنٌ، هو شاعرٌ، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ أي: منع هؤلاء الكفار مما يشتهون.

وفيه ستة أقوال:

[٦٥٨/أ] **أحدها:** أنَّه الرجوع إلى الدنيا، قاله ابن عبَّاس.

والثاني: الأهل والمال والولد، قاله مجاهد.

والثالث: الإيمان، قاله الحسن.

والرابع: طاعة الله، قاله قتادة.

والخامس: التوبة، قاله السدي.

والسادس: حيلَ بين الجيش الذي خرج لتخريب الكعبة وبين ذلك بأن خُسِفَ بهم، قاله مقاتل[١].

قوله تعالى: ﴿كَمَا فُعِلَ﴾:

وقرأ ابن مسعود، وأُبيُّ بن كعب، وأبو عمران: «كما فَعَل» بفتح الفاء والعين[٢].

﴿بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾.

قال الزجاج: أي: بمن كان مذهبُه مذهبَهم[٣].

قال المفسرون: والمعنى: كما فُعِلَ بنظرائهم من الكفَّار من قبل هؤلاء، فإنَّهم حيلَ بينهم وبين ما يشتهون.

وقال الضحاك: هم أصحاب الفيل حين أرادوا خرابَ الكعبة[٤].

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ﴾ من البعث ونزول العذاب بهم.

﴿مُّرِيبٍ﴾ أي: مُوقِعٌ للريبة والتُّهمة.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٣٩-٥٤٠).

(٢) لم نقف عليها.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٥٩).

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٤/ ٤٦٠).



وتسمَّى سورة الملائكة، وهي مكيَّةٌ بإجماعهم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ① مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[فاطر: ١-٢].

قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: خالقهما مبتدئًا على غير مثال.

قال ابن عباس: ما كنت أدري ما فاطر السماوات والأرض، حتَّى اختصم أعرابيَّان في بئرٍ، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: ابتدأتُها[١].

قوله تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾:

وروى الحلبي والقزاز عن عبد الوارث: «جَاعِلٌ» بالرفع والتنوين، «الْمَلَـٰئِكَةَ» بالنصب[٢].

﴿رُسُلًا﴾ يرسلهم إلى الأنبياء وإلى ما يشاء من الأمور.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٩/ ١٧٥) من رواية مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضًا (٣/ ٢٥٥)، و(٧/ ٣) لأبي عبيد في فضائله، وابن الأنباري في الوقف والابتداء، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في شعب الإيمان.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٣) نسبها للحلبي، وفي البحر المحيط (٩/ ٩) قال: «وقرأ الحسن: جاعل بالرفع، أي هو جاعل، وعبد الوارث عن أبي عمرو: وجاعل رفعًا بغير تنوين، الملائكة نصبًا، حذف التنوين لالتقاء الساكنين».

﴿أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ﴾ أي: أصحاب أجنحة.

﴿مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ فبعضهم له جناحان، وبعضهم له ثلاثة، وبعضهم له أربعة.

و﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾ فيه خمسة أقوال:

أحدها: أنَّه زاد في خلق الملائكة الأجنحة، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: يزيد في الأجنحة ما يشاء، رواه عباد بن منصور عن الحسن، وبه قال مقاتل[1].

والثالث: أنه الخلق الحسن، رواه عوف عن الحسن.

والرابع: أنه حُسْنُ الصوت، قاله الزهري وابن جريج.

والخامس: الملاحة في العينين، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ﴾ أي: من خير ورزق، وقيل: أراد بها المطر.

﴿فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ﴾:

وقرأ أُبيُّ بن كعب، وابن أبي عبلة: «فلا مُمْسِكَ له»[2].

وفي الآية تنبيهٌ على أنه لا إله إلَّا هو، إذ لا يستطيع أحد إمساكَ ما فَتَحَ، وفَتْحَ ما أمسك.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٥١).

(٢) لم نقف عليها.

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾[فاطر: ٣-٧].

قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ ﴾.

قال المفسرون: الخطاب لأهل مكَّة، و(اذكروا) بمعنى: احفظوا، ونعمة الله عليهم: إسكانهم الحرم ومنع الغارات عنهم.

﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «غيرِ الله» بخفض الراء[١].

قال أبو علي: جعلاه صفة على اللفظ، وذلك حسنٌ لإتباع الجرِّ، وهذا استفهامٌ تقريرٌ وتوبيخ، والمعنى: لا خالق سواه يرزقكم من السماء المطرَ ومن الأرض النبات[٢].

وما بعد هذا قد سبق بيانه[٣] إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾ أي: إنه يريد هلاكَكُم.

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٥٣٤)، والحجة (٦/ ٢٦)، والمبسوط (ص:٣٦٦)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٢٩)، والتحصيل (٥/ ٣٦٧).

(٢) انظر: الحجة (٦/ ٢٦-٢٧).

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢١٠)، وسورة آل عمران الآية رقم (١٨٤)، وسورة الأنعام الآية رقم (٩٥)، وسورة لقمان الآية رقم (٣٣).

﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ أي: أنزلوه من أنفسكم منزلة الأعداء، وتجنَّبوا طاعته.

﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ﴾ أي: شيعته إلى الكفر ﴿لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾[فاطر: ٨-٩].

قوله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال:

[٦٥٨/ب] **أحدها:** أنها نزلت في أبي جهلٍ ومشركي مكَّة، قاله ابن عباس.

والثاني: في أصحاب الأهواء والملل التي خالفت الهدى، قاله سعيد بن جبير.

والثالث: أنهم اليهود والنصارى والمجوس، قاله أبو قلابة.

فإن قيل: أين جواب ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ﴾؟

فالجواب: من وجهين ذكرهما الزجاج[1].

أحدهما: أن الجوابَ محذوفٌ، والمعنى: أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله؟ ويدل على هذا قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٦٤).

والثاني: أن المعنى أفمن زين له سوء عمله فأضلَّهُ الله، ذهبت نفسك عليهم حسرات، ويدلُّ على هذا قوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾.

وقرأ أبو جعفر: «فلا تُذْهِبْ» بضم التاء وكسر الهاء، «نَفْسَكَ» بنصب السين[١].

وقال ابن عباس: لا تغتمَّ ولا تُهْلِكْ نَفْسَكَ حَسْرةً على تركهم الإيمان[٢].

قوله تعالى: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ أي: تزعجه من مكانه.

وقال أبو عبيدة: تَجْمَعُه وتَجِيءُ به[٣].

و «سُقْنَاهُ» بمعنى: نسوقه، والعرب قد تضع «فَعَلْنَا» في موضع «نَفْعَلُ».

وأنشدوا[٤]: [من البسيط]

إنْ يَسْمَعُوا رِيْبَةً طارُوا بِهَا فَرَحًا ... مِنِّي وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

المعنى: يطيروا ويدفنوا.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ وهو الحياة.

---

(١) انظر: المبسوط (ص:٣٦٦)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٣٠)، والتحصيل (٥/ ٣٦٧).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٠١)، والتفسير البسيط (١٨/ ٤٠٤).

(٣) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٥٢).

(٤) البيت نُسب لقعنب بن أم صاحب كما في الصحاح (٥/ ٢٠٦٨)، ولسان العرب (١٣/ ١٠)، وتاج العروس (٣٤/ ١٦٤)، وشرح ديوان الحماسة (٢/ ١٨٧)، وغيرها، وفي شمس العلوم (٤/ ٢١١٩) عزاه لكعب بن زهير.

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: كما أحيا الله الأرض بعد موتها، يحيي الموتى يوم البعث.

روى أبو رزين العقيلي، قال: قلت: يا رسول الله، كيف يحيي الله الموتى؟ وما آية ذلك في خلقه؟ فقال: «**هَلْ مَرَرْتَ بِوَادِي أَهْلِكَ مُحْلًا؟ ثم مَرَرْتَ بِهِ يَهْتَزُّ خَضِرًا؟**» قلت: نعم، قال: «**فَكَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى، وَتِلْكَ آيَتُهُ فِي خَلْقِهِ**»[1].

والثاني: كما أحيا الله الأرض الميتة بالماء، كذلك يحيي الله الموتى بالماء.

قال ابن مسعود: يرسل الله تعالى ماءً من تحت العرش كمنيِّ الرجال، قال: فتنبت لحمانهم وجسمانهم من ذلك الماء، كما تنبت الأرض من الثرى، ثم قرأ هذه الآية[2].

وقد ذكرنا في الأعراف[3] نحو هذا الشرح.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٦١٩٢، ١٦١٩٣)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢/ ٤٣٩)، والحاكم في مستدركه (٨٦٨٢) وصحَّحه، وعنه البيهقي في الاعتقاد (ص:٢١٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧٥٣) من رواية وكيع بن عدس أو حدس، عن أبي رزين العقيلي به. وإسناده ضعيف؛ فيه وكيع بن عدس، وهو مجهول الحال، لا يُعرف.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٧٤٤)، والحاكم في مستدركه (٨٥١٩) وصحَّحه من رواية أبي الزعراء، عن ابن مسعود رضي الله عنه به.

(٣) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٥٧).

قولــه تعــالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾[فاطـر: ١٠].

قوله: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: من كان يريد العزة بعبادة الأوثان ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾، قاله مجاهد.

والثاني: من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله، قاله قتادة.

وقـد روى أنـس عـن رسـول الله ﷺ أنـه قـال: «**إِنَّ رَبَّكُـمْ يَقُـولُ كُلَّ يَـومٍ: أَنَـا الْعَزِيـزُ فَمَـنْ أَرَادَ عِـزَّ الدَّارَيـنِ فَلْيُطِـعِ الْعَزِيْزَ**»[١].

والثالث: من كان يريد علم العزة لمن هي، فإنَّها لله جميعًا، قاله الفراء[٢].

قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾:

وقـرأ ابـن مسـعود، وأبـو عبـد الرحمـن السـلمي، والنخعـي، والجحدري، والشـيزري عـن الكسـائي: «يُصْعَـدُ الـكلامُ الطَّيِّبُ»[٣]، وهـو توحيـده وذِكْره.

---

(١) عـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٢/ ٧١٧) للحاكـم في التاريـخ، والديلمـي، وابـن عسـاكر عن أنس رضي الله عنه به.

قـال ابـن الجـوزي في كتابـه الموضوعـات (١/ ١١٩): «هـذا حديـث لا يصـح، قـال ابـن حبـان: داود كان يضـع الحديـث عـلى أنـس بـن مالـك، وكان لمـا وضـع هـذا سرق منـه».

وقـال الشـوكاني في الفوائـد المجموعـة في الأحاديـث الموضوعـة (٨): «رواه الخطيـب، عـن أنـس مرفوعًـا، وفي إسـناده: داود بـن عفـان بـن حبيـب النيسـابوري، كان يضـع الحديـث عـلى أنـس».

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٦٧).

(٣) في مختصر ابـن خالويـه (ص:١٢٣) نسبها لعلي بـن أبي طالـب، وابـن مسـعود، والسـلمي،=



﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾.

قال علي بن المديني: الكلم الطيب: لا إله إلا الله، والعمل الصالح: أداء الفرائض واجتناب المحارم.

وفي هاء الكناية في قوله: ﴿يَرْفَعُهُۥ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها ترجع إلى الكَلِم الطيب، فالمعنى: والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب، قاله ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك.

وكان الحسن يقول: يُعْرَضُ القولُ على الفعل، فإن وافق القولُ الفعلَ قُبِلَ، وإن خالف رُدَّ[1].

والثاني: أنَّها ترجعُ إلى العمل الصالح، فالمعنى: والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب، فهو عكس القول الأول، وبه قال أبو صالح، وشُهِرَ بن حوشب.

[٦٥٩/أ] فإذا قلنا: إن الكلمَ الطيِّبَ هو التوحيد، كانت فائدة هذا القول، أنه لا يُقبَلُ عملٌ صالحٌ إلَّا من موحِّد.

والثالث: أنها ترجع إلى الله ﷻ، فالمعنى: والعمل الصالح يرفعه الله إليه، أي: يقبله، قاله قتادة.

=وإبراهيم، وفي التحصيل (٥/ ٣٦٧) نسبها لعلي، وابن مسعود، وغيرهما، وفي معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٣٦٧) نسبها لأبي عبد الرحمن السلمي.

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٠٢)، والتفسير البسيط (١٨/ ٤٠٧)، وأبو حيان في البحر المحيط (٩/ ١٩).

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.

قال أبو عبيدة: يمكرون بمعنى: يكتسبون ويجترحون[١].

ثم في المشار إليهم أربعة أقوال:

أحدها: أنهم الذين مكروا برسول الله ﷺ في دار الندوة، قاله أبو العالية.

والثاني: أنهم أصحاب الرياء، قاله مجاهد، وشهر بن حوشب.

والثالث: أنهم الذين يعملون السيئات، قاله قتادة، وابن السائب.

والرابع: أنهم قائلو الشرك، قاله مقاتل[٢].

وفي معنى ﴿يَبُورُ﴾ قولان:

أحدهما: يَبطُل، قاله ابن قتيبة[٣].

والثاني: يَفسُد، قاله الزجاج[٤].

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجًاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١١﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمًا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٥٣).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٥٣).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٣٦٠).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٦٥).

مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١١-١٤].

قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ يعني آدم.

﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ يعني نسلَهُ.

﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي: أصنافًا ذكورًا وإناثًا.

قال قتادة: زوَّج بعضَهم ببعض[1].

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ أي: ما يُطَوَّلُ عمُرُ أحدٍ ﴿وَلَا يُنقَصُ﴾ قرأ الحسن، ويعقوب: «يَنْقُصُ» بفتح الياء وضم القاف[2].

﴿مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ في هذه الهاء قولان:

أحدهما: أنها كناية عن آخَرَ، فالمعنى: ولا ينقص من عمر آخر، وهذا المعنى في رواية العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد في آخرين.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٣٤٢) من رواية سعيد، عن قتادة به.

(٢) في المبسوط (ص:٣٦٦-٣٦٧) نسبها لروح وزيد عن يعقوب، وللحسن، وفي مختصر ابن خالويه (ص:١٢٤) نسبها للحسن، وابن سيرين، ويعقوب، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٤٣٢) نسبها للحسن، والأعرج، وابن سيرين، وفي التحصيل (٥/ ٣٦٧) نسبها للحسن، وأبي رجاء.

قال الفراء: وإنما كُنِّيَ عنه كأنه الأول، لأن لفظ الثاني لو ظهر كان كالأول، كأنه قال: ولا ينقص من عُمُرِ مُعَمِّرٍ، ومثله في الكلام: عندي درهمٌ ونصفُه، والمعنى: ونصفٌ آخر[١].

والثاني: أنها ترجع إلى المُعمِّر المذكور، فالمعنى ما يذهب من عمر هذا المعمر يوم أو ليلة إلا وذلك مكتوب.

قال سعيد بن جبير: مكتوب في أول الكتاب عمره كذا وكذا سنة، ثم يكتب أسفل من ذلك، ذهب يوم، ذهب يومان، ذهبت ثلاثة، إلى أن ينقطع عمره[٢].

وهذا المعنى في رواية ابن جبير عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وأبو مالك في آخرين.

فأما «الكتاب» فهو اللوح المحفوظ.

وفي قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ قولان:

أحدهما: أنه يرجع إلى كتابة الآجال.

والثاني: إلى زيادة العمر ونقصانه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ﴾ يعني: العذب والملح.

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٦٨).

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١١) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في العظمة، عن سعيد بن جبير.

وهذه الآية وما بعدها قد سبق بيانه[1] إلى قوله: ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾.

قال ابن عباس: هو القشر الذي يكون على ظهر النواة[2].

قوله تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ لأنهم جماد.

﴿وَلَوْ سَمِعُوا﴾ بأن يخلق الله لهم أسماعًا ﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ أي: لم يكن عندهم إجابة.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ أي يتبرؤون من عبادتكم.

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾ يا محمد ﴿مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ أي: عالمٌ بالأشياء يعني نفسه ﷻ، والمعنى أنه لا أخبَرَ منه ﷻ بما أَخْبَرَ أنه سيكون.

---

(١) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (٢٧)، وسورة الرعد الآية رقم (٣)، وسورة النحل الآية رقم (١٤)، وسورة الفرقان الآية رقم (٥٣).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٣٤٩) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله ﴿مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣] يقول: «الجلد الذي يكون على ظهر النواة». ورواه أيضًا في تفسيره (١٩/ ٣٤٩) من رواية العوفي، عن ابن عباس بلفظ: «يعني: قشر النواة». وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضًا (٧/ ١٤) لعبد بن حميد، وسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [فاطر: ١٥- ٢٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: المحتاجون إليه.

﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن عبادتكم ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ عند خلقه بإحسانه إليهم.

وما بعد هذا قد تقدم بيانه[1] إلى قوله: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾ أي: نفس مثقلة بالذنوب ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ الذي حملت من الخطايا ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾ الذي تدعوه ﴿ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ ذا قرابة.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: يخشونه ولم يروه، والمعنى: إنما تنفع بإنذارك أهل الخشية، فكأنك تنذرهم دون غيرهم، [٦٥٩/ ب] لمكان اختصاصهم بالانتفاع.

---

(١) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (١٦٤)، وسورة إبراهيم الآية رقم (١٩).

﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ أي تطهَّر من الشرك والفواحش، وفعل الخير.

﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: فصلاحه لنفسه.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ فيجزي بالأعمال.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ يعني: المؤمن والمشرك.

﴿وَلَا ٱلظُّلُمَـٰتُ﴾ يعني: الشرك والضلالات.

﴿وَلَا ٱلنُّورُ﴾ الهدى والإيمان.

﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: ظلُّ الليل وسموم النهار، قاله عطاء.

والثاني: الظل: الجنة، والحرور: النار، قاله مجاهد.

قال الفراء: الحرور بمنزلة السموم، وهي الرياح الحارة، والحرور تكون بالنهار وبالليل، والسموم لا تكون إلا بالنهار[1].

وقال أبو عبيدة: الحرور تكون بالنهار مع الشمس، وكان رؤبة يقول: الحرور بالليل، والسموم بالنهار[2].

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أن الأحياء المؤمنون، والأموات الكفار.

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره (١٩/ ٣٥٧)، والماوردي في النكت والعيون (٤/ ٤٦٩)، وأبو حيان في البحر المحيط (٩/ ٢٦).

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٥٤).

والثاني: أن الأحياء العقلاء، والأموات الجهال.

وفي «لا» المذكورة في هذه الآية قولان:

أحدهما: أنها زائدة مؤكدة.

والثاني: أنها نافية؛ لاستواء أحد المذكورين مع الآخر.

قال قتادة: هذه أمثال ضربها الله تعالى للمؤمن والكافر، يقول: كما لا تستوي هذه الأشياء، كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يُفهِم من يريد إفهامه.

﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾.

وقرأ [أبو][2] عبد الرحمن السلمي، والحسن، والجحدري: «بِمُسْمِعِ مَنْ» على الإضافة[3] يعني الكفار، شبَّهَهُم بالموتى.

﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾.

قال بعض المفسرين: نسخ معناها بآية السيف.

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٤/ ٤٦٩)، والواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٠٤)، والتفسير البسيط (١٨/ ٤١٦).

(٢) سقطت من الأصل، وهي ثابتة في (س) وغيرها.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ١٢٤) نسبها لعلي ﷺ، وفي التحصيل (٥/ ٣٦٧) نسبها لعيسى الثقفي، وعمرو بن ميمون، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٤٣٦) نسبها للحسن بن أبي الحسن، وفي البحر المحيط (٩/ ٢٧) نسبها للأشهب، والحسن، وفي الكامل (ص: ٦٢٤) نسبها للحسن.

قولـه تعـالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ أي: مـا مـن أمَّـةٍ إلَّا قـد جاءهـا رسـول.

ومـا بعـد هـذا قـد سـبق بيانـه[١] إلى قولـه: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أثبـت فيهـا اليـاءَ في الحالـين يعقـوبُ، وافقـه في الوصـل ورش[٢].

قولـه تعـالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[فاطـر: ٢٧-٢٨].

قوله: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ﴾ أي: ومما خلقنا من الجبال جُدَدٌ.

قـال ابـن قتيبـة: الجـدد: الخطـوط والطرائـق، تكـون في الجبـال، فبعضهـا بِيْـضٌ، وبعضهـا حُمـرٌ، وبعضهـا غَرَابِيـبُ سُـودٌ، والغَرَابِيـبُ جمـع غِرْبِيْـبٍ، وهــو الشـديد السـوادِ، يقــال: أَسْـوَدُ غِرِبِيــبٌ، وتمــام الـكلام عنـد قولــه: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يقـول: مـن الجبـال مختلـفٌ ألوانُـه ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ﴾ أي: كاختـلاف الثمـرات[٣].

قـال الفـراء: وفي الـكلام تقديـمٌ وتأخـيرٌ، تقديـره: وسُـودٌ غرابيـب، لأنـه يقـال: أَسْـوَدُ غِرْبيـبٌ، وقلَّـما يقـال: غِرْبيـبٌ أَسْـوَدُ[٤].

(١) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (١٨٤)، وسورة الحج الآية رقم (٤٤).

(٢) انظر: السبعة (ص:٤٤١)، والتيسير (ص:١٥٨، ١٨٢).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٣٦١).

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ١٠٥).

وقال الزجاج: المعنى: ومن الجبال غرابيب سود، وهي ذوات الصخر الأسود[١].

وقال ابن دريد: الغربيب: الأسود، أحسب أن اشتقاقه من الغراب[٢].

وللمفسرين في المراد بالغرابيب ثلاثة أقوال:

أحدها: الطرائق السود، قاله ابن عباس.

والثاني: الأودية السود، قاله قتادة.

والثالث: الجبال السود، قاله السدي.

ثم ابتدأ فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ يعني العلماء بالله ﷻ.

قال ابن عباس: يريد إنما يخافني مِنْ خَلقِي مَنْ عَلِمَ جبروتي وعِزَّتي وسلطاني[٣].

وقال مجاهد والشعبي: العالِمُ مَنْ خاف الله[٤].

وقال الربيع بن أنس: من لم يخشَ الله فليس بعالِمٍ[٥].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٦٩).

(٢) انظر: جمهرة اللغة (١/ ٣٢١).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٠٤)، والتفسير البسيط (١٨/ ٤٢١).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٠٤)، والتفسير البسيط (١٨/ ٤٢١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢١) لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد عن مجاهد.

(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٤/ ٤٧١)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٤/ ٤٣٧).

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾[فاطر: ٢٩-٣١].

[٦٦٠/أ] قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾ يعني قُرَّاء القرآن، فأثنى عليهم بقراءة القرآن، وكان مُطَرِّف يقول: هذه آية القُرَّاء.

وفي قوله: ﴿يَتْلُونَ﴾ قولان:

أحدهما: يقرؤون.

والثاني: يَتَّبِعُون.

قال أبو عبيدة: وأقاموا الصلاة، بمعنى: ويقيمون، وهو إدامتها لمواقيتها وحدودها[1].

قوله تعالى: ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً﴾.

قال الفراء: هذا جواب قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ ﴾[2].

قال المفسرون: والمعنى: يرجون بفعلهم هذا تجارةً لن تفسد، ولن تهلِكَ، ولن تكسد.

﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ ﴾ أي: جزاء أعمالهم.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٥٥).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٦٩).

﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾.

قال ابن عباس: سوى الثواب ما لم ترَ عينٌ، ولم تسمعْ أذنٌ[١].

فأما «الشكور»: فقال الخطابي: هو الذي يشكر اليسير من الطاعة فيُثِيبُ عليه الكثير من الثواب، ويعطي الجزيل من النعمة، ويرضى باليسير من الشكر[٢].

ومعنى الشكر المضاف إليه: الرضى بيسير الطاعة من العبد، والقبول له، وإعظام الثواب عليه، وقد يحتمل أن يكون معنى الثناء على الله بالشكور: ترغيب الخلق في الطاعة قلَّت أو كثرت، لئلَّا يستقلُّوا القليل من العمل، ولا يتركوا اليسير منه.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[فاطر: ٣٢-٣٣].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ﴾.

في ﴿ثُمَّ﴾وجهان:

أحدهما: أنها بمعنى الواو.

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٠٥)، والتفسير البسيط (١٨/ ٤٢٢).

(٢) انظر: شأن الدعاء (ص: ٦٥).

والثـاني: أنهـا للترتيـب، والمعنـى: أنزلنـا الكتـب المتقدِّمـة، ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا ﴾، وفيهـم قـولان:

أحدهما: أنهم أمة محمد ﷺ، قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم الأنبياء وأتباعهم، قاله الحسن.

وفي الكتاب قولان:

أحدهما: أنـه اسـم جنسٍ، والمـراد بـه الكتـب التـي أنزلهـا الله ﷻ، وهـذا يُخـرَّجُ عـلى القولين.

فـإن قلنـا: الذيـن اصطفَـوا أُمَّـةَ محمـد، فقـد قـال ابـن عبـاس: إن الله أورث أمَّـة محمَّـد ﷺ كلَّ كتـابٍ أنزلـه[1].

وقـال ابـن جريـر الطـبري: ومعنى ذلـك: أورثهـم الإيـمان بالكتـب كلِّها، وجميـع الكتـب تأمـر باتبـاع القـرآن، فهـم مؤمنـون بهـا، عاملـون بمقتضاهـا، واسـتدل عـلى صحـة هـذا القـول، بـأن الله تعـالى قـال في الآيـة التـي قبـل هـذه: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ وأتبعـه بقولـه: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ﴾، فعلمنـا أنهـم أمـة محمـد، إذ كان معنـى المـيراث انتقـال شيء مـن قـوم إلى قـوم، ولم تكـن أُمَّـةٌ عـلى عهـد نبينـا انتقـل إليهـم كتـاب مـن قـوم كانـوا قبلهـم غـيرَ أمَّتـه، فـإن قلنـا: هـم الأنبيـاء وأتباعهـم، كان المعنـى: أَورثْنـا

---

(١) رواه الطـبري في تفسيره (١٩/ ٣٦٨) مـن روايـة عـلي بـن أبي طلحـة، عـن ابـن عبـاس رضي الله عنهما بـه. وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثور (٧/ ٢٣) أيضًـا لابـن المنـذر، وابـن أبي حاتـم، وابـن مردويـه، والبيهقـي في البعـث.

كلَّ كتابٍ أُنزِلَ على نبيٍّ ذلك النبيَّ وأتباعَه [١].

والقول الثاني: أن المراد بالكتاب القرآن.

وفي معنى ﴿أَوْرَثْنَا﴾ قولان:

أحدهما: أعطينا، لأنَّ الميراث عطاء، قاله مجاهد.

والثاني: أخَّرنا، ومنه الميراث لأنَّه تأخر عن الميت، فالمعنى: أخَّرنا القرآن عن الأمم السالفة، وأعطيناه هذه الأمة إكرامًا لها، ذكره بعض أهل المعاني.

قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه صاحب الصغائر، روى عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**سَابِقُنَا سَابِقٌ، وَمُقْتَصِدُنَا نَاجٍ، وَظَالِمُنَا مَغْفُورٌ لَهُ**»[٢].

وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ في هذه الآية قال: «**كُلُّهُمْ فِي الْجَنَّةِ**»[٣]. [٦٦٠/ب]

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٧٣).

(٢) رواه البيهقي في البعث والنشور (٦١) من رواية ميمون بن سياه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه به. وقال البيهقي: «فيه إرسال بين ميمون بن سياه، وبين عمر رضي الله عنه. وروي من وجه آخر غير قوي، عن عمر موقوفًا عليه».
ورواه العقيلي في الضعفاء الكبير (٣/ ٤٤٣)، والواحدي في التفسير الوسيط (٧٧٤) من رواية الفضل بن عميرة، عن ميمون بن سياه، عن أبي عثمان النهدي، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه به. وأعله العقيلي بالفضل بن عميرة الطفاوي، وقال: «ولا يُتابع على حديثه»، وقال: «وهذا يُروى من غير هذا الوجه بنحو هذا اللفظ بإسناد أصلح من هذا». وانظر: تخريج أحاديث الكشاف؛ للزيلعي (١٠٦١).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٣٧٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٩٨٧)، وأحمد في=



والثاني: أنه الذي مات على كبيرةٍ ولم يَتُبْ منها، رواه عطاء عن ابن عباس.

والثالث: أنه الكافر، رواه عمرو بن دينار عن ابن عباس، وقد رواه ابن عمر مرفوعًا إلى النبي ﷺ، فعلى هذا يكون الاصطفاء لجملة من أنزل عليه الكتاب، كما قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] أي: لشرفٍ لكم، وكم من مُكْرَمٍ لم يقبل الكرامة.

والرابع: أنه المنافق، حكي عن الحسن.

وقد روي عن الحسن أنه قال: الظالم الذي ترجح سيِّئاتُه على حسناتِه، والمقتصد الذي قد استوت حسناتُه وسيِّئاتُه، والسابق من رجحت حسناته[1].

وروي عن عثمان بن عفان أنه تلا هذه الآية فقال: سابِقُنا أهلُ جهادِنا، ومُقتصِدُنا أهل حَضَرِنا، وظالِمُنا أهلُ بَدوِنا[2].

=مسنده (١١٧٤٥)، والترمذي في سننه (٣٢٢٥) من رواية الوليد بن عيزار، أنه سمع رجلاً من ثقيف، يحدِّث عن رجل من كنانة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه به. وإسناده ضعيف لإبهام رجلين فيه، وقال الترمذي رحمه الله: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٠٥)، والتفسير البسيط (٨١/ ٤٢٤).

(٢) رواه الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ١٠٨) من رواية أزهر بن عبد الله الحرازي، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢٥) لسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾:

وقرأ أبو المتوكل والجحدري وابن السميفع: «سبَّاق» مثل فعَّال[١].

﴿بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أي: بالأعمال الصالحة إلى الجنة أو إلى الرحمة.

﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بإرادته وأمره.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ يعني إيراثهم الكتاب.

ثم أخبر بثوابهم فجمعهم في دخول الجنة فقال: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾.

قرأ أبو عمرو وحده: «يُدْخَلُونَها» بضم الياء، وفتحها الباقون[٢].

وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: «وَلُؤْلُؤاً» بالنصب.

وروى أبو بكر عن عاصم أنه كان يهمز الواو الثانية، ولا يهمز الأولى، وفي رواية أخرى أنه كان يهمز الأولى، ولا يهمز الثانية[٣].

والآية مفسَّرةٌ في سورة الحج[٤].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٤)، والتحصيل (٥/ ٣٧٥)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٣٧)، كلهم نسبوها لأبي عمران الجوني، وقال في البحر المحيط (٩/ ٣٣): «وقرأ أبو عمران الجوني، وعمر بن أبي شجاع، ويعقوب في رواية، والقراءة عن أبي عمرو: سبَّاق».

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٣٤)، والحجة (٦/ ٢٧)، والمبسوط (ص:٣٦٧)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٤٠)، والتحصيل (٥/ ٣٧٥).

(٣) انظر: السبعة (ص:٥٣٤-٥٣٥)، والحجة (٦/ ٢٩)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٤٠).

(٤) انظر: تفسير سورة الحج الآية رقم (٢٣).



قال كعب: تحاكَّتْ مناكبهم وربِّ الكعبة، ثم أُعطوا الفضلَ بأعمالهم[1].

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [فاطر: ٣٤-٣٩].

ثم أخبر عما يقولون عند دخولها، وهو قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ الحَزَن والحُزْن واحدٌ، كالبَخَل والبُخْل.

وفي المراد بهذا الحَزَنِ خمسة أقوال:

أحدها: أنَّه الحزن لطول المقام في المحشر، روى أبو الدرداء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أَمَّا السَّابِقُ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَأَمَّا الْمُقْتَصِدُ فَيُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَأَمَّا الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ فَإِنَّهُ حَزِينٌ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ**»[2].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٣٧٠) من رواية إسحاق بن عبد الله بن الحارث، عن أبيه، أن ابن عباس، سأل كعبًا عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢] إلى قوله: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢] فقال: «تماست مناكبهم ورب الكعبة، ثم أعطوا الفضل بأعمالهم». وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضًا (٧/ ٢٧) لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٣٧٥)، والثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ١٠٨)، وأحمد في=

فهو الحزن والغمُّ، وذلك قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾.

والثاني: أنه الجوع، رواه أبو الدرداء أيضًا عن رسول الله ﷺ ولا يصحُّ[١]، وبه قال شمر بن عطيَّةَ، وفي لفظ عن شمر أنَّه قال: الحَزَنُ هَمُّ الخُبز[٢].

وكذلك روي عن سعيد بن جُبَيرٍ أنَّه قال: الحَزَنُ هَمُّ الخُبز في الدنيا[٣].

والثالث: أنَّه حَزَنُ النار، رواه أبو الجوزاء عن ابن عبَّاس.

=مسنده (٢١٦٩٧) من رواية الأعمش، عن أبي ثابت، عن أبي الدرداء رضي الله عنه به.

وأخرجه الحاكم في مستدركه (٣٥٩٢)، والبيهقي في البعث والنشور (٥٨)، والطبراني كما في مجمع الزوائد (١١٢٩١) من رواية الأعمش، عن رجل قد سماه، عن أبي الدرداء به.

قال الحاكم: «وقد اختلفت الروايات عن الأعمش في إسناد هذا الحديث: فروي عن الثوري، عن الأعمش، عن أبي ثابت، عن أبي الدرداء رضي الله عنه. وقيل عن شعبة، عن الأعمش، عن رجل من ثقيف، عن أبي الدرداء. وقيل عن الثوري أيضًا، عن الأعمش قال: ذكر أبو ثابت، عن أبي الدرداء. وإذا كثرت الروايات في الحديث ظهر أن للحديث أصلاً».

وقال الهيثمي: «رواه الطبراني عن الأعمش عن رجل سماه، فإن كان هو ثابت بن عمير الأنصاري كما تقدم عند أحمد فرجال الطبراني رجال الصحيح».

وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضًا (٧/ ٢٤) للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(١) لم نقف عليه.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٣٧٨) من رواية ابن حميد، عن شمر بلفظ: «حزن الخبز».

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢٩) لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان عن شمر بن عطية رضي الله عنه بلفظ: «حزن الطعام».

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٠٦)، والتفسير البسيط (١٨/ ٤٢٩).

والرابع: حزنهم في الدنيا على ذنوبٍ سلفت منهم، رواه عكرمة عن ابن عباس.

والخامس: حزن الموت، قاله عطيَّة.

والآية عامَّةٌ في هذه الأقوال وغيرها، ومن القبيح تخصيص هذا الحزن بالخبز وما يُشبِهُه، وإنما حزنوا على ذنوبهم وما يوجبه الخوف.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا﴾ أي: أنزلَنا ﴿دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾.

قال الفراء: المُقامة هي الإقامة، والمَقامة: المجلس بالفتح لا غير[1].

قال الشاعر[2]: [من البسيط]

يَومَانِ يومُ مَقَامَاتٍ وأَنْدِيَةٍ ويومُ سَيْرٍ إلى الأَعداءِ تَأْوِيبِ

قوله تعالى: ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾.

قال الزجاج: أي بتفضُّلِهِ لا بأعمالنا، والنَّصَب: التعب، واللُّغوب: الإعياء من التعب[3]. [٦٦١/أ]

ومعنى ﴿لُغُوبٌ﴾ شيءٌ يُلْغِبُ، أي: لا نتكلَّف شيئاً نُعَنَّى منه.

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٧٠).

(٢) البيت لسلامة بن جندل في ديوانه (ص: ٩٢) وخزانة الأدب (٤/ ٢٧)، وسر صناعة الإعراب (٢/ ٢٦٧)، وتصحيح الفصيح (ص:٣٥٨)، والمفضليات (ص:١٢٠)، والكامل في اللغة والأدب (٣/ ٥١)، وشرح اختيارات المفضل (٢/ ٥٧٠) ولسان العرب (١/ ٢٢٠) مادة (أوب)؛ والمقاصد النحوية (٢/ ٣٢٦)، وبلا نسبة في المقتضب (٣/ ٨٢).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٧١).

قوله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ أي: لا يهلكون فيستريحوا ممَّا هم فيه، ومثله: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥].

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾.

وقرأ أبو عمرو: «يُجْزَى» بالياء «كُلُّ» برفع اللام.

وقرأ الباقون: ﴿نَجْزِي﴾ بالنون ﴿كُلَّ﴾ بنصب اللام[١].

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ وهو افتعالٌ من الصراخ، والمعنى: يستغيثون، فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ أي: نُوحِّدُكَ ونُطيعُك ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ من الشرك والمعاصي، فوبَّخهم الله تعالى بقوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾.

قال أبو عبيدة: معناه التقرير، وليس باستفهامٍ، والمعنى: أولم نُعمِّرْكم عمُرًا يتذكَّرُ فيه من تذكَّر؟[٢]

وفي مقدار هذا التعمير أربعة أقوال:

أحدها: أنه سبعون سنةً.

قال ابن عمر: هذه الآية تعييرٌ لأبناء السبعين[٣].

والثاني: أربعون سنة.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٣٥)، والحجة (٦/ ٢٧)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٤١)، والتحصيل (٥/ ٣٧٦).

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٥٦).

(٣) لم نقف عليه.

والثالث: ستُّون سنةً، رواهما مجاهد عن ابن عبَّاس، وبالأول منهما قال الحسن وابن السائب.

والرابع: ثماني عشرةَ سنةً، قاله عطاء، ووهب بن منبه، وأبو العالية، وقتادة.

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه الشيب، قاله ابن عمر، وعكرمة، وسفيان بن عيينة، والمعنى: أولم نعمِّرْكم حتى شِبْتُم.

والثاني: النبي ﷺ، قاله قتادة، وابن زيد، وابن السائب، ومقاتل[١].

والثالث: موت الأهل والأقارب.

والرابع: الحُمَّى، ذكرهما الماوردي[٢].

قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ﴾ يعني: العذاب.

﴿فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ أي: مِنْ مانعٍ يمنع عنهم.

وما بعد هذا قد تقدَّمَ بيانه[٣]، إلى قوله: ﴿خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وهي الأُمَّة التي خلَّفت من قبلَها، ورأت فيمن تقدَّمها ما ينبغي أن تُعتبَر به.

﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ أي: جزاءُ كُفره.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٥٩).

(٢) انظر: النكت والعيون (٤/ ٤٧٦).

(٣) انظر: تفسير سورة المائدة رقم (٧).

قولـه تعـالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ۝٤٠ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[فاطـر: ٤٠-٤١].

قولـه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ﴾ المعنـى: أخـبروني عـن الذيـن عبدتـم مـن دون الله، واتخذتُموهـم شركاءَ بزعمكـم، بـأيِّ شيءٍ أوجبتـم لهـم الشركـة في العبـادة؟ أَبِـشَيءٍ خلَقُـوه مـن الأرض، أم شـاركوا خالـقَ السـماء في خلقهـا؟

ثم عاد إلى الكفَّارُ فقال: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا﴾ يأمرهم بها يفعلون.

﴿فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾:

قـرأ ابـن كثـير، وأبـو عمـرو، وحمـزة، وحفـصٌ عـن عاصـم: ﴿عَلَىٰ بَيِّنَتٍ﴾ عـلى التوحيـد.

وقرأ نافع، وابن عامر، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصم: «بيِّناتٍ» جمعاً[١].

والمراد: البيانُ بأنَّ مع الله شريكًا.

﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يعنـي المشركـين يَعِـدُ ﴿بَعْضُهُم بَعْضًا﴾ أنَّ الأصنـامَ تشـفع لهـم، وأنَّـه لا حسـابَ عليهـم ولا عقـاب.

وقال مقاتل: ما يعدُ الشيطانُ الكفَّارَ من شفاعة الآلهة إلَّا باطلاً[٢].

---

(١) انظـر: السـبعة (ص:٥٣٥)، والحجـة (٦/ ٢٩)، والمحـرر الوجيـز (٤/ ٤٤٢)، والتحصيـل (٥/ ٣٧٦).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٦٠).

قولـه تعـالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَا﴾ أي: يمنعُهـما مـن الـزوال والذهـاب والوقـوع.

قـال الفـراء: ﴿وَلَئِن﴾ بمعنـى «ولـو»، و «إن» بمعنـى «مـا»، فالتقديـر: ولـو زالتـا مـا أمسـكهما مـن أحـد[1].

وقـال الزجـاج: لمـا قالـت النصـارى: المسيح ابـن الله، وقالـت اليهـود: عُزَيـرٌ ابـن الله، كادت السـماوات يتفطَّـرن، والجبـال أن تـزولَ، والأرض أن تنشـقَّ، فأمسـكها الله ﷻ، وإنَّـما وحَّـدَ الأرض مـع جمـع السـماوات؛ لأنَّ الأرضَ تـدلُّ عـلى الأرضـين. [٦٦١/ ب]

﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾ تحتمل وجهين:

أحدهما: زوالها يوم القيامة.

والثـاني: أن يقـال تقديـرًا: وإن لم تـزولا، وهـذا مـكانٌ يـدلُّ عـلى القـدرة، غـير أنَّـه ذَكَـرَ الحِلْـمَ فيـه؛ لأنَّـه لمـا أمسـكَها عنـد قولهـم: ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا﴾ [مريـم: ٨٨]، حَلُـمَ فلـم يعجِّـلْ لهـم العقوبـة[2].

قولــه تعــالى: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ٤٢ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾[فاطـر: ٤٢-٤٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٧٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٧٣).

قوله: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ يعني: كفَّار مكة حلفوا بالله قبل إرسال محمد ﷺ ﴿لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ أي: رسولٌ ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ﴾ أي: أَصْوَبَ دِينًا ﴿مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ يعني: اليهود والنصارى والصابئين.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ وهو محمد ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ مجيئُهُ ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ أي: تباعُدًا عن الهدى.

﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: عُتوًّا على الله وتكبُّرًا عن الإيمان به.

قال الأخفش: نصب ﴿ٱسْتِكْبَارًا﴾ على البدل من النفور[١].

قال الفراء: المعنى: فعلوا ذلك استكبارًا، ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ فأضيف المكرُ إلى السيِّء، كقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الحاقة: ٥١]، وتصديقه في قراءة عبد الله: «ومَكْراً سَيِّئاً»[٢]، والهمزة في «السيِّئ» مخفوضةٌ، وقد جزمها الأعمش وحمزة[٣]؛ لكثرة الحركات[٤].

قال الزجاج: وهذا عند النحويِّين الحُذَّاقِ لَحْنٌ، إنَّما يجوز في الشِّعر اضطراراً[٥].

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ١١٦)، والواحدي في التفسير البسيط (١٨/ ٤٣٩)، وأبو حيان في البحر المحيط (٩/ ٤١)، ولم نقف عليه في كتابه معاني القرآن.

(٢) في المحتسب (٢/ ٢٠٢)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٤٣)، والبحر المحيط (٩/ ٤٢) كلهم نسبوها لعبد الله بن مسعود.

(٣) انظر: السبعة (ص:٥٣٥)، والحجة (٦/ ٣٠)، وتفسير الطبري (١٩/ ٣٩٣)، والتحصيل (٥/ ٣٧٦)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٤٣).

(٤) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٧١).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٧٥).

وقال أبو جعفر النحاس: كان الأعمش يقف على «مَكْرَ السيِّئ» فيترك الحركةَ، وهو وقفٌ حَسَنٌ تامٌّ، فغَلِط الراوي، فروى أنَّه كان يَحْذِفُ الإِعرابَ في الوصل، فتابع حمزةُ الغلط، فقرأ في الإِدراج بترك الحركة[1].

وللمفسِّرين في المراد بـ «مَكرَ السيِّئ» قولان:

أحدهما: أنَّه الشِّرك، قال ابن عبَّاس: عاقبة الشرك لا تحُلُّ إلَّا بمن أشركَ[2].

والثاني: أنَّه المَكرُ برسول الله ﷺ، حكاه الماوردي[3].

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون ﴿إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: إلا أن ينزلَ العذاب بهم كما نزل بالأمم المكذِّبة قبلَهم.

﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ﴾ في العذاب ﴿تَبْدِيلًا﴾ وإن تأخَّر.

﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ أي: لا يقدرُ أحدٌ أن يحوِّلَ العذاب عنهم إلى غيرهم.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٠٨)، والتفسير البسيط (١٨/ ٤٤٢).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٠٨)، والتفسير البسيط (١٨/ ٤٤٣).

(٣) انظر: النكت والعيون (٤/ ٤٧٨-٤٧٩).

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾[فاطر: ٤٤-٤٥].

قوله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ هذا عامٌّ، وبعضهم يقول: أراد بالناس المشركين.

والمعنى: لو واخذَهم بأفعالهم لعجَّل لهم العقوبة، وقد شرحنا هذه الآيةَ في النحل[1]، وما أخللنا به فقد سبق بيانُه[2].

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾.

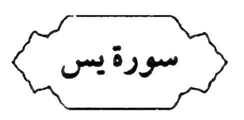
قال ابن جرير: بصيرًا بمن يستحقُّ العقوبة، ومن يستوجب الكرامة[3].

---

(١) انظر: تفسير سورة النحل الآية رقم (٦١).

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٣٤)، وسورة يوسف الآية رقم (١٠٩)، وسورة النحل الآية رقم (٦١)، وسورة الروم الآية رقم (٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٩٧).



سورة يس

وفيها قولان:

أحدهما: أنَّها مكيَّة، قاله ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وقتادة، والجمهور.

وروي عن ابن عباس وقتادة أنَّهما قالا: إنها مكيَّةٌ إلَّا آيةٌ منها، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا﴾[1] [يس: ٤٥].

والثاني: أنها مدنيَّةٌ، حكاه أبو سليمان الدمشقيُّ، وقال: ليس بالمشهور.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿يس ① وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ② إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ③ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ④ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ⑤ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ [يس: ١-٦].

وفي قوله: ﴿يس﴾ خمسة أقوال:

أحدُها أنَّ معناها: يا إنسان، بالحبشية، رواه عكرمة عن ابن عبَّاس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جُبَيرٍ، وعكرمة، ومقاتل[2].

والثاني: أنها قسَمٌ أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس.

والثالث: أن معناها يا محمد، قاله ابن الحنفية، والضحاك. [٦٦٢/أ]

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٥/ ٥).

(٢) انظر: التفسير البسيط؛ للواحدي (١٨/ ٤٤٩).

والرابع: أن معناها يا رجل، قاله الحسن.

والخامس: اسمٌ من أسماء القرآن، قاله قتادة.

وقرأ الحسن، وأبو الجوزاء: «يَسنِ» بفتح الياء وكسر النون[١].

وقرأ أبو المتوكل، وأبو رجاء، وابن أبي عبلة: بفتح الياء والنون جميعًا[٢].

وقرأ أبو حصين الأسدي: بكسر الياء وإظهار النون[٣].

قال الزجَّاج: والذي عند أهل العربيَّة أنَّ هذا بمنزلة افتتاح السور، وبعض العرب يقول: «يَسِيْنَ وَالْقُرْآنِ» بفتح النون.

وهذا جائزٌ في العربية لوجهين:

أحدهما: أن «يس» اسمٌ للسورة، فكأنَّه قال: (اُتْلُ يَس)، وهو على وزن (هابيلَ، وقابيلَ) لا ينصرف.

والثاني: أنه فُتِحَ لالتقاء الساكنين.

والتسكينُ أجوَدُ؛ لأنَّه حرف هجاء[٤].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٥)، ، وفي الكامل (ص:٦٢٤) كلاهما نسبها لأبي السمال، وفي المحتسب (٢/ ٢٠٣) وفي التحصيل (٥/ ٣٩٢) كلاهما نسبها لأبي السمال، وابن أبي إسحاق بخلاف.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٥) نسبها لعيسى بن عمر، وفي التحصيل (٥/ ٣٩٢) نسبها لابن أبي إسحاق باختلاف عنه، وفي الكامل (ص:٦٢٤) نسبها لابن أبي عبلة، وفي المحتسب (٢/ ٢٠٣) نسبها لابن أبي إسحاق بخلاف، والثقفي.

(٣) لم نقف عليها.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٧٧).

قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ هذا قَسَمٌ، وقد سبق معنى الحكيم[١].

قال الزجاج: وجوابه: ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾، وأحسن ما جاء في العربية أن يكون «لمن المرسلين» خبرَ «إنَّ»، ويكون قوله: ﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ خبرًا ثانيًا، فيكون المعنى: ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾، إنَّك ﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾، ويجوز أن يكون: ﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٍ ﴾ من صلة ﴿ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ فيكون المعنى: إنَّك لمن المرسلين الذين أرسلوا على طريقةٍ مستقيمة[٢].

قوله تعالى: ﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «تنزيلُ» برفع اللام.

وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿ تَنزِيلَ ﴾ بنصب اللام.

وعن عاصمٍ كالقراءتين[٣].

قال الزجاج: من قرأ بالنصب، فعلى المصدر، على معنى: نَزَّلَ اللهُ ذلك تنزيلاً.

ومن قرأ بالرفع، فعلى معنى: الذي أُنزِلَ إليك تنزيلُ العزيز[٤].

وقال الفراء: من نصب أراد إنَّك لمن المرسلين تنزيلاً حقًّا مُنزَّلاً، ويكون الرفع على الاستئناف كقوله: «ذلك تنزيلُ العزيز»[٥].

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٣٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٧٧-٢٧٨).

(٣) انظر: السبعة (ص:٥٣٩)، والحجة (٦/ ٣٦)، والمبسوط (ص:٣٦٩)، والتيسير (ص:١٨٢)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٤٦)، والتحصيل (٥/ ٣٩٢).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٧٨).

(٥) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٧٢).

وقرأ أُبَيُّ بن كعبٍ، وأبو رزين، وأبو العالية، والحسن، والجحدري: «تَنزِيلِ» بكسر اللام[١].

وقال مقاتل: هذا القرآن تنزيلُ العزيز في مُلكِه، الرحيمُ بخَلقِه[٢].

قوله تعالى: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ ﴾ في «ما» قولان:

أحدهما: أنَّها تنفي، وهو قول قتادة، والزجاج[٣] في الأكثرين.

والثاني: أنَّها بمعنى «كما»، قاله مقاتل[٤].

وقيل: هي بمعنى الذي.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ أي: عن حُجَجِ التوحيد وأدلَّةِ البعث.

قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[يس: ٧-١٢].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٥) نسبها لليزيدي، وفي البحر المحيط (٩/ ٤٩) نسبها لأبي حيوة، واليزيدي، والقورصي عن أبي جعفر، وشيبة.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٧٣).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٧٨).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٧٣).

﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ ﴾ فيه قولان:

أحدهما: وجب العذاب.

والثاني: سبق القول بكُفرِهم.

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾ يعني أهل مكَّة، وهذه إشارةٌ إلى إرادة الله تعالى السابقةِ لكُفرِهم.

﴿ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ لما سبق من القدَرِ بذلك.

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّها مَثلٌ، وليس هناك غُلٌّ حقيقةً، قاله أكثر المحقِّقين.

ثم لهم فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّها مَثلٌ لمنعهم عن كلِّ خيرٍ، قاله قتادة.

والثاني: لِحَبْسِهم عن الإنفاق في سبيل الله بموانع كالأغلال، قاله الفراء[1]، وابن قتيبة[2].

والثالث: لمنعهم من الإيمان بالله، قاله أبو سليمانَ الدمشقيُّ.

والقول الثاني: أنَّها موانعُ حسيَّةٌ مَنعَتْ كما يمنع الغُلُّ.

قال مقاتل بن سليمان: حلف أبو جهلٍ: لئن رأى النبيَّ ﷺ يصلِّي ليدمغنَّهُ، فجاءه وهو يصلِّي، فرفع حجرًا فيبَسَتْ يدُه، والتصق الحجرُ [٦٦٢/ب]

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٧٣).

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص:٩٦).

بيـدِه، فرجـع إلى أصحابـه فأخبرهـم الخـبر، فقـام رجـلٌ منهـم فأخـذَ الحجـرَ، فلـما دنـا مـن رسـول الله ﷺ طمـسَ الله عـلى بـصره فلـم يـرَهُ، فرجـع إلى أصحابـه فلـم يُبصِرْهُـم حتَّـى نـادَوهُ، فنـزلَ في أبي جهـلٍ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ الآيـة، ونـزل في الآخَـر: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾[1].

والقـول الثالـث: أنَّـه عـلى حقيقتـه، إلَّا أنَّـه وَصـفٌ لمـا سَيُنزِلُه الله تعـالى بهـم في النـار، حـكاه المـاوردي[2].

قوله تعالى: ﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾.

قـال الفـراء: فهـي كنايـةٌ عـن الأيـمان، ولم تُذْكَـرْ؛ لأنَّ الغُـلَّ لا يكـونُ إلاَّ في اليمـين والعنـق جامعـاً لهـما، فاكتُفِـيَ بذكـر أحدهمـا عـن صاحبـه[3].

وقـال الزجـاج: هـي كنايـةٌ عـن الأيـدي، ولم يذكُرْهـا إيجـازًا، لأنَّ الغُـلَّ يتضمَّـنُ اليـدَ والعنـق، وأنشـد[4]: [مـن الوافـر]

فَـمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْـتُ أَرْضـاً ... أُرِيـدُ الخَـيْرَ أَيُّهُـمَا يَلِينِـي؟

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٧٣).

(٢) انظر: النكت والعيون (٥/ ٧).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٧٢).

(٤) البيت للمثقب العبدي كما في ديوانه (ص:٢١٢)، وفي معاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٤/ ٢٧٩)، والشعر والشعراء (١/ ٣٨٤)، والصناعتين (ص:١٨٥)، وجمهرة الأمثال (٢/ ٤٠٢)، وخزانة الأدب (١١/ ٨٠)، وشرح اختيارات المفضل (ص:١٢٦٧)، وشرح شواهد المغني (١/ ١٩١)، وبلا نسبة في معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٣٧٢)، وتخليص الشواهد (ص:١٤٥)، وخزانة الأدب (٦/ ٣٧).

وإنَّما قال: (أيُّهما) لأنَّه قد عَلِمَ أنَّ الخير والشر مُعرَّضان للإنسان[١].

قال الفراء: والذَّقْن: أسفل اللَّحْيَيْن، والمُقْمَحُ: الغاضُّ بصرَهُ بعدَ رفعِ رأسه[٢].

قال أبو عبيدة: كلُّ رافعٍ رأسَهُ فهو مُقَامِحٌ وقَامِحٌ، والجمع: قِماحٌ، فإن فُعِلَ ذلك بإنسانٍ فهو مُقْمَحٌ، ومنه هذه الآية[٣].

وقال ابن قتيبة[٤]: يقال: بعيرٌ قامِحٌ، وإبلٌ قِماحٌ: إذا رَوِيَتْ من الماء فقَمَحَتْ، قال الشاعر[٥]- وذكر سفينةً -: [من الوافر]

وَنَحْنُ عَلَى جَوانِبِهَا قُعُودٌ ... نَغُضُّ الطَّرْفَ كالإِبِلِ القِمَاحِ

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٧٩-٢٨٠).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٧٣).

(٣) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٥٧).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:٣٦٣).

(٥) البيت لبشر بن أبي خازم في ديوانه (ص: ٤٨)، والمذكر والمؤنث (٢/ ١٠٧)، والشعر والشعراء (١/ ٢٦٣)، وأمالي الزجاجي (١/ ١٢٣)، وديوان المعاني (٢/ ١٢)، والأزمنة والأمكنة (ص:١٢٩)، ونهاية الأرب (١/ ٢٥٦)، ولسان العرب (٢/ ٥٦٦) مادة (قمح)، وتاج العروس (٧/ ٦٣) مادة (قمح)، ومجمل اللغة (٤/ ١٢٢) مادة (قمح)، والمخصص (٧/ ١٠٠، ١٦/ ١٣٤)، وديوان الأدب (١/ ٤٥٦)، وتهذيب اللغة (٤/ ٨١)، وأساس البلاغة ص ٣٧٧ (قمح)، وبلا نسبة في غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص:٣٦٣)، والأضداد (ص:٢٣١)، وكتاب العين (٣/ ٥٥)، وجمهرة اللغة (ص: ٥٦٠) ومقاييس اللغة (٥/ ٢٤).



وقال الأزهري: المُراد أنَّ أيديَهُم لمَّا غُلَّتْ عند أعناقهم، رَفَعَتْ الأغلالُ أذقانَهم ورؤوسَهم، فهم مرفوعو الرؤوسِ برفع الأغلال إيَّاها[١].

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا ﴾:

قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: بفتح السين، والباقون: بضمِّها[٢]، وقد تكلَّمنا على الفرق بينهما في سورة الكهف[٣].

وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: منعناهم عن الإيمانِ بموانعَ، فهم لا يستطيعونَ الخروجَ عن الكفر.

والثاني: حجبناهم عن أذى رسول الله ﷺ بالظُّلمة لَمَّا قصدوه بالأذى.

قوله تعالى: ﴿ فَأَغْشَيْنَٰهُمْ ﴾.

قال ابن قتيبة: أغشينا عيونهم وأعميناهم عن الهدى[٤].

وقرأ ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة، ويحيى بن يعمر: «فَأَعْشَيْنَاهُم» بعينٍ غيرِ مُعجمَة[٥].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (٤/ ٥١).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٣٩)، والحجة (٦/ ٣٦)، والتيسير (ص:١٨٣)، والتحصيل (٥/ ٣٩٢-٣٩٣).

(٣) انظر: تفسير سورة الكهف الآية رقم (٩٤).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:٣٦٣).

(٥) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٥) نسبها للنبي ﷺ، وعمر بن عبد العزيز، والحسن، وأبي رجاء، وفي التحصيل (٥/ ٣٩٣) نسبها لابن عباس، وعكرمة، وغيرهما، وفي=

ثمَّ ذكر أنَّ الإنذارَ لا ينفعهم؛ لإضلاله إيَّاهم بالآية التي بعدَ هذه.

ثـمَّ أخـبر عمَّـنْ ينفعُـه الإنـذارُ بقولـه تعـالى: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ﴾ أي: إنَّـما ينفـعُ إنـذارُكَ ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ ﴾ وهـو القـرآن، فعمـلَ بـه.

﴿وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ وقـد شرحنـاه في الأنبيـاء[1]، والأجـر الكريـم: الحسَـنُ، وهـو الجنَّـة.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ للبعـث ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ ﴾ مـن خـيرٍ وشرٍّ في دنياهـم.

وقـرأ النخعـي، والجحـدري: «ويُكْتَـبُ» بيـاءٍ مرفوعـةٍ وفتـح التـاء، «وآثارُهـم» برفـع الـراء[2].

وفي «آثارهم» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّها خُطاهم بأرجُلِهم، قاله الحسن، ومجاهد، وقتادة.

قـال أبـو سـعيد الخـدري: شـكَتْ بنـو سـلمةَ إلى رسـول الله ﷺ بُعْـدَ منازلهـم مـن المسجد، فأنـزل الله تعـالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ﴾ فقـال [٦٦٣/أ]

=الهدايـة (٩/ ٦٠٠٧) نسـبها لابـن عبـاس، وعكرمـة، ويحيـى بـن يعمـر، وفي المحـرر الوجيـز (٤/ ٤٤٧) نسـبها لابـن عبـاس، وعكرمـة، وابـن يعمـر، و عمـر بـن عبـد العزيـز، والنخعي، وابـن سـيرين، وفي المحتسـب (٢/ ٢٠٤) نسـبها لابـن عبـاس، وعكرمـة، وابـن يعمَـرَ، ويزيد البربـري، وعمـر بـن عبـد العزيـز، ويزيـد بـن المهلـب، والنخعـي، وابـن سـيرين، بخلاف.

(١) انظر: تفسير سورة الأنبياء الآية رقم (٤٩).

(٢) في مختصر ابـن خالويـه (ص:١٢٥)، وفي البحـر المحيـط (٩/ ٥٢) كلاهمـا نسـبها لـزر، وابـن مسروق، وفي التحصيـل (٥/ ٣٩٣) نسـبها لمسروق.

النبيُّ ﷺ: «عَلَيْكُمْ مَنَازِلَكُمْ، فَإِنَّمَا تُكْتَبُ آثَارُكُمْ»[١].

وقال قتادة وعمر بن عبد العزيز: لو كان اللهُ مُغْفِلاً شيئاً، لأغفلَ ما تُعَفِّي الرياحُ من أثر قَدَم ابن آدم[٢].

والثاني: أنَّها الخُطا إلى الجمعة، قاله أنس بن مالك.

والثالث: ما أَثَرُوا من سُنَّةٍ حسنةٍ أو سيِّئةٍ يُعْمَلُ بها بعدهم، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، واختاره الفراء[٣]، وابن قتيبة[٤]، والزجاج[٥].

قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾:

وقرأ ابن السميفع، وابن أبي عبلة: «وكُلُّ» برفع اللام[٦].

أي: من الأعمال ﴿أَحْصَيْنَٰهُ﴾ أي: حفظناه.

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٣٢٢٦) وحسَّنه، والحاكم في مستدركه (٣٦٠٤) وصحَّحه، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٦٣٠)، والطبري في تفسيره (١٩/ ٤١٠) من رواية أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضًا (٧/ ٤٦) لعبد الرزاق والبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه. وهو في صحيح مسلم (٦٦٥) وغيره، لكن من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وعند البخاري (٦٥٦، ١٨٨٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٩٤) لابن أبي حاتم عن قتادة، وعزاه ابن كثير في تفسيره (٦/ ٢١٩) لابن أبي حاتم أيضًا عن عمر بن عبد العزيز.

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٧٣).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:٣٦٤).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٨١).

(٦) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٥)، وفي البحر المحيط (٩/ ٥٢) كلاهما نسبها لأبي السمال.

﴿فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ وهو اللوح المحفوظ.

قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾[يس: ١٣-١٩].

قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾ المعنى: صِفْ لأهلِ مكَّةَ مثلاً؛ أي: شبهًا.

وقال الزجاج: المعنى: مثِّلْ لهم مثلاً ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ وهو بدلٌ من (مَثَل)، كأنَّه قال: اذكر لهم أصحابَ القريةِ[1].

وقال عكرمة، وقتادة: هذه القرية هي أنطاكية[2].

﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾ وفي اسميهما ثلاثة أقوال:

أحدها: صادقٌ وصدوقٌ، قاله ابن عباس، وكعب.

والثاني: يوحنا، وبولس، قاله وهب بن منبِّهٍ.

والثالث: تومان، وبولس، قاله مقاتل[3].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٨١).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٤١٣) من رواية سعيد، عن قتادة به، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٤١٣) من رواية السدي، عن عكرمة به.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٧٥).

قوله تعالى: ﴿فَعَزَّزۡنَا﴾:

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿فَعَزَّزۡنَا﴾ بتشديد الزاي[١].

قال ابن قتيبة: المعنى: قوَّيْنا وشدَّدْنا، يقال: تعزَّزَ لحمُ النَّاقة: إذا صَلُب[٢].

وقرأ أبو بكر، والمفضَّل عن عاصم: «فعَزَزْنا» خفيفة[٣].

قال أبو علي: أراد: فغَلَبْنا[٤].

قال مقاتل: واسم هذا الثالث شمعون، وكان من الحواريِّينَ، وهو وصيُّ عيسى عليه السلام[٥].

قال وهب: وأوحى الله إلى شمعون يخبره خبر الاثنين، ويأمره بنُصرَتِهما، فانطلق يَؤُمُّهما.

وذكر الفراء أنَّ هذا الثالثَ كان قد أُرسِلَ قبلَهما؛ قال: ونراه في التنزيل كأنَّه بعدَهُما، وإنَّما المعنى: فعزَّزْنا بالثالث الذي قبلَهُما[٦].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٣٩)، والحجة (٦/ ٣٨)، والمبسوط (ص:٣٦٩)، والتيسير (ص:١٨٢)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٤٩)، والتحصيل (٥/ ٣٩٣).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٣٦٤).

(٣) انظر: المصادر السابقة.

(٤) انظر: الحجة (٦/ ٣٨).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٧٥).

(٦) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٧٣).

والمفسرون على أنه إنما أُرسِلَ لنصرتهما، ثم إن الثالث إنَّما يكونُ بعد ثانٍ، فأمَّا إذا سبق الاثنين فهو أوَّل؛ وإنِّي لأتعجَّبُ من قول الفراء.

واختلف المفسرون فيمن أَرسَل هؤلاء الرسلَ على قولين:

أحدهما: أنَّ الله تعالى أرسلهم، وهو ظاهر القرآن، وهو مرويٌّ عن ابن عباس، وكعب، ووهب.

والثاني: أن عيسى أرسلهم.

وجاز أن يُضاف ذلك إلى الله تعالى؛ لأنَّهم رسُلُ رسوله، قاله قتادة، وابن جريج.

قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ أي: ما لكم علينا فضلٌ في شيء.

﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ ﴾ أي: لم ينزِّلْ كتابًا، ولم يرسِلْ رسولاً.

وما بعدَهُ ظاهرٌ إلى قوله: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ﴾ وذلك أنَّ المطرَ حُبِسَ عنهم، فقالوا: إنَّما أصابَنا هذا من قِبَلِكم.

﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ ﴾ أي: تسكُتوا عنَّا ﴿ لَنَرْجُمَنَّكُمْ ﴾ أي: لنقتُلَنَّكم.

﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾ أي: شؤمكم معكم بكفركم، لا بنا.

﴿ أَئِن ذُكِّرْتُم ﴾:

قرأ ابن كثير: «أين ذُكِّرْتم» بهمزةٍ واحدةٍ بعدَها ياء.

وافقه أبو عمرو، إلَّا أنَّه كان يمد[1].

قال الأخفش: معناه: حيث ذُكِّرتم، أي: وُعِظتم وخُوِّفتم، وهذا استفهامٌ جوابه محذوفٌ، تقديرُه: أئن ذُكِّرتم تطيَّرتم بنا[2].

وقيل: أَئِنْ ذُكِّرتُم قلتم هذا القول.

والمسرفون هاهنا: المشركون. [٦٦٣/ب]

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٢١ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ۝٢٣ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٤ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ۝٢٥ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٧ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ۝٢٨ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾[يس: ٢٠-٢٩].

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ واسمه حبيبٌ النجَّار، وكان مجذومًا، وكان قد آمن بالرسل لما وردوا القرية، وكان منزله عند أقصى بابٍ من أبواب القرية، فلما بلغَهُ أنَّ قومَهُ قد كذَّبوا الرسُلَ، وهمُّوا بقتلهم، جاء يسعى، فقال ما قصَّهُ الله علينا إلى قوله: ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ يعني الرسل، فأخذوه ورفعوه إلى الملك، فقال له الملك: أفأنت تتبعهم؟

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٤٠)، والحجة (٦/ ٣٨-٣٩)، والمبسوط (ص:٣٦٩-٣٧٠)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٥٠).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤٨٨).

فقـال: ﴿وَمَا لِيَ﴾ أَسْـكَنَ هـذه اليـاءَ حمـزةُ، وخلـفٌ، ويعقـوب[١].

﴿لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ أي: وأيُّ شيءٍ لي إذا لم أَعبُدْ خالقي.

﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ عند البعث، فيجزيكم بكفركم.

فـإن قيـل: لِمَ أضـافَ الفطـرةَ إلى نفسـه والبعـثَ إليهـم، وهـو يعلـمُ أنَّ الله قـد فطرهـم جميعًـا كـما يبعثهـم جميعًـا؟

فالجـواب: أنَّ إيجـادَ الله تعـالى نعمـةً يوجِـبُ الشـكرَ، والبعـثُ في القيامـة وعيـدٌ يوجـب الزجـر، فكانـت إضافـةُ النعمـة إلى نفسـه أظهـرَ في الشـكر، وإضافـةُ البعـث إلى الكافـر أبلـغَ في الزجـر.

ثمَّ أنكرَ عبادةَ الأصنام بقوله تعالى: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾.

قوله تعالى: ﴿لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ﴾ يعني أنَّه لا شفاعةَ لهم فتُغنِي.

﴿وَلَا يُنقِذُونِ﴾: أثبتَ هاهنا الياءَ في الحالين يعقوب، وورش[٢].

والمعنى: لا يُخلِّصوني من ذلك المكروه.

﴿إِنِّيٓ إِذٗا﴾: فتح هذه الياء نافعٌ، وأبو عمرو[٣].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٤٤)، والحجة (٥/ ٣٧٨)، والمبسوط (ص:٣٧٤)، والتيسير (ص:١٨٥)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٥١).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٤٤)، والمبسوط (ص:٣٧٣)، والتيسير (ص:١٨٥).

(٣) انظر: السبعة (ص:٥٤٤)، والمبسوط (ص:٣٧٤)، والتيسير (ص:١٨٥).

قولـه تعـالى: ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ ﴾: فتـح هـذه اليـاء أهـل الحجـاز، وأبـو عمـرو[١].

وفيمن خاطبهم بإيمانه قولان:

أحدهما: أنَّه خاطب قومَه بذلك، قاله ابن مسعود.

والثاني: أنَّه خاطب الرسُلَ.

ومعنى ﴿فَٱسْمَعُونِ ﴾: اشهدوا لي بذلك، قاله الفراء[٢].

وقال أبو عبيدة: المعنى: فاسمعوا منِّي[٣].

وأثبت ياء «فاسمَعوني» في الحالين يعقوب[٤].

قال ابن مسعود: لَمَّا خاطبَ قومَهُ بذلك، وطِئُوه بأرجلهم[٥].

وقال السدي: رمَوهُ بالحجارة، وهو يقول: اللهمَّ اهدِ قومي[٦].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٤٤)، والمبسوط (ص:٣٧٤)، والتيسير (ص:١٨٥).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٧٤).

(٣) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٦٠).

(٤) انظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (١/ ٤٦٦).

(٥) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٤٢٤) من رواية ابن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ١٢٦)، والواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥١٢)، والتفسير البسيط (١٨/ ٤٦٩).

(٦) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ١٢٦)، وأبو حيان في البحر المحيط (٩/ ٥٧).

قولـه تعـالى: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ لَّـمَّـا قتلـوه، فلقـي الله ﷻ، قيـل لـه: ﴿ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ فلـمَّا دخلها ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾.

وفي «ما» قولان:

أحدهما: أنها مع «غفر» في موضع مصدر؛ والمعنى: بغفران الله لي.

والثاني: أنهـا بمعنـى «الـذي»، فالمعنـى: ليتهـم يعلمـون بالـذي غَفَـرَ لي بـه ربِّي فيؤمنـون، فنصحهـم حيًّـا وميتًـا.

فلـما قتلـوه عجَّـلَ الله لهـم العـذاب، فذلـك قولـه تعـالى: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ يعنـى قـومَ حبيـب ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ أي: مـن بعـد قتلـه ﴿مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يعنـي الملائكـة، أي: لم ينتـصرْ منهـم بجُنـدٍ مـن السـماء ﴿وَمَا كُنَّا﴾ ننزِّلهـم عـلى الأمـم إذا أهلكناهـم.

وقيل: المعنى: ما بعثنا إليهم بعدَهُ نبيًّا، ولا أنزلنا عليهم رسالة.

﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾.

قـال المفسرون: أخـذ جبريـل ﵇ بعضـادتَيْ بـاب المدينـة، ثـمَّ صـاحَ بهم صيحـةً واحـدةً، فـإذا هـم ميِّتـون لا يُسـمَعُ لهـم حِـسٌّ، كالنـار إذا طَفِئَـتْ، وهـو قولـه تعـالى: ﴿فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ﴾ أي: سـاكنون كهيـأة الرمـاد الخامـد.

قولـه تعـالى: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٣١ وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ٣٢ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ

يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾[يس: ٣٠-٣٦].

قوله تعالى: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾.

قال الفراء: المعنى: يا لها حسرةً على العباد[١].

وقال الزجاج: الحسرة أن يركبَ الإنسانَ من شدة الندم ما لا نهايةَ له، حتَّى يبقى قلبُهُ حسيرًا[٢].

وفي المتحسِّر على العباد قولان:

أحدهما: أنَّهم يتحسَّرون على أنفسهم.

قال مجاهد[٣] والزجاج[٤]: استهزاؤهم بالرسل كان حسرةً عليهم في الآخرة.

[٦٦٤/أ] وقال أبو العالية: لما عاينوا العذاب قالوا: يا حسرتنا على المرسَلين! كيف لنا بهم الآن حتَّى نؤمن؟[٥]

والثاني: أنَّه تحسُّر الملائكة على العباد في تكذيبهم الرسلَ، قاله الضحاك.

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٧٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٨٥).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٤٢٩) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به، وهو في تفسير مجاهد (ص:٥٦٠)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥٤) أيضًا للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم. وهو في تفسير مجاهد (ص:٥٦٠).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٨٥).

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ١٢٧)، والماوردي في النكت والعيون (٥/ ١٥).

ثم خوَّف كفَّار مكَّةَ فقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ أي: ألم يعلموا ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ فيعتبروا ويخافوا أن نُعجِّلَ لهم الهلاكَ كما عُجِّلَ لمن أُهلِكَ قبلَهم، ولم يرجعوا إلى الدنيا.

قال الفراء: وألف ﴿أَنَّهُمْ﴾ مفتوحةٌ؛ لأنَّ المعنى: ألم يروا أنَّهم إليهم لا يرجعون.

وقد كسرها الحسن كأنَّه لم يوقع الرؤية على ﴿كَمْ﴾ فلم يوقعها على «أنَّ» وإن استأنفتَها كسرتَها[1].

قوله تعالى: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا﴾ وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة: ﴿لَّمَّا﴾ بالتشديد[2].

﴿جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ أي: إنَّ الأممَ يحضرون يومَ القيامة، فيجازَون بأعمالهم.

قال الزجاج: من قرأ «لَـمَا» بالتخفيف، فـ «ما» زائدةٌ مؤكِّدةٌ، والمعنى: وإنْ كُلٌّ لَجميعٌ، ومعناه: وما كُلٌّ إلاَّ جميعٌ لدينا مُحضَرون.

ومن قرأ «لَمَّا» بالتشديد، فهو بمعنى «إلَّا»، تقول: «سألتُكَ لَـمَّا فعلتَ» و «إلَّا فعلتَ»[3].

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ وقرأ نافع: «المَيِّتةُ» بالتشديد، وهو

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٧٦).

(٢) انظر: المبسوط (ص: ٣٧٠)، والتحصل (٥/ ٣٩٤).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٨٦).

الأصـل، والتخفيـف أكثـر، وكِلاهُمـا جائـز[١].

﴿ وَءَايَةٌ ﴾ مرفوعـة بالابتـداء، وخبرُهـا ﴿ لَهُمُ ﴾ ويجـوز أن يكـون خبرهـا ﴿ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾، والمعنـى: وعلامـة تدلُّهـم عـلى التوحيـد، وأنَّ الله يبعـث الموتـى أحيـاءً: ﴿ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾ يعني ما يُقتات من الحبوب.

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا ﴾، وقوله: ﴿ وَفَجَّرْنَا فِيهَا ﴾ يعني في الأرض.

قوله تعالى: ﴿ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ ﴾ يعني النخيل، وهو في اللفظ مُذكَّرٌ.

﴿ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾ قـرأ ابـن كثـير، ونافـع، وأبـو عمـرو، وابـن عامـر، وحفـص عـن عاصـم: ﴿ عَمِلَتْهُ ﴾ بهـاء.

وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «عَمِلَتْ» بغير هاء[٢].

والهـاء مثبتـة في مصاحـف مكَّـة والمدينـة والشـام والبـصرة، ومحذوفـةٌ مـن مصاحـف أهـل الكوفـة.

قـال الزجـاج: موضـع «مـا» خفـضٌ، والمعنـى: ليأكلـوا مـن ثمـره، وممَّـا عملتـه أيديهـم. ويجـوز أن يكـون مـا نفيًـا، المعنـى: ولم تَعمَلْـهُ أيديهـم، وهـذا عـلى قـراءة مـن أثبـتَ الهـاءَ، فـإذا حُذِفَـتِ الهـاء فالاختيـارُ أن تكـونَ مـا في

---

(١) انظر: السبعة (ص:٢٠٣)، والحجة (٣/ ٢٥)، والمبسوط (ص:١٤٠)، والتيسير (ص:١٠٦)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٥٣)، والتحصيل (٥/ ٣٩٥).

(٢) انظـر: السـبعة (ص:٥٤٠)، والحجـة (٦/ ٤٠)، والمبسـوط (ص:٣٧٠)، والمحـرر الوجيـز (٤/ ٤٥٣)، والتحصيـل (٥/ ٣٩٥).

موضع خفضٍ، وتكون بمعنى (الذي) فيَحسنُ حذفُ الهاء[١].

وكذلك ذكر المفسِّرون القولين.

فمن قال بالأوَّل قال: ليأكلوا ممَّا عمِلَتْ أيديهم، وهو الغُروسُ والحُروثُ التي تَعِبُوا فيها.

ومن قال بالثاني قال: ليأكلوا ما ليس من صُنعِهم، ولكنَّه من فعلِ الحقِّ ﷻ.

﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ الله تعالى فيوحدوه؟

ثم نزَّه نفسَهُ بقوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ يعني الأجناسَ كلَّها.

﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾ من الفواكه والحبوب وغير ذلك.

﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ وهم الذكور والإناث.

﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ من دواب البرِّ والبحرِ وغير ذلك ممَّا لم يَقِفُوا على عِلْمِه.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٨٦-٢٨٧).

قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۝٣٧ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٧-٤٠].

قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ أي: وعلامةٌ لهم تدلُّ على توحيدِنا وقدرتِنا: الليلُ نسلَخُ منه النهارَ.

قال الفراء: نرمي بالنهار عنه، و«منه» بمعنى عنه[1].

وقال أبو عبيدة: نُخرِجُ منه النهارَ ونميِّزه منه، فتجيءُ الظُّلمةُ[2].

[٦٦٤/ب] قال الماورديُّ: وذلك أنَّ ضوءَ النهار يتداخل في الهواء فيُضِيءُ، فإذا خرجَ منه أظلمَ[3].

وقوله: ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ أي: داخلون في الظلام.

﴿وَٱلشَّمْسُ﴾ أي: وآيةٌ لهم الشمس.

﴿تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ وفيه أربعة أقوال:

أحدها: إلى موضع قرارِها.

روى أبو ذرٍّ قال: سألتُ رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ قال: «**مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ**»، وقال: «**إِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ بَيْنَ يَدَي**

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٧٨).

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٦١).

(٣) انظر: النكت والعيون (٥/ ١٧).

رَبِّهَا، فَتَسْتَأْذِنُ فِي الطُّلُوعِ، فَيُؤْذَنُ لَهَا»[١].

والثاني: أن مستقرَّها مغربُها لا تُجاوِزُه ولا تَقصرُ عنه، قاله مجاهد.

والثالث: لوقتٍ واحدٍ لا تعدوه، قاله قتادة.

وقال مقاتل: لوقتٍ لها إلى يوم القيامة[٢].

والرابع: تسير في منازلها حتَّى تنتهيَ إلى مستقرِّها الذي لا تُجاوِزُه، ثمَّ ترجعَ إلى أوَّل منازلها، قاله ابن السائب.

وقال ابن قتيبةَ: إلى مستقرٍّ لها، ومستقَرُّها: أقصى منازلِها في الغروب، وذلك لأنَّها لا تزالُ تتقدَّمُ إلى أقصى مغاربِها، ثمَّ ترجِعُ[٣].

وقرأ ابن مسعودٍ، وعكرمةُ، وعليُّ بن الحسين، والشيزري عن الكسائي: «لا مُسْتَقَرَّ لها»[٤]، والمعنى: أنَّها تجري أبدًا، لا تثبتُ في مكانٍ واحدٍ.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣١٩٩، ٤٨٠٣، ٧٤٢٤، ٧٤٣٣)، ومسلم في صحيحه (١٥٩)، وأحمد في مسنده (٢١٣٥٢، ٢١٤٠٦، ٢١٥٤١، ٢١٥٤٣) وغيرهم من رواية إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر رضي الله عنه به.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٧٩).

(٣) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص:١٩٢).

(٤) في المحتسب (٢/ ٢١٢) نسبها لابن مسعود، وابن عباس، وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح، وأبي جعفر محمد بن علي، وأبي عبد الله جعفر بن محمد، وعلي بن حسين، وفي التحصيل (٥/ ٣٩٥) نسبها لابن مسعود، وابن عباس، وغيرهما، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٤٥٤) نسبها لابن عباس، وابن مسعود، وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح، وأبو جعفر، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وفي البحر المحيط (٩/ ٦٧) نسبها لعبد الله ابن مسعود، وابن عباس، وعكرمة، وعطاء بن رباح، وزين العابدين، والباقر، وابنه الصادق، وابن أبي عبدة.



قولـه تعـالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الـذي ذكـر مـن أمـر الليـل والنهـار والشـمس ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكـه ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بـما يقـدِّر.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ﴾:

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «والقمرُ» بالرفع.

وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿وَٱلْقَمَرَ﴾ بالنصب[١].

قـال الزجـاج: مـن قـرأ بالنصـب، فالمعنـى: وقدَّرْنـا القمـر قدَّرنـاه منـازل، ومـن قـرأ بالرفـع، فالمعنى: وآيـةٌ لهـم القمـرُ قدَّرْنـاه، ويجـوز أن يكـون عـلى الابتـداء، و «قدَّرْنـاه» الخـبر[٢].

قـال المفـسِّرون: ومنـازل القمـر ثمانيـةٌ وعـشرون منـزلاً، ينزلهـا مـن أوَّلِ الشـهر إلى آخـره. وقـد سـمَّيناها في سـورة يونـس[٣]، فـإذا صـار إلى آخـر منازله دقَّ، فعـادَ كالعرجـون، وهـو عُـوْدُ العِـذْقِ الـذي تركتـه الشـماريخُ، فـإذا جَـفَّ وقَـدُمَ يُشْـبِهُ الهـلالَ.

قـال ابـن قتيبـة: والقديـم هاهنـا الـذي قـد أتـى عليـه حـولٌ شَـبَهُ القمـرِ آخـرَ ليلـةٍ يطلعُ بـه[٤].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٤٠)، والحجة (٦/ ٣٩)، والمبسوط (ص:٣٧٠)، والتيسير (ص:١٨٤)، والتحصيل (٥/ ٣٩٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٨٧).

(٣) انظر: تفسير سورة يونس الآية رقم (٥).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:٣٦٥).

قال الزجاج: وتقدير عُرْجُون: (فُعْلُون) من الإنْعِرَاجِ[١].

وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء، والضحاك، وعاصم الجحدري، وابن السميفع: «كالعِرْجَوْن» بكسر العين[٢].

قوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدهما: أنَّهما إذا اجتمعا في السماء، كان أحدهما بين يدي الآخر، فلا يشتركان في المنازل، قاله ابن عباس.

والثاني: لا يشبه ضوءُ أحدهما ضوءَ الآخر، قاله مجاهد.

والثالث: لا يجتمع ضوءُ أحدهما مع الآخر، فإذا جاء سلطان أحدِهما ذهبَ سلطانُ الآخر، قاله قتادة.

فيكون وجه الحكمة في ذلك أنَّه لو اتَّصل الضوءُ لم يُعرَفِ الليل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾:

وقرأ أبو المتوكِّل، وأبو الجوزاء، وأبو عمران، وعاصم الجحدري: «سابِقٌ» بالتنوين «النَّهارَ»[٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٨٨).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٦)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٥٤)، والبحر المحيط (٩/ ٦٨) كلهم نسبوها لسليمان التيمي.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٦)، والمحتسب (٢/ ٨١)، والبحر المحيط (٩/ ٦٩) كلهم نسبوها لعمارة بن عقيل، وهو ابن بلال بن جرير الخطفي.

وفيه قولان:

أحدهما: لا يتقدَّم الليلُ قبلَ استكمال النهار.

والثاني: لا يأتي ليلٌ بعدَ ليلٍ من غير نهارٍ فاصلٍ بينهما، وباقي الآية مُفسَّرٌ في سورة الأنبياء[1].

قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾[يس: ٤١-٤٦].

قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾:

قرأ نافع، وابن عامر «ذُرِّيَّاتِهِمْ» على الجمع.

[٦٦٥/أ] وقرأ الباقون من السبعة: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ على التوحيد[2].

قال المفسرون: أراد في سفينة نوحٍ، فنسب الذريَّةَ إلى المخاطَبين، لأنَّهم من جنسهم، كأنَّه قال: ذُرِّيَّةَ الناس.

وقال الفراء: أي: ذُرِّيَّةَ من هو منهم، فجعلها ذُرِّيَّةً لهم، وقد سبقَتْهُم[3].

وقال غيره: هو حَمْلُ الأنبياء في أصلاب الآباء حين ركبوا السفينةَ.

---

(١) انظر: تفسير سورة الأنبياء الآية رقم (٣٣).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٤٠-٥٤١)، والحجة (٦/ ٤٦)، والمبسوط (ص:٣٧١)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٥٥)، والتحصيل (٥/ ٣٩٥).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٨٨).

ومنه قول العباس[1]: [من المنسرح]

بَـلْ نُطْفَـةٌ تَرْكَـبُ السَّـفِينَ وقَـدْ أَلْجَـمَ نَـسْراً وأَهْلَـهُ الغَـرَقُ

قـال المفضَّـل بـن سـلمةَ: الذريَّـةُ النسـل؛ لأنَّهـم مَـنْ ذرأَهـم الله منهـم، والذرِّيَّةُ أيضـاً الآبـاءُ؛ لأنَّ الـذَّرَّ وقـعَ منهـم، فهـو مـن الأضـداد، ومنـه هـذه الآية.

وقد شرحنا هذا في قوله، ﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ ﴾[2] [آل عمران: ٣٤].

و﴿ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ المملوء.

قوله تعالى: ﴿ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ فيه قولان:

أحدهما: مثـل سـفينة نـوح وهـي السـفن، روى هـذا المعنـى سـعيد بـن جبير عـن ابـن عبـاس، وبـه قـال الضحـاك، وأبـو مالـك، وأبـو صالـح.

والمراد بهذا ذِكرُ مِنَّتِهِ بأن خلق الخشبَ الذي تُعمَلُ منه السفن.

والثـاني: أنَّهـا الإبـلُ، خلقهـا لهـم للركـوب في الـبرِّ مثـل السـفن المركوبـة في البحـر، رواه العـوفي عـن ابـن عبـاس، وبـه قـال مجاهـد، وعكرمـة، وعـن الحسـن، وقتـادة كالقولـين.

قوله تعالى: ﴿ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ ﴾ أي: لا مغيثَ، ولا مُجيرَ.

---

(١) البيت للعباس بن عبد المطلب في تفسير الماوردي (٦/ ٨٠)، وأمالي الزجاجي (١/ ٦٦)، وشرح أدب الكاتب (ص:٢٢٤)، ونهاية الأرب (٢/ ٣٦٢)، وحياة الحيوان الكبرى (٢/ ٤٧٦)، وأمالي ابن الشجري (٣/ ١١٥)، ولسان العرب (٥/ ٢٠٦) مادة (نسر)، وتاج العروس (١٤/ ٢٠٨) مادة (نسر)؛ والنهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٤٧).

(٢) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (٣٤).



﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ أي: ينجون من الغرق، يقال: أنقذه واستنقذه: إذا خلَّصه من المكروه.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا﴾ المعنى: إلَّا أن نرحَمهم ونُمتِّعَهم إلى آجالهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ يعني الكفَّار.

﴿ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ ما مضى من الذنوب ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ ما يأتي من الذنوب، قاله مجاهد.

والثاني: ما تقدَّمكم من عذاب الله للأمم، ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من أمر الساعة، قاله قتادة.

والثالث: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من الدنيا، ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من عذاب الآخرة، قاله سفيان.

والرابع: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من أمر الآخرة، ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من أمر الدنيا، فلا تغترُّوا بها، قاله ابن عباس، والكلبي.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي: لتكونوا على رجاء الرحمة من الله، وجواب «إذا» محذوفٌ تقديره: إذا قيل لهم هذا أعرَضُوا.

ويدلُّ على هذا المحذوف قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ أي: من دلالةٍ تدلُّ على صدق الرسول.

قولـه تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُۥ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَٰبَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[يس: ٤٧-٥٨].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال:

أحدها: في اليهود، قاله الحسن.

والثاني: في الزنادقة، قاله قتادة.

والثالث: في مشركي قريش، قاله مقاتل[١].

وذلك أنَّ المؤمنينَ قالوا لكُفَّار مكَّة: أنفقوا على المساكينَ النصيبَ الذي زعمتم أنَّه لله من الحرث والأنعام، فقالوا: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُۥ﴾.

وقال ابن السائب: كان العاص بن وائل إذا سأله مسكينٌ قال: اذهب إلى ربِّكَ فهو أولى بك منِّي، ويقول: قد منعَهُ الله، أُطعِمه أنا؟

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٨٠).



ومعنى الكلام: أنَّهم قالوا: لو أرادَ الله أن يرزُقَهم لرزقَهم، فنحن نوافقُ مشيئةَ الله فيهم، فلا نُطعِمُهم، وهذا خطأٌ منهم؛ لأنَّ اللهَ تعالى أغنى بعضَ الخلق وأفقرَ بعضًا؛ ليبلُوَ الغنيَّ بالفقيرِ فيما فرضَ له في ماله من الزكاة، والمؤمن لا يعترضُ على المشيئة، وإنَّما يوافق الأمر.

[٦٦٥/ب] **وقيل**: إنما قالوا هذا على سبيل الاستهزاء.

وفي قوله: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّه من قول الكفَّار للمؤمنين، يعنون: إنَّكم في خطأ من اتِّباعِ محمَّد.

والثاني: أنَّه من قول الله للكفَّار لما ردُّوه من جواب المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ يعنون القيامة، والمعنى: متى إنجاز هذا الوعد؟

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ يعنون محمدًا وأصحابه.

﴿مَا يَنظُرُونَ﴾ أي: ما ينتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ وهي النفخة الأولى.

و﴿يَخِصِّمُونَ﴾ بمعنى يختصمون، فأُدغِمَتِ التاء في الصاد.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «يَخَصِّمُونَ» بفتح الياء والخاء وتشديد الصاد.

وروي عن أبي عمرو اختلاس حركة الخاء.

وقرأ عاصم، وابن عامر، والكسائي: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ بفتح الياء وكسر الخاء.

وعن عاصم كسر الياء والخاء.

وقرأ نافعٌ بسكون الخاء وتشديد الصاد[١].

وقرأ حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد، أي: يَخْصِمُ بعضُهم بعضًا[٢].

وقرأ أبي بن كعب: «يختصمون» بزيادة تاء[٣].

والمعنى: أنَّ الساعة تأتيهم أغفل ما كانوا عنها، وهم متشاغلون في متصرَّفاتهم وبيعِهم وشرائِهم.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ قال مقاتل: أعجلوا عن الوصية فماتوا[٤].

﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: لا يعودون من الأسواق إلى منازلهم، فهذا وصف ما يلقون في النفخة الأولى.

ثم ذكر ما يلقون في النفخة الثانية فقال: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ يعني القبور.

﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ أي: يخرجون بسرعة.

وقد شرحنا هذا المعنى في سورة الأنبياء[٥].

---

(١) من رواية قالون بخلف عنه، وأما ورش فإنه قرأها بفتح الخاء كما في «السبعة» (ص٥٤١) والتيسير (ص١٨٤)، إتحاف فضلاء البشر (ص٥٢٤).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٤١)، والحجة (٦/ ٤١)، والمبسوط (ص:٣٧١)، والتيسير (ص:١٨٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٥٧)، والتحصيل (٥/ ٤١٤).

(٣) في المحرر الوجيز (٤/ ٤٥٧)، والبحر المحيط (٩/ ٧٣) كلاهما نسبها لأبي بن كعب.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٨١).

(٥) انظر: تفسير سورة الأنبياء الآية رقم (٩٦).

﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو رزين، والضحاك، وعاصم الجحدري: «مِنْ بَعْثِنَا» بكسر الميم والثاء وسكون العين[1].

قال المفسِّرون: إنَّما قالوا هذا؛ لأنَّ الله تعالى رفع عنهم العذاب فيما بين النفختين.

قال أبي بن كعب: ينامون نومةً قبل البعث، فإذا بُعِثُوا قالوا هذا[2].

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾.

في قائلي هذا الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه قول المؤمنين، قاله مجاهد، وقتادة، وابن أبي ليلى.

قال قتادة: أوَّل الآية للكافرين، وآخرُها للمؤمنين[3].

والثاني: أنَّه قولُ الملائكة لهم، قاله الحسن.

والثالث: أنه قول الكافرين، يقول بعضهم لبعض: هذا الذي أخبرنا به المرسلون أنَّنا نُبعَثُ ونجازى، قاله ابن زيد.

---

(١) في المحتسب (٢/ ٢١٣) نسبها لعلي بن أبي طالب، ومختصر ابن خالويه (ص:١٢٦) نسبها لعلي بن أبي طالب، وأبي نهيك، والضحاك، وفي التحصيل (٥/ ٤١٤) نسبها لعلي، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٤٥٨) نسبها لعلي بن أبي طالب، وابن عباس.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٤٥٦) من رواية الحسن، عن أبي بن كعب ﷺ به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضًا (٧/ ٦٣) للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٤٩١) من رواية معمر، عن قتادة به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضًا (٧/ ٦٣) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

قال الزجاج: ﴿مِن مَّرْقَدِنَا﴾ هو وقف التمام، ويجوز أن يكونَ هذا من نعت (مرقدنا) على معنى: من بعثنا من مرقدنا هذا الذي كنا راقدين فيه، ويكون في قوله: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أحدُ إضمارين: إمَّا هذا، وإمَّا حقٌّ، فيكون المعنى: حقٌّ ما وعد الرحمن[١].

ثم ذكر النفخة الثانية فقال: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ وما بعدَ هذا ظاهرٌ إلى قوله: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ﴾ يعني في الآخرة.

﴿فِى شُغُلٍ﴾:

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «في شُغْلٍ» بإسكان الغين.

وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿فِى شُغُلٍ﴾ بضم الشين والغين[٢].

وقرأ أبو هريرة، وأبو رجاء، وأيوب السختياني: «في شَغَلٍ» بفتح الشين والغين[٣]. [٦٦٦/أ]

وقرأ أبو مجلز، وأبو العالية، وعكرمة، والضحاك، والنخعي، وابن يعمر، والجحدري: «في شَغْلٍ» بفتح الشين وسكون الغين[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٩١).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٤١-٥٤٢)، والمبسوط (ص:٣٧١)، والتيسير (ص:١٨٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٥٨)، والتحصيل (٥/ ٤١٥).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٦) نسبها لأبي هريرة، وأبي السمال، وفي التحصيل (٥/ ٤١٥) نسبها لابن هبيرة، وأبي السمال، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٤٥٨) نسبها لمجاهد، وأبي عمرو.

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٦) نسبها ليزيد النحوي، وفي التحصيل (٥/ ٤١٥) نسبها لابن هبيرة.

وفيه ثلاثة أقوال:

أحدهـا: أنَّ شُـغلَهم افتضـاضُ العـذارى، رواه شـقيقٌ عـن ابـن مسـعودٍ، ومجاهـدٌ عـن ابـن عبَّـاسٍ، وبـه قـال سـعيد بـن المسـيب، وقتـادة، والضحَّـاك.

والثاني: ضرب الأوتار، رواه عكرمة عن ابن عبَّاس.

وعن عكرمة كالقولين، ولا يثبت هذا القول.

والثالث: النعمة، قاله مجاهد.

وقال الحسن: شُغْلُهم نعيمُهم عمَّا فيه أهلُ النار من العذاب[1].

قوله تعالى: ﴿فَـٰكِهُونَ﴾:

وقـرأ ابـن مسـعود، وأبـو عبـد الرحمـن السـلميُّ، وأبـو المتـوكِّل، وقتـادة، وأبـو الجـوزاء، والنخعـيُّ، وأبـو جعفـر: «فَكِهُـون»[2].

وهل بينهما فرق؟ فيه قولان:

أحدهما: أنَّ بينهما فرقًا.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٤٦١) من رواية أبي سهل، عن الحسن به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضًا (٧/ ٦٤) لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٦) نسبها للحسن، وأبي جعفر، وفي التحصيل (٥/ ٤١٥) نسبها لأبي جعفر بن القعقاع، وأبي رجاء، وفي الهداية (٩/ ٦٠٥٤) نسبها لأبي جعفر، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٤٥٩) نسبها لأبي رجاء، ومجاهد، ونافع، وأبي جعفر، وفي البحر المحيط (٩/ ٧٥) نسبها للحسن، وأبي جعفر، وقتادة، وأبي حيوة، ومجاهد، وشيبة، وأبي رجاء، ويحيى بن صبيح، ونافع في رواية.

فأمَّا ﴿فَـٰكِهُونَ﴾ ففيه أربعة أقوال:

أحدها: فرحون، قاله ابن عبَّاس.

والثاني: معجبون، قاله الحسن، وقتادة.

والثالث: ناعمون، قاله أبو مالك، ومقاتل[١].

والرابع: ذوو فاكهة، كما يقال: فلانٌ لَابِنٌ تامِرٌ، قاله أبو عبيدة[٢]، وابن قتيبة[٣].

وأمَّا «فَكِهُون» ففيه قولان:

أحدهما: أنَّ الفَكِهَ الذي يتفكَّه، تقول العرب للرجل إذا كان يتفكَّه بالطعام أو بالفاكهة أو بأعراض الناس: إنَّ فلاناً لفَكِهٌ بكذا، ومنه يقال للمُزاح: فُكاهَةٌ، قاله أبو عبيدة[٤].

والثاني: أن فَكِهينَ بمعنى فَرِحين، قاله أبو سليمان الدمشقيُّ.

والقول الثاني: أنَّ فاكهين وفكِهين بمعنًى واحدٍ، كما يقال: حاذِرٌ وحَذِرٌ، قاله الفراء[٥].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٨٢).

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٦٤).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٣٦٦).

(٤) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٦٣).

(٥) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٨٠).

وقال الزجاج: فاكِهون وفكهون بمعنى فَرِحين[١].

وقال أبو زيد: الفَكِهُ: الطيِّبُ النَّفْس الضَّحوك، يقال: رجلٌ فاكِهٌ وفَكِهٌ[٢].

قوله تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ﴾ يعني حلائِلُهم.

﴿فِى ظِلَٰلٍ﴾:

وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «في ظُلَلٍ»[٣].

قال الفراء: الظِّلال جمع ظِلٍّ، والظُّلَل جمعُ ظُلَّةٍ، وقد تكون الظِّلال جمع ظُلَّةٍ أيضًا، كما يقال: خُلَّةٌ وخُلَلٌ، فإذا كَثُرَتْ فهي الخِلال والحِلال والقِلال[٤].

قال مقاتلٌ: والظِّلال: أكنان القصور[٥].

قال أبو عبيدة: والمعنى أنَّهم لا يَضْحَوْنَ[٦].

فأمَّا الأرائك فقد بيَّنَّاها في الكهف[٧].

قوله تعالى: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾.

قال ابن قتيبة: ما يَتَمَنَّوْنَ، ومنه يقول الناس: هو في خيرِ ما ادَّعى،

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٩١).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥١٦).

(٣) انظر: السبعة (ص:٥٤٢)، والحجة (٦/ ٤٣)، والمبسوط (ص:٣٧٢)، والتحصيل (٥/ ٤١٥).

(٤) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٨٠).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٨٢).

(٦) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٦٤).

(٧) انظر: تفسير سورة الكهف الآية رقم (٣١).

أي: ما تَمَنَّى، والعربُ تقول: ادَّعِ ما شئتَ، أي: تمنَّ ما شِئتَ[١].

وقال الزجَّاج: وهو مأخوذٌ من الدُّعاء، والمعنى: كلُّ ما يدعو به أهلُ الجنَّة يأتيهم[٢].

وقوله: ﴿سَلَٰمٌ﴾ بدلٌ من «ما»، المعنى: لهم ما يتمنَّون سلامٌ، أي: هذا مُنى أهل الجنَّة أنْ يُسلِّمَ الله عليهم.

و﴿قَوْلًا﴾ منصوبٌ على معنى: سلامٌ يقولُه اللهُ قولاً.

وقال أبو عبيدة: ﴿سَلَٰمٌ﴾ رفع على «لهم»، فالمعنى: لهم فيها فاكهةٌ، ولهم فيها سلامٌ[٣].

وقال الفراء: معنى الكلام: لهم ما يدَّعون مُسلَّمٌ خالصٌ، ونصب القول، كأنَّك قلتَ: قاله قولاً، وإن شئتَ جعلتَه نصباً من قوله تعالى: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ قولاً، كقولك: عِدَةً من الله[٤].

وقرأ ابن مسعود، وأُبيُّ بن كعبٍ، والجحدري: «سلامًا قولاً» بنصبهما جميعًا[٥]. [٦٦٦/ب]

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٣٦٧).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٩٢).

(٣) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٦٤).

(٤) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٨٠).

(٥) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٦)، والتحصيل (٥/ ٤١٥) كلاهما نسبها لأُبي، وعبد الله بن مسعود، وفي معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٣٨٠) نسبها لعبد الله بن مسعود، وفي المحتسب (٢/ ٢١٥) نسبها لعيسى الثقفي، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٤٥٩) نسبها لابن=

قوله تعالى: ﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (٥٩) أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾[يس: ٥٩-٦٤].

قوله تعالى: ﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾.

قال ابن قتيبة: أي: انقطِعوا عن المؤمنين، وتميَّزوا منهم، يقال: مِزتُ الشيءَ من الشيء: إذا عزلتَه عنه، فانمازَ وامتاز، وميَّزتُه فتميَّز[(١)].

قال المفسِّرون: إذا اختلط الإنس والجِنُّ في الآخرة قيل: ﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾، فيقال للمجرمين: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ ﴾ أي: ألم آمُرْكم، ألم أُوصِكم؟

و﴿ تَعْبُدُوا ﴾ بمعنى تطيعوا.

و﴿ الشَّيْطَانَ ﴾ هو إبليس، زيَّن لهم الشِّركَ فأطاعوه.

﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ ظاهرُ العداوة، أخرجَ أبويكم من الجنَّة.

﴿ وَأَنِ اعْبُدُونِي ﴾: قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والكسائي: «وأنُ اعبُدوني» بضمِّ النون.

=مسعود، وأبي بن كعب، وعيسى الثقفي، والغنوي.

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٣٦٧).

وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحمزة: ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي﴾ بكسر النون[١]، والمعنى: وحِّدوني.

﴿هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ يعني التوحيد.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا﴾:

قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف: «جُبُلاً» بضم الجيم والباء وتخفيف اللام.

وقرأ أبو عمرو، وابن عامر: «جُبْلاً» بضم الجيم وتسكين الباء مع تخفيف اللام.

وقرأ نافع، وعاصم: ﴿جِبِلًّا﴾ بكسر الجيم والباء مع تشديد اللام[٢].

وقرأ عليُّ بن أبي طالب، وابن عبَّاس، وأبو عبد الرحمن السلمي، والزهري، والأعمش: «جُبُلًّا» بضم الجيم والباء مع تشديد اللام[٣].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٤٢)، والحجة (٦/ ٤٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٥٩).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٤٢)، والحجة (٦/ ٤٤)، والمبسوط (ص:٣٧٢)، والتيسير (ص:١٨٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٦٠)، والتحصيل (٥/ ٤١٥-٤١٦).

(٣) في المحتسب (٢/ ٢١٦) نسبها للحسن، وعبد الله بن عبيد بن عمير، وابن أبي إسحاق، والزهري، والأعرج، وحفص بن حميد، وفي التحصيل (٥/ ٤١٦) نسبها للحسن البصري، وغيره، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٤٦٠) نسبها للزهري، والحسن، والأعرج، وهي قراءة أبي إسحاق، وعيسى، وابن وثاب، وانظر أيضًا: البحر المحيط (٩/ ٧٨)، والكامل (ص:٦٢٦).

وقرأ عبد الله بن عمرو، وابن السميفع: «جِبْلاً» بكسر الجيم وسكون الباء وتخفيف اللام[1].

وقرأ سعيد بن جبير، وأبو المتوكل، ومعاذ القارئ: «جُبَلاً» برفع الجيم وفتح الباء وتخفيف اللام[2].

وقرأ أبو العالية، وابن يعمر: «جِبَلاً» بكسر الجيم وفتح الباء وتخفيف اللام[3].

وقرأ أبو عمران الجوني، وعمرو بن دينار: «جِبَالاً» مكسورة الجيم مفتوحة الباء وبألف[4].

ومعنى الكلمة كيف تصرَّفت في هذه اللغات: الخَلْق والجماعة، فالمعنى: ولقد أضلَّ منكم خَلْقاً كثيرًا.

﴿أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ﴾ فالمعنى: قد رأيتم آثار الهالكين قبلكم بطاعة الشيطان، أفلم تعقلوا ذلك؟

وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن السلمي، وأبو

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٦) نسبها لحماد بن سلمة عن عاصم، وفي المحتسب (٢/ ٢١٦)، والتحصيل (٥/ ٤١٦)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٦٠) ثلاثتهم نسبوها للأشهب العقيلي، وفي البحر المحيط (٩/ ٧٨) نسبها للأشهب العقيلي، واليماني، وحماد بن سلمة عن عاصم، وانظر أيضًا: الكامل (ص:٦٢٦).

(٢) انظر: مختصر ابن خالويه (ص:١٢٦)، وذكر أنها لغة.

(٣) انظر: مختصر ابن خالويه (ص:١٢٦)، وذكر أنها لغة.

(٤) انظر: مختصر ابن خالويه (ص:١٢٦)، وذكر أنها لغة.

رجاء، ومجاهد، وابن يعمر: «أفلم يكونوا يعقلون» بالياء فيهما[١].

فإذا أُدْنُوا إلى جهنَّم قيل لهم: ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ بها في الدنيا ﴿ ٱصْلَوْهَا ﴾ أي: قاسُوا حرَّها.

قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾[يس: ٦٥-٦٨].

قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾.

وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء: «يُخْتَمُ» بياءٍ مضمومةٍ وفتح التاء[٢].

﴿ وَتُكَلِّمُنَآ ﴾:

قرأ ابن مسعود: «ولِتُكَلِّمَنَا» بزيادة لامٍ مكسورةٍ وفتح الميم وواو قبل اللام[٣].

---

(١) في التحصيل (٥/ ٤١٦)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٦٠) كلاهما نسبها لعيسى الهمداني، وطلحة بن مصرف، وفي الكامل (ص:٦٢٦) نسبها لمحبوب، وهارون عن أبي عمرو.

(٢) ذكرها في البحر المحيط (٩/ ٧٨) بلا نسبة لأحد، قال: «وقرىء: «يُخْتم» مبينًا للمفعول».

(٣) في التحصيل (٥/ ٤١٦) نسبها لعبد الرحمن بن محمد بن طلحة، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٤٦٠) قال: «وروى عبد الرحمن بن محمد بن طلحة عن أبيه عن جده أنه قرأ: «ولتكلمنا أيديهم ولتشهد أرجلهم» بزيادة لام كي والنصب، وهي مخالفة لخط المصحف»، وكذلك قال في البحر المحيط (٩/ ٧٨)، وفي المحتسب (٢/ ٢١٦).

وقرأ أُبيٌّ بن كعب، وابن أبي عبلة: «لِتُكَلِّمَنا» بلامٍ مكسورةٍ من غير واوٍ قبلَها، وبنصب الميم[١].

وقرؤوا جميعًا: «ولِتَشْهَدَ أَرْجُلُهم» بلامٍ مكسورةٍ وبنصب الدال[٢].

ومعنى ﴿نَخۡتِمُ﴾: نَطبع عليها، وقيل: منعُها من الكلام هو الختم عليها.

وفي سبب ذلك أربعة أقوال:

أحدها: أنَّهم لما قالوا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، ختم الله على أفواههم، ونطقت جوارحهم، قاله أبو موسى الأشعري.

والثاني: ليعلموا أنَّ أعضاءهم التي كانت أعوانًا لهم على المعاصي صارت شهودًا عليهم.

والثالث: ليعرفهم أهل الموقف فيتميَّزوا منهم بذلك.

والرابع: لأن إقرار الجوارح أبلغُ في الإقرار من نطق اللسان، ذكرهُنَّ الماوردي[٣].

[٦٦٧/أ] **فإن قيل**: ما الحكمة في تسمية نطق اليد كلامًا، ونطق الرِّجل شهادة؟

---

(١) لم نقف عليها.

(٢) انظر: المحتسب (٢/ ٢١٦)، والتحصيل (٥/ ٤١٦)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٦٠)، والبحر المحيط (٩/ ٧٨).

(٣) انظر: النكت والعيون (٥/ ٢٧).

فالجواب: أنَّ اليدَ كانت مباشِرةً، والرِّجلَ حاضرةً، وقول الحاضر على غيره شهادةٌ بما رأى، وقول الفاعل على نفسه إقرارٌ بما فعل.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: ولو نشاءُ لأذهبْنَا أعيُنَهم حتَّى لا يبدو لها شقٌّ ولا جَفنٌ، والمطموس: الذي لا يكون بين جفنيه شقٌّ.

﴿فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ﴾ أي: فتبادروا إلى الطريق.

﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ أي: فكيف يبصرون وقد أعمينا أعينهم؟

وقرأ أبو بكر الصِّدِّيق، وعروة بن الزبير، وأبو رجاء: «فاستَبِقوا» بكسر الباء، «فأنَّى تُبْصِرونَ» بالتاء[1].

وهذا تهديدٌ لأهل مكة، وهو قول الأكثرين.

والثاني: ولو نشاء لأضلَلْناهم وأعميناهم عن الهُدى، فأنَّى يُبصِرون الحقَّ؟ رواه ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاس.

والثالث: ولو نشاء لفقأْنا أعيُنَ ضلالَتِهم، وأعميناهم عن غَيِّهم، وحوَّلْنا أبصارهم من الضلالة إلى الهُدى، فأبصروا رُشدَهم، فأنَّى يبصرون ولم أفعلْ ذلك بهم؟ حُكِيَ عن جماعةٍ منهم مقاتل[2].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٦) نسبها لعيسى الثقفي.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٨٤).

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ ﴾.

وروى أبو بكر عن عاصم: «على مكاناتِهم»(١).

وقد سبق بيان هذا(٢).

وفي المراد بقوله: ﴿لَمَسَخْنَٰهُمْ ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: لأهلكناهم، قاله ابن عباس.

والثاني: لأقعدناهم على أرجُلِهم، قاله الحسن، وقتادة.

والثالث: لجعلناهم حجارةً، قاله أبو صالح، ومقاتل(٣).

والرابع: لجعلناهم قردةً وخنازيرَ لا أرواحَ فيها، قاله ابن السائب.

وفي قوله: ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: فما استطاعوا أن يتقدَّموا ولا أن يتأخَّروا، قاله قتادة.

والثاني: فما استطاعوا مضيًّا عن العذاب، ولا رجوعًا إلى الخلقة الأولى بعدَ المسخ، قاله الضحَّاك.

والثالث: مُضِيًّا من الدنيا ولا رجوعًا إليها، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ﴾.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٤٢)، والحجة (٦/ ٤٦)، والمبسوط (ص:٣٧٢).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٦٥).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٨٤).

قرأ حمزة: ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ مُشدَّدةٌ مع ضمِّ النون الأولى وفتح الثانية، والباقون بفتح النون الأُولى وتسكين الثانية من غير تشديد.

وعن عاصم كالقراءتين[1].

ومعنى الكلام: من نُطِلْ عُمُرَهُ ننكِّسْ خَلْقَهُ، فنجعلْ مكانَ القوَّة الضَّعفَ، وبدلَ الشباب الهرَمَ، فنردُّه إلى أرذل العمُرِ.

﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو: «أَفَلاَ تَعْقِلُونَ» بالتاء، والباقون بالياء[2].

والمعنى: أفلا يعقلون أنَّ من فعلَ هذا قادرٌ على البعث.

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ۝٦٩ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[يس: ٦٩-٧٠].

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾.

قال المفسِّرون: إن كفَّارَ مكَّة قالوا: إنَّ هذا القرآن شِعرٌ، وإنَّ محمدًا شاعرٌ، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾، أي: ما يَتسَهَّلُ له ذلك.

قال المفسِّرون: ما كان يتَّزِنُ له بَيتُ شِعْرٍ، حتَّى إنَّه رُوِيَ عنه ﷺ أنَّه تمثَّلَ يومًا فقال: «كَفَى بالإِسلامِ والشَّيْبِ لِلْمَرْءِ ناهِياً». فقال أبو بكر:

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٤٣)، والحجة (٦/ ٤٥)، والمبسوط (ص:٣٧٢)، والتيسير (ص:١٨٥)، والتحصيل (٥/ ٤١٦).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٤٣)، والحجة (٦/ ٤٦)، والمبسوط (ص:٣٧٢)، والتيسير (ص:١٨٥)، . والتحصيل (٥/ ٤١٦).

يـا رسـول الله، إنَّـما قـال الشـاعر: كَفَـى الشَّـيْبُ والإِسـلامُ لِلْمَـرْءِ نَاهيـاً، أَشـهدُ أنَّـكَ رسـولُ الله، مـا علَّمـكَ اللهُ الشِّـعر، ومـا ينبغـي لـك[1].

ودعـا يومًـا بعبَّـاس بـن مـرادسٍ، فقـال: «**أَنْـتَ الْقَائِـلُ: أَتَجْعَـلُ نَهْبِـي وَنَهْـبَ الْعَبيـدِ بَيـن الأَقْـرَعِ وعُيَيْنَـةَ؟**». فقـال أبـو بكـر: بـأبي أنـت وأمِّـي، لم [٦٦٧/ب] يقـل كذلـك، فأنشـده أبـو بكـرٍ، فقـال رسـول الله ﷺ: «**لَا يَـضُرُّكَ بِأَيِّهِـمَا بَـدَأْتَ**»، فقـال أبـو بكـر: والله مـا أنـتَ بشـاعرٍ، ولا ينبغـي لـك الشِّـعر[2].

وتمثَّـل يومًـا فقـال: «**وَيَأْتِيـكَ مَـنْ لَمْ تُـزَوِّدْهُ بِالْأَخْبَـارِ**». فقـال أبـو بكـر: ليـس هكـذا يـا رسـول الله، فقـال: «**إِنِّي لَسْـتُ بِشَـاعِرٍ، وَلَا يَنْبَغِـي لِي**»[3].

وإنَّـما مُنِـعَ مـن قـول الشـعر لِئـلَّا تَدخُـلَ الشُّـبهَةُ عـلى قـومٍ فيـما أتـى بـه مـن القـرآن، فيقولـون: قَـوِيَ عـلى ذلـك بـما في طَبعِـه مـن الفطنـة للشـعر.

---

(١) رواه ابـن سـعد في الطبقـات (١/ ٣٨٢) مـن طريـق عارم عن حماد بن زيد عن علي بـن زيد عن الحسـن بـه مرسـلاً به، وعزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٧/ ٧١) لابن سـعد، وابـن أبي حاتم، والمرزبـاني في معجـم الشـعراء. قال الحافظ ابن حجـر في التلخيص الحبير (٣/ ٢٧٥): «فهو مع إرسـاله فيـه ضعف وهـو راويه عن الحسـن: علي بـن زيد بـن جدعان».

(٢) رواه ابـن سـعد في الطبقـات الكـبرى (٤/ ٢٧٢) مـن روايـة محمـد بـن عمـر عـن عبـد الرحمن بـن أبي الزنـاد مرسـلاً به.

(٣) رواه عبـد الـرزاق في تفسـيره (٢٤٩٦) مـن روايـة معمـر عـن قتـادة قـال: بلغنـي عـن عائشـة رضي الله عنها بـه، وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور أيضًـا (٧/ ٧١) لعبـد بـن حميـد، وابـن جريـر، وابـن المنـذر، وابـن أبي حاتـم.
وهـو بلفـظ مختصر عنـد أحمـد في مسـنده (٢٥٠٧١)، والترمـذي في سـننه (٢٨٤٨) وصحَّحه، وغيرهمـا مـن حديـث عائشـة، قـال: قيـل لهـا: هـل كان النبـي ﷺ يتمثـل بـشيء مـن الشـعر؟ قالـت: كان يتمثـل بشـعر ابـن رواحـة ويقـول: «**ويأتيـك بالأخبـار مـن لم تـزود**».

قولـه تعـالى: ﴿إِنْ هُوَ﴾ يعنـي القـرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ إلَّا موعظـةٌ ﴿وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ فيـه الفرائـض والسـنن والأحـكام.

قوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ﴾:

قـرأ ابـن كثـير، وعاصـم، وأبـو عمـرو، وحمـزة، والكسـائي: ﴿لِّيُنذِرَ﴾ باليـاء، يعنـون القـرآن.

وقـرأ نافـع، وابـن عامـر، ويعقـوب: «لِتُنْـذِرَ» بالتـاء، يعنـون النبـيَّ ﷺ، أي: لِتُنْـذِرَ يـا محمَّـدُ بـما في القـرآن[١].

وقــرأ أبــو المتــوكِّل، وأبــو الجــوزاء، وابــن الســميفع: «لِيُنْـذَرَ» بيــاءٍ مرفوعــةٍ وفتــح الــذال والــراء جميعــاً[٢].

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾ وفيه أربعة أقوال:

أحدها: حيَّ القَلبِ حيَّ البصرِ، قاله قتادة.

والثاني: من كان عاقلاً، قاله الضحَّاك.

قـال الزجـاج: مـن كان يعقـل مـا يُخاطَـبُ بـه، فـإنَّ الكافـرَ كالميِّـت في تـرك النذيـر[٣].

---

(١) انظـر: السـبعة (ص:٥٤٤)، والحجـة (٦/ ٤٧)، والمبسـوط (ص:٣٧٣-٣٧٤)، والتحصيـل (٥/ ٤١٦).

(٢) في مختـصر ابـن خالويه (ص:١٢٦) نسـبها للجحدري، وفي المحرر الوجيـز (٤/ ٤٦٢)، والبحر المحيـط (٩/ ٨١) كلاهما نسـبها لمحمد اليماني.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٩٤).

والثالث: مهتديًا، قاله السدي.

وقال مقاتل: من كان مهتديًا في علم الله[1].

والرابع: من كان مؤمنًا، قاله يحيى بن سلام، وهذا على المعنى الذي قد سبق في قوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم﴾ [فاطر: ١٨]، ويجوز أن يريد: إنَّما ينفع إنذارك من كان مؤمنًا في علم الله.

قوله تعالى: ﴿وَيَحِقَّ﴾ معناه يجب.

وفي المراد بالقول قولان:

أحدهما: أنَّه العذاب.

والثاني: الحجة.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ٧١ وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ٧٢ وَلَهُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ٧٣ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ ٧٤ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَهُمۡ وَهُمۡ لَهُمۡ جُندٞ مُّحۡضَرُونَ ٧٥ فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾[يس: ٧١-٧٦].

ثم ذكَّرهم قدرتَه فقال: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا﴾.

قال ابن قتيبة: يجوز أن يكون المعنى: ممَّا عَمِلْناه بقوَّتنا وقُدرَتنا، وفي اليد القُدْرةُ والقُوَّةُ على العمل، فتُستعارُ اليدُ فتُوضَعُ موضعَها، هذا مجازٌ

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٨٤).

للعـرب يحتملُـه هـذا الحـرف، والله أعلـم بـما أراد[١].

وقـال غـيره: ذِكْـرُ الأيـدي هاهنـا يـدلُّ عـلى انفـراده بـما خَلَـق، والمعنـى: لم يشـاركْنا أحـدٌ في إنشـائِنا، والواحـدُ مِنَّـا إذا قـال: عملـتُ هـذا بيـدي، دلَّ ذلـك عـلى انفـراده بعملـه.

وقـال أبـو سـليمان الدمشـقيُّ: معنـى الآيـة: ممَّـا أَوجدْنـاه بقُدرتِنـا وقوَّتنا، وهـذا إجمـاعٌ أنـه لم يُـرِدْ هاهنـا إلَّا مـا ذكَرْنا.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: ضابطون، قاله قتادة، ومقاتل[٢].

قال الزجاج: ومثله من الشعر[٣]: [من المنسرح]

أَصْبَحْـتُ لاَ أَحْمِـلُ السِّـلاَحَ وَلاَ ... أَمْلِـكُ رَأْسَ البَعِـيرِ إِنْ نَفَـرَا

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٣٦٨).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٨٤).

(٣) البيت للربيع بن ضبع الفزاري في أمالي القالي (٢/ ١٨٥)، وجمهرة الأمثال (١/ ٢٣٧)، وديوان المعاني (٢/ ٢٢٤)، وفصل المقال في شرح كتاب الأمثال (ص: ١٧٦)، ومحاضرات الأدباء (١/ ٤٨٠)، وأمالي المرتضي (١/ ٢٥٥)، والحماسة البصرية (٢/ ٣٦٧)، وحماسة البحتري (ص: ٢٠١)، وخزانة الأدب (٧/ ٣٨٤)، وشرح التصريح (٢/ ٣٦)، والكتاب (١/ ٨٩)، ولسان العرب (١٣/ ٢٥٩) مادة (ضمن)، والمقاصد النحوية (٣/ ٣٩٨)، والدر الفريد (٢٩٣٥)، ومنسوب لشريح بن هانئ كما في المستقصى في أمثال العرب (٢/ ١٩٢)، وبلا نسبة في معاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٤/ ٢٩٥)، والرد على النحاة (ص: ١١٤)، وشرح المفصل (٧/ ١٠٥)، والمحتسب (٢/ ٩٩).

أي: لا أضبطُ رأسَ البعير(١).

والثاني: قادرون عليها بالتسخير لهم، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ﴾ أي: سخَّرناها فهي ذليلةٌ لهم.

﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾:

قال ابن قتيبة: الرَّكوب ما يركبون، والحَلُوب ما يحلِبُون(٢).

قال الفراء: ولو قرأ قارئٌ: «فَمِنْهَا رُكُوبُهُمْ» كان وجهًا كما تقول: منها أُكُلُهم وشُرْبُهم ورُكُوبُهم(٣).

وقد قرأ بضمِّ الراء: الحسن، وأبو العالية، والأعمش، وابن يعمر في آخرين(٤).

[٦٦٨/أ] وقرأ أُبَيُّ بن كعب، وعائشة: «رَكُوبَتُهم» بفتح الراء والباء وزيادةِ تاءٍ مرفوعة(٥).

قال المفسِّرون: يركبون من الأنعام الإبلَ، ويأكلون الغنم.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٩٥).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٣٦٨).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٨١).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٦)، وفي التحصيل (٥/ ٤١٧)، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٤٦٣) كلهم نسبوها للحسن، والأعمش.

(٥) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٦)، وفي الهداية (٩/ ٦٠٦٧) كلاهما نسبها لعائشة، وفي التحصيل (٥/ ٤١٧)، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٤٦٣)كلاهما نسبها لعائشة، وأبي بن كعب.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ من الأصواف والأوبار والأشعار والنسل.

﴿وَمَشَارِبُ﴾ من ألبانها.

﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ ربَّ هذه النِّعَمِ فيوحِّدونه.

ثم ذكر جهلَهم فقال: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: لِتَمْنَعَهُم من عذاب الله.

ثم أخبر أنَّ ذلكَ لا يكونُ بقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ أي: لا تَقدِرُ الأصنام على مَنعِهم من أمرٍ أراده الله بهم.

﴿وَهُمْ﴾ يعني الكفار ﴿لَهُمْ﴾ يعني الأصنام ﴿جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾.

وفيه أربعة أقوال:

أحدها: جند في الدنيا، مُحضَرون في النار، قاله الحسن.

والثاني: مُحضَرون عند الحساب، قاله مجاهد.

والثالث: المشركون جندٌ للأصنام، يغضبون لها في الدنيا، وهي لا تسوقُ إليهم خيرًا، ولا تدفعُ عنهم شرًّا، قاله قتادة.

وقال مقاتل: الكفَّار يَغضَبونَ للآلهة، ويَحْضُرونها في الدنيا[1].

وقال الزجاج: هم للأصنام ينتصرون، وهي لا تستطيعُ نصرَهم[2].

والرابع: هم جُندٌ مُحضَرُون عند الأصنام يعبدونها، قاله ابن السائب.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٨٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٩٥).

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ يعني قولُ كفَّار مكَّة في تكذيبك.

﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ في ضمائرهم من تكذيبك ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بألسنتهم من ذلك، والمعنى: إنَّا نُثِيبُكَ ونُجازيهم.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٧٧- ٨٣].

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية والتي بعدها على خمسة أقوال:

أحدها: أنَّه العاص بن وائلٍ السهميُّ، أخذَ عظمًا من البطحاء ففتَّهُ بيده، ثم قال لرسول الله ﷺ: أَيُحيِي اللهُ هذا بعد ما أرى؟ فقال: «**نَعَمْ، يُمِيتُكَ اللهُ ثُمَّ يُحْيِيكَ ثُمَّ يُدْخِلُكَ نَارَ جَهَنَّمَ**»، فنزلت هذه الآيات، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس[1].

(١) رواه الحاكم في مستدركه (٣٦٠٦) من رواية سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.
قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».
ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٤٨٧) من رواية سعيد بن جبير مرسلاً به.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضًا (٧/ ٧٤) لابن المنذر، وابن أبي حاتم، والإسماعيلي في معجمه، وابن مردويه، والبيهقي في البعث، والضياء في المختارة.

والثاني: أنه عبد الله بن أُبَيٍّ بن سلول، جرى له نحو هذه القصة، رواه العوفيُّ عن ابن عباس[١].

والثالث: أنه أبو جهل بن هشام، وأن هذه القصَّة جرَتْ له، رواه الضحاك عن ابن عباس[٢].

والرابع: أنَّه أميَّة بن خلفٍ، قاله الحسن[٣].

والخامس: أنَّه أُبَيُّ بن خلفٍ الجمحيُّ، وهذه القصَّة جرَتْ له، قاله مجاهد[٤]، وقتادة[٥] والجمهور، وعليه المفسِّرون.

ومعنى الكلام: التعجُّبُ من جهل هذا المُخَاصِم في إنكاره البعثَ.

والمعنى: ألَا يعلمُ أنَّه مخلوقٌ فيتفكَّرُ في بَدْءِ خَلقهِ فيترُكُ خصومَتَهُ؟

وقيل: هذا تنبيهٌ له على نعمة الله عليه حيثُ أنشأَهُ من نطفةٍ، فصار مُجادِلاً.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ في إنكار البعث بالعَظْمِ البالي حين فَتَّهُ بيَدِه، وتعجَّبَ ممَّن يقول: إنَّ اللهَ يُحيِيْهِ.

﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ أي: نسي خلقَنا له، أي: تركَ النظرَ في خَلْقِ نفْسِهِ، إذ خُلِقَ من نُطفَةٍ.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٤٨٧) من رواية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضًا (٧/ ٧٤) لابن مردويه.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٧٥) لابن مردويه.

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ١٣٧)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٤/ ٤٦٣).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٤٨٦) من رواية أبي يحيى، عن مجاهد به.

(٥) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٤٨٦) من رواية سعيد، عن قتادة به.

﴿قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾ أي: باليةٌ، يقال: رَمَّ العَظْمُ، إذا بَلِيَ، فهو رَمِيمٌ، لأنَّه معدولٌ عن فاعله، وكلُّ معدولٍ عن وجهه ووزنه فهو مصروفٌ عن إعرابه، كقوله: ﴿وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾ [مريم: ٢٨]، فأسقطَ الهاءَ؛ لأنَّها مصروفةٌ عن باغيةٍ، فقاس هذا الكافرُ قدرةَ الله تعالى بقدرة الخَلْقِ، فأنكرَ [٦٦٨/ب] إحياءَ العظم البالي؛ لأنَّ ذلكَ ليس في مقدور الخلق.

﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ﴾ أي: ابتدأ خلقَها.

﴿أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ﴾ من الابتداء والإعادة ﴿عَلِيمٌ﴾.

﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا﴾:

قال ابن قتيبة: أراد الزُّنُودَ التي تُورِي بها الأعرابُ من شجر المَرْخِ والعَفَار[1].

فإن قيل: لم قال: ﴿ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ﴾ ولم يقل: «الشجر الخُضْر»؟

فالجواب: أنَّ «الشجر» جمعٌ، وهو يؤنَّثُ ويُذكَّر، قال الله تعالى: ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ﴾ [الواقعة: ٥٣]، وقال: ﴿فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ﴾.

ثم ذكرَ ما هو أعظم من خلق الإنسان، فقال: ﴿أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ﴾، وقرأ أبو بكر الصِّدِّيق، وعاصم الجحدري: «يَقْدِرُ» بياء من غير أَلِفٍ[2].

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٣٦٨).

(٢) في التحصيل (٥/ ٤١٧) نسبها ليعقوب الحضرمي، وفي الهداية (١١/ ٦٨٧٠) نسبها للأعرج وابن أبي إسحاق، والجحدري، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٤٦٤) نسبها لسلام أبي المنذر، وابن أبي إسحاق، ويعقوب، والأعرج، وفي البحر المحيط (٩/ ٨٥) نسبها للجحدري، وابن أبي=

﴿عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ وهـذا اسـتفهام تقريـرٍ، والمعنـى: مَـنْ قَـدَرَ عـلى ذلـك العظيـم، قَـدَرَ عـلى هـذا اليسـير.

وقد فسَّرنا معنى ﴿أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ في بني إسرائيل[1].

ثـم أجـابَ عـن هـذا الاسـتفهام فقـال: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾ يخلُـقُ خلقـاً بَعْـدَ خَلْـقٍ.

وقرأ أُبَيُّ بن كعبٍ، والحسن، وعاصم الجحدري: «وهو الخَالِقُ»[2].

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بجميع المعلومات.

و«المَلَكوتُ» والمُلْكُ واحدٌ، وباقي السورة قد تقدَّم شرحه[3].

=إسحاق، والأعرج، وسلام، ويعقوب، وانظر: الكامل (ص:٦٢٦).

(١) انظر: تفسير سورة الإسراء الآية رقم (٩٩).

(٢) في مختـصر ابـن خالويـه (ص:١٢٧) نسـبها للحسـن، والجحـدري، ومالـك بـن دينـار، وفي التحصيـل (٥/ ٤١٧) نسـبها للحسـن باختـلاف عنـه، وفي الكامـل (ص:٦٢٦) نسـبها للحسـن، وشريـح بـن يونـس عـن عـلي، وفهـد بـن الصقـر عـن يعقـوب، والشـيزري عـن أبي جعفـر، وشـيبة، وفي المحـرر الوجيـز (٤/ ٤٦٤) نسـبها للحسـن.

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٣٢، ١١٧)، وسورة الأنعام الآية رقم (٧٥).

سورة الصافات

وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعهم.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قولـه تعـالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾[الصافات: ١-٥].

قوله: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنَّها الملائكة، قاله ابن مسعود، وابن عبَّاس، وسعيد بن جُبَير، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والجمهور.

قال ابن عبَّاس: هم الملائكة صفوفٌ في السماء، لا يَعرِفُ ملكٌ منهم مَنْ إلى جانبه، لم يلتَفِتْ منذُ خلقَهُ الله ﷻ[1].

وقيل: هي الملائكةُ تَصُفُّ أجنحتَها في الهواء واقفةً إلى أن يأمُرَها الله ﷻ بما يشاء.

والثاني: أنَّها الطير كقوله: ﴿وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ﴾[النور: ٤١] حكاه الثعلبي[2].

وفي «الزاجرات» قولان:

أحدهما: أنَّها الملائكة التي تزجر السحاب، قاله ابن عبَّاس، والجمهور.

والثاني: أنَّها زواجِرُ القرآن، وكل ما ينهى ويزجُرُ عن القبيح، قاله قتادة.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٢١)، والتفسير البسيط (١٩/ ٧).

(٢) انظر: الكشف والبيان (٨/ ١٣٨).

وفي «التاليات ذكرًا» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّها الملائكةُ، تقرأ كُتُبَ الله تعالى، قاله ابن مسعود، والحسن، والجمهور.

والثاني: أنَّهم الرُّسل، رواه الضحَّاك عن ابن عبَّاس.

والثالث: ما يُتلَى في القرآن من أخبار الأُمَمِ، قاله قتادة.

وهذا قسَمٌ بهذه الأشياء، وجوابه: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾.

وقيل: معناه: وربِّ هذه الأشياء إنَّه واحدٌ.

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾.

قال السدِّي: المشارق ثلاثمائةٍ وستُّون مَشرِقًا، والمغاربُ مِثلُها، على عدد أيَّام السَّنة[1].

فإن قيل: لِمَ تركَ ذِكرَ المغارب؟

فالجواب: أنَّ المشارِقَ تدلُّ على المغارب؛ لأنَّ الشروقَ قبلُ الغروب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[الصافات: ٦-١٠].

قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني التي تَلِي الأرضَ، وهي أدنى السموات إلى الأرض.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٤٩٦) من رواية أسباط، عن السدي به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٧٩) لابن أبي حاتم.

﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾:

قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبو عمرو، والكسائي: «بزينةِ الكواكب» مضافاً، أي: بحُسْنِها وضَوئِها.

وقرأ حمزة، وحفصٌ عن عاصم: ﴿بِزِينَةٍ﴾ مُنوَّنةً، وخفضَ ﴿ٱلْكَوَاكِبِ﴾ وجعلَ (الكواكب) بدلاً من الزينة؛ لأنَّها هي كما تقول: مررتُ بأبي عبد [٦٦٩/أ] الله زيدٍ، فالمعنى: إنَّا زيَّنَّا السَّماءَ الدنيا بالكواكب.

وقرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: ﴿بِزِينَةٍ﴾ بالتنوين، وبنصب «الكواكبَ»[1].

والمعنى: زيَّنَّا السَّماء الدنيا بأن زيَّنَّا الكواكبَ فيها حين ألقيناها في منازلِها، وجعلناها ذاتَ نورٍ.

قال الزجاج: ويجوز أن يكون الكواكب في النصب بدلاً من قوله: ﴿بِزِينَةٍ﴾؛ لأن قوله: ﴿بِزِينَةٍ﴾ في موضع نصب[2].

وقرأ أبي بن كعب، ومعاذ القارئ، وأبو نهيك، وأبو حصين الأسدي في آخرين: «بزينةٍ» بالتنوين «الكواكبُ» برفع الباء[3].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٤٦ - ٥٤٧)، والحجة (٦/ ٥٠-٥١)، والمبسوط (ص:٣٧٥)، والتيسير (ص:١٨٦)، والتحصيل (٥/ ٤٣٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٩٨).

(٣) في المحرر الوجيز (٤/ ٤٦٦) قال: «وحكى الزهراوي قراءة «بزينة» بالتنوين «الكواكب» بالرفع»، وفي البحر المحيط (٩/ ٩١) نسبها لزيد بن علي، وقال الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٩٨): «ويجوز «بزينةٍ الكواكبُ»، ولا أَعْلَمُ أَحَداً قرأ بها، فلا تقرأن بها، إلا أن ثبتت بها رواية، لأن القراءة سنة، ورفع الكواكب على معنى: أنا زينا السماء الدنيا بأن زَينتها الكواكبُ، وبأن زُيِّنَتِ الكَوَاكِبُ».

قال الزجاج: والمعنى: إنَّا زيَّنَّا السَّماء الدُّنيا بأنْ زَيَّنْتَها الكواكبُ، وبأنْ زَيَّنَتِ الكواكب[١].

﴿ وَحِفْظًا ﴾ أي: وحفظناها حفظًا.

فأمَّا «المارد»، فهو العاتي، وقد شرحنا هذا في قوله تعالى: ﴿شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾[٢] [النساء: ١١٧].

قوله تعالى: ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ ﴾.

قال الفراء: لا هاهنا كقوله: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٢٠٠ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ [الشعراء: ٢٠٠ـ ٢٠١]، ويصلح في «لا» على هذا المعنى الجزم، فإنَّ العربَ تقول: ربطْتُ الفرسَ لا يَنْفَلِت[٣].

وقال غيره: لكي لا يسمعوا إلى الملأ الأعلى، وهم الملائكةُ الذين في السماء.

وقرأ حمزة، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ، وخلَفٌ: ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ ﴾ بتشديد السين، وأصله: يتسمَّعون، فأُدغِمَتِ التاءُ في السين[٤].

وإنَّما قال: ﴿إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾؛ لأنَّ العربَ تقول: سمعتُ فلانًا، وسَمِعتُ من فلانٍ، وإلى فلانٍ.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٩٨).

(٢) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (١١٧).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٨٣).

(٤) انظر: السبعة (٥٤٧)، والحجة (٦/ ٥٢)، والمبسوط (ص:٣٧٥)، والتيسير (ص:١٨٦)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٦٦)، والتحصيل (٥/ ٤٣٥).

﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ بالشُّهُبِ ﴿دُحُورًا﴾.

قال قتادة: أي: قذفًا بالشُّهُبِ[١].

وقال ابن قتيبة: أي، طردًا يقال: دَحَرْتُه دَحْراً ودُحُوراً، أي: دَفَعْتُهُ[٢].

وقرأ عليٌّ بن أبي طالبٍ، وأبو رجاء، وأبو عبد الرحمن، والضحَّاك، وأيُّوبُ السختيانيُّ، وابن أبي عبلةَ: «دَحُورًا» بفتح الدال[٣].

وفي «الواصب» قولان:

أحدهما: أنَّه الدائم، قاله ابن عبَّاس، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والفرَّاء[٤]، وابن قتيبة[٥].

والثاني: أنَّه الموجع، قاله أبو صالح، والسدي.

وفي زمان هذا العذاب قولان:

أحدهما: أنَّه في الآخرة.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٥٠٥) من رواية سعيد، عن قتادة به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٨٠) لعبد بن حميد أيضًا.

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٣٦٩).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٧) عزاها لعلي، والسلمي، وفي المحتسب (٢/ ٢١٩)، وفي التحصيل (٥/ ٤٣٥)، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٤٦٦) كلهم عزوها للسلمي، وفي البحر المحيط (٩/ ٩٢) عزاها لعلي، والسلمي، وابن أبي عبلة، والطبراني عن رجاله عن أبي جعفر.

(٤) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٨٣).

(٥) انظر: غريب القرآن (ص:٣٦٩).

والثاني: أنَّه في الدنيا، فهم يُخْرَجون[١] بالشُّهُب، ويُخبَلُون إلى النَّفْخة الأولى في الصُّور.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾.

قرأ ابن السميفع: «خَطِّفَ» بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدِها[٢].

وقرأ أبو رجاء، والجحدريُّ: بكسر الخاء والطاء جميعًا والتخفيف[٣].

وقال الزجاج: خَطَفَ وخَطِفَ، بفتح الطاء وكسرها، يقال: خَطَفْتُ أَخْطِفُ، وخَطِفْتُ أَخْطَفُ: إذا أخذْتَ الشيءَ بسرعةٍ، ويجوز «إلَّا مَنْ خَطَّفَ» بفتح الخاء وتشديد الطاء، ويجوز «خِطَفَ» بكسر الخاء وفتح الطاء، والمعنى: اختطفَ، فأُدغِمَتِ التاءُ في الطاء، وسقطت الألف لحركة الخاء، فمن فتح الخاء ألقى عليها فتحةَ التاء التي كانت في «اخْتَطَفَ»، ومن كَسرِ الخاء، فلِسُكونِها وسُكونِ الطاء.

فأما من روى «خِطِفَ» بكسر الخاء والطاء فلا وجهَ لها إلَّا وجهاً ضعيفاً جدًّا، وهو أن يكونَ على إتباع الطاء كسرةَ الخاء[٤].

---

(١) ذكره البغوي في معالم التنزيل (٧/ ٣٥) عن مقاتل بلفظ: دَائِمٌ إِلَى النَّفْخَةِ الأُولَى، لِأَنَّهُمْ يُحْرَقُونَ وَيَتَخَبَّلُونَ.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٨) نسبها للحسن، وقتادة، وعيسى، وفي التحصيل (٥/ ٤٣٥) نسبها للحسن، وغيره، وانظر: البحر المحيط (٩/ ٩٣).

(٣) قال في المحرر الوجيز (٤/ ٤٦٧) قال: «وروي عن ابن عباس «خطف» بكسر الخاء والطاء مخففة»، وكذلك قال في البحر المحيط (٩/ ٩٣).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٩٩).

قال المفسِّرون: والمعنى: إلَّا من اختلسَ الكلمةَ من كلام الملائكة مُسارَقةً، فَأَتْبَعَهُ أي: لَحِقَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ.

قال ابن قتيبة: أي: كوكبٌ مُضيءٌ، يقال: أَثْقِبْ نارَكَ، أي: أَضِئْها، [٦٦٩/ ب] والثقوب: ما تُذَكَّى به النَّار(١).

قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ۝١١ بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ ۝١٢ وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ ۝١٣ وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ ۝١٤ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ۝١٥ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ۝١٦ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ۝١٧ قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ۝١٨ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ ۝١٩ وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝٢٠ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢١ ۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ۝٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٢٣ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ۝٢٤ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ﴾[الصافات: ١١-٢٦].

قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ﴾ أي: فَسَلْهُم سُؤالَ تقريرٍ: ﴿أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا﴾ أي: أَحْكَمُ صَنْعَةً ﴿أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أنَّ المعنى: أَمْ مَنْ عدَّدْنا خلقَهُ من الملائكة والشياطين والسموات والأرض، قاله ابن جرير(٢).

والثاني: أم مَنْ خلقْنا قبلَهم من الأمم السالفة، والمعنى: إنَّهم ليسوا بأقوى من أولئك، وقد أهلكناهم بالتكذيب، فما الذي يُؤَمِّنُ هؤلاء؟

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٣٦٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٥٠٩).



ثمَّ ذكَرَ خلقَ الناس، فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾.

قال الفراء[1]، وابن قتيبة[2]: أي: لاصقٌ لازمٌ، والباء تُبدَّلُ من الميم؛ لقُرْبِ مخرجيهما.

قال ابن عبَّاس: هو الطين الحرُّ الجيِّد اللَّزِقُ[3].

وقال غيره: هو الطين الذي يُنَشِّفُ عنه الماء، وتبقى رطوبته في باطنه، فيلصق باليد كالشمع، وهذا إخبارٌ عن تساوي الأصل في خَلقِهم وخَلقِ من قبلهم، فمن قَدِرَ على إهلاك الأقوياءِ قَدِرَ على إهلاك الضعفاء.

قوله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ ﴾ بل معناه: تَركُ الكلامِ الأوَّل، والأخذُ في الكلام الآخِر، كأنَّه قال: دَعْ يا محمَّدُ ما مضى.

وفي ﴿عَجِبْتَ ﴾ قراءتان:

قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿عَجِبْتَ ﴾ بفتح التاء.

وقرأ عليُّ بن أبي طالبٍ، وابنُ مسعودٍ، وابنُ عبَّاسٍ، وأبو عبد الرحمن السلميّ، وعكرمةُ، وقتادةُ، وأبو مجلزٍ، والنخعيُّ، وطلحةُ بن مُصَرِّفٍ، والأعمشُ، وابن أبي ليلى، وحمزةُ، والكسائيُّ في آخرين: «بَلْ عَجِبْتُ» بضم التاء[4]،

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٨٤).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٣٦٩).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٥١١) من رواية مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٤) انظر: السبعة (ص:٥٤٧)، والحجة (٦/ ٥٣)، والمبسوط (ص:٣٧٥)، والتيسير (ص:١٨٦)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٦٧)، والتحصيل (٥/ ٤٣٥).

واختارها الفرَّاء(١).

فمن فتحَ أرادَ: بل عَجِبْتَ يا محمَّد ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ هم.

قال ابن السائب: أنت تعجب منهم، وهم يسخرون منك(٢).

وفي ما عجب منه قولان:

أحدهما: من الكفَّار؛ إذ لم يؤمنوا بالقرآن.

والثاني: إذ كفروا بالبعث.

ومن ضمَّ أرادَ الإخبارَ عن الله ﷻ أنَّه عَجِبَ.

قال الفراء: وهي قراءة عليٍّ، وعبدِ الله، وابنِ عبَّاسٍ، وهي أحبُّ إليَّ، وقد أنكر هذه القراءةَ قومٌ، منهم: شُرَيحٌ القاضي، فإنَّه قال: إنَّ اللهَ لا يَعْجَبُ، إنَّما يَعْجَبُ مَنْ لا يَعْلَمُ(٣).

قال الزجاج: وإنكار هذه القراءة غلطٌ؛ لأنَّ العجبَ من الله خلافُ العجَبِ من الآدميِّين، وهذا كقوله: ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقوله: ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]، وأصلُ العجَبِ في اللُّغة: أنَّ الإنسانَ إذا رأى ما يُنْكِرُهُ ويَقِلُّ مِثْلُه، قال: قد عَجِبتُ من كذا، وكذلك إذا فَعَلَ الآدميُّون ما ينكره الله ﷻ، جاز أن يقولَ عَجِبْتُ، واللهُ قد عَلِمَ الشَّيءَ قبلَ كَونِهِ(٤).

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٨٤).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٩/ ٢٨).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٨٤).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٠٠).

وقال ابن الأنباري: المعنى جازيتُهم على عجَبِهم من الحقِّ، فسُمِّي الجزاءَ على الشيء باسم الشيء الذي له الجزاء، فسمَّى فِعلَهُ عجَبًا، وليس بعَجَبٍ في الحقيقة؛ لأنَّ المتعجِّبَ يُدهَشُ ويتحيَّر، والله ﷻ قد جلَّ عن ذلك، وكذلك سُمِّيَ تعظيمُ الثواب عجبًا؛ لأنَّه إنَّما يتعجَّبُ من الشيء إذا كان في النهاية، والعربُ تسمِّي الفِعلَ باسم الفعل إذا داناه من بعضِ وجوهه، وإن كان مخالفًا له في أكثر معانيه.

قال عُدَيٌّ[1]: [من الرمل]

ثُمَّ أَضْحَوا لَعِبَ الدَّهْرُ بِهِمْ   وَكَذَاكَ الدَّهرُ حَالاً بَعْدَ حَالْ

فجعل إهلاكَ الدهر وإفسادَهُ لَعِبًا.

وقال ابن جرير: من ضمَّ التاء فالمعنى: بلى عَظُمَ عندي وكَبُرَ اتِّخاذُهم لي شريكًا، وتكذيبُهم تنزيلي[2].

[٦٧٠/أ] وقال غيره: إضافةُ العَجَبِ إلى الله على ضربين:

أحدهما: بمعنى الإنكار والذمِّ كهذه الآية.

والثاني: بمعنى الاستحسان والإخبار عن تمام الرضى، كقوله ﷺ: «عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ شَابٍّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ»[3].

---

(١) البيت لعدي بن زيد في ديوانه (ص: ٨٣)، وعيون الأخبار (٢/ ٣٢٧)، وزهر الآداب (٢/ ٣٨٨)، وحياة الحيوان الكبرى (٢/ ٤٨٩)، والدرر (٢/ ٥٥)، وبلا نسبة في همع الهوامع (١/ ١١٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٥١٣).

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٧٣٧١)، وأبو يعلى في مسنده (١٧٤٩)، وابن أبي عاصم في السنة=

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴾ أي: إذا وُعِظُوا بالقرآن لا يَذكُرون، ولا يتَّعِظُون.

وقرأ سعيد بن جُبَير، والضحَّاكُ، وأبو المتوكِّل، وعاصمٌ الجحدريُّ، وأبو عمران: «ذُكِرُوا» بتخفيف الكاف[1].

﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً ﴾.

قال ابن عبَّاس: يعني انشقاقَ القمر[2].

﴿ يَسْتَسْخِرُونَ ﴾.

قال أبو عبيدة: يَسْتَسْخِرُون ويَسخَرُون سواءٌ[3].

قال ابن قتيبة: يقال: سَخِرَ واسْتَسْخَرَ، كما يُقَالُ: قَرَّ واسْتَقَرَّ، وعَجِبَ واسْتَعْجَبَ، ويجوز أن يكون: يسألون غيرَهم من المشركين أن يَسْخَروا من رسول الله، كما يقال: اسْتَعْتَبْتُهُ، أي: سألتُهُ العُتْبَى، واسْتَوْهَبْتُهُ، أي: سألتُه الهِبَة، واسْتَعْفَيْتُه: سألتُهُ العَفْوَ[4].

=(٥٧١)، والخرائطي في اعتلال القلوب (٥٣٧)، وابن شاهين في فضائل الأعمال (٢٣١)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٣٠٩) (٨٥٣)، والقضاعي في مسند الشهاب (٥٧٦) وغيرهم من رواية ابن لهيعة، عن أبي عُشَّانَة، عن عقبة بن عامر مرفوعًا به، وإسناده ضعيف لسوء حفظ ابن لهيعة.

هذا وقد أخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٤٩) أيضًا لكن موقوفًا على عقبة بن عامر.

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٨) نسبها لجناح بن حبيش.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٢٣)، والتفسير البسيط (١٩/ ٢٩).

(٣) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٦٧).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:٣٦٩).

﴿ وَقَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ ﴾ يعنون انشقاق القمر.

﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: بَيِّنٌ لمن تأمَّلَهُ أنَّه سِحرٌ.

﴿ أَءِذَا مِتْنَا ﴾ قد سبقَ بيانُ هذه الآية[1].

﴿ أَوَءَابَآؤُنَا ﴾ هذه ألف الاستفهام دخلَتْ على حرف العطف، كقوله: ﴿ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾[الأعراف: ٩٨].

وقرأ نافعٌ وابنُ عامر: «أَوْ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ» بسكون الواو هاهنا وفي الواقعة[2].

﴿ قُلْ نَعَمْ ﴾ أي: نعم تُبعَثُون.

﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ أي: صاغرون.

﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾ أي: فإنَّما قِصَّةُ البعث صيحةٌ واحدةٌ من إسرافيل، وهي نفخة البعث، وسُمِّيَتْ زجرةً؛ لأنَّ مقصودَها الزجر.

﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴾: قال الزجاج: أي: يَحيَوْنَ ويُبْعَثُونَ بُصَراءَ يَنظُرُون[3].

فإذا عاينوا بعثَهم، ذكرُوا إخبارَ الرُّسل عن البعث: ﴿ وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾ أي: يوم الحساب والجزاء، فتقول الملائكة: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴾ أي: يوم القضاء الذي يُفصَلُ فيه بين المُحسنِ والمُسيءِ؛ ويقول الله ﷻ يومئذٍ للملائكة: ﴿ٱحْشُرُواْ ﴾ أي: اجمعوا ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ من حيث هم.

---

(١) انظر: تفسير سورة مريم الآية رقم (٦٦).

(٢) انظر: المبسوط (ص: ٢١٠-٢١١)، والتحصيل (٥/ ٤٣٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٠١).

وفيهم قولان:

أحدهما: أنَّهم المشركون.

والثاني: أنَّه عامٌّ في كلِّ ظالم.

وفي «أزواجهم» أربعة أقوال:

أحدها: أمثالُهم وأشباهُهم، وهو قول عمر، وابن عباس، والنعمان بن بشير، ومجاهد في آخرين.

ورُوِيَ عن عمر قال: يُحشَرُ صاحبُ الربا مع صاحبِ الربا، وصاحبُ الزنا مع صاحبِ الزنا، وصاحبُ الخمر مع صاحبِ الخمر[١].

والثاني: أنَّ أزواجَهم المشركات، قاله الحسن.

والثالث: أشياعُهم، قاله قتادة.

والرابع: قرناؤُهم من الشياطين الذين أَضَلُّوهم، قاله مقاتل[٢].

وفي قوله: ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعۡبُدُونَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: الأصنام، قاله عكرمة، وقتادة.

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٨٣) لعبد الرزاق، والفريابي، وابن أبي شيبة، وابن منيع في مسنده، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في البعث من طريق النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٠٤).



والثاني: إبليس وحده، قاله مقاتل[١].

والثالث: الشياطين، ذكره الماوردي[٢] وغيره.

قوله تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ﴾ أي: دُلُّوهم على طريقها، والمعنى: اذهبوا بهم إليها.

قال الزجاج: يقال: هَدَيْتُ الرَّجُل: إذا دَلَلْتَه، وهَدَيْتُ العروس إلى زوجِها، وأهديتُ الهديَّة، فإذا جعلْتَ العروسَ كالهدية، قلتَ: أَهدَيْتُها[٣]. [٦٧٠/ ب]

قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ﴾ أي: احبِسُوهم.

﴿إِنَّهُم﴾: وقرأ ابن السميفع: «أَنَّهُمْ» بفتح الهمزة[٤].

قال المفسِّرون: لما سيقوا إلى النار حُبِسُوا عند الصراط؛ لأنَّ السؤالَ هناك.

وفي هذا السؤال ستَّة أقوال:

أحدها: أنَّهم سُئِلُوا عن أعمالهم وأقوالهم في الدنيا.

والثاني: عن لا إله إلا الله، رُوِيَا جميعًا عن ابن عبَّاس.

والثالث: عن خطاياهم، قاله الضحاك.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٠٤).

(٢) انظر: النكت والعيون (٥/ ٤٣).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٠١).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٨)، والبحر المحيط (٩/ ٩٧) كلاهما نسبها لعيسى.

والرابع: سألهم خزنةُ جهنَّمَ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨]، ونحوُ هذا قاله مقاتل[١].

والخامس: أنَّهم يُسألُون عمَّا كانوا يَعبدون، ذكره ابن جرير[٢].

والسادس: أنَّ سؤالَهم قولُه: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ ذكره الماوردي[٣].

قال المفسِّرون: المعنى: ما لكم لا ينصرُ بعضُكم بعضًا كما كنتم في الدنيا، وهذا جواب أبي جهلٍ حين قال يومَ بدر: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ [القمر: ٤٤]، فقيل لهم ذلك يومئذٍ توبيخًا، والمُستَسلِمُ المُنقادُ الذَّليل، والمعنى: أنَّهم منقادُونَ، لا حِيلةَ لهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٠٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٥٢٣).

(٣) انظر: النكت والعيون (٥/ ٤٤).



﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾[الصافات: ٢٧-٤٩].

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ فيهم قولان:

أحدهما: الإنسُ على الشياطين.

والثاني: الأتباعُ على الرؤساء.

﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ تساؤُلَ توبيخٍ وتأنيبٍ ولومٍ، فيقول الأتباع للرؤساء: لِمَ غرَّرتُمونا؟ ويقول الرؤساء: لِمَ قَبِلْتُم منَّا؟ فذلك قوله: ﴿قَالُوٓاْ﴾ يعني الأتباعُ للمتبوعين: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾، وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: كنتم تَقهَرُونَنا بقُدرَتِكُمْ علينا؛ لأنَّكم كنتم أعزَّ منَّا، رواه الضحَّاك عن ابن عبَّاس.

والثاني: من قِبَلِ الدِّين فتُضِلُّونا، قاله الضحاك.

وقال الزجاج: تأتوننا من قِبَلِ الدِّين فتخدعونا بأقوى الأسباب[١].

والثالث: كنتم تُوَثِّقُون ما كنتم تقولون بأَيمانِكم، فتأتوننا من قِبَلِ الأَيمانِ التي تَحلِفُونَها، حكاه علي بن أحمد النيسابوري.

فيقول المتبوعون لهم: ﴿بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: لم تكونوا على حقٍّ فنُضِلَّكم عنه، إنَّما الكُفْرُ مِنْ قِبَلِكم.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٠٢).

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ﴾ فيه قولان:

أحدُهما: أنَّه القَهرُ.

والثاني: الحُجَّة، فيكون المعنى على الأوَّل: وما كان لنا عليكم من قوَّةٍ نَقْهَرُكم بها، ونُكرِهُكم على متابعتنا.

وعلى الثاني: لم نَأتِكم بحُجَّةٍ على ما دعوناكم إليه كما أَتَتِ الرُّسل.

قوله تعالى: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ﴾ أي: فوَجَبَتْ علينا كلمة العذاب، وهي قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٨].

﴿إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ العذابَ جميعًا نحن وأنتم.

﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾ أي: أضللناكم عن الهدى بدعائكم إلى ما نحن عليه، وهو قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾.

ثمَّ أخبر عن الأَتباعِ والمتبوعينَ بقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ والمجرمون هاهنا: المشركون.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟﴾ في الدنيا ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي: قولوا هذه الكلمةَ ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: يتعظَّمون عن قولها ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا﴾ المعنى: أَنترُكُ عبادةَ آلهتِنا ﴿لِشَاعِرٍ﴾ أي: لِاتِّباعِ شاعر؟ يَعنُونَ رسولَ الله ﷺ، فردَّ الله عليهم فقال: ﴿بَلْ﴾ أي: ليس الأمر على ما قالوا ﴿بَلْ [٦٧١/أ] جَآءَ بِٱلْحَقِّ﴾ وهو التوحيد والقرآن، ﴿وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الذين كانوا قبلَهُ، والمعنى: أنَّه أتى بما أتوا به.

ثـمَّ خاطـبَ المشركـين بـما بعـدَ هـذا إلى قولـه: ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ يعنـي الموحِّديـن.

قال أبو عبيدة: والعربُ تقول: إنَّكم لذاهبون إلَّا زيدًا[١].

وفي ما استثناهم منه قولان:

أحدهما: مـن الجـزاء عـلى الأعـمال، فالمعنـى: إنَّـا لا نؤاخذهـم بسـوء أعمالهـم، بـل نغفـرُ لهـم، قالـه ابـن زيـد.

والثاني: من دون العذاب، فالمعنى: فإنَّهم لا يذوقون العذابَ، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه الجنَّة، قاله قتادة.

والثاني: أنَّه الرزق في الجنَّة، قاله السدي.

فعلى هذا في معنى ﴿ مَّعْلُومٌ ﴾ قولان:

أحدهما: أنه بمقدار الغداة والعَشيِّ، قاله ابن السائب.

والثاني: أنَّهم حين يشتهونه يُؤتَونَ به، قاله مقاتل[٢].

ثـمَّ بـيَّنَ الـرزقَ فقـال: ﴿ فَوَٰكِهُ ﴾ وهـي جمـع فاكهـةٍ، وهـي الثـمار كلُّهـا رَطبُهـا ويَابِسُـها ﴿ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴾ بـما أعطاهـم الله.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٦٨).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٠٦).

وما بعد هذا قد تقدم تفسيره[١] إلى قوله: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾.

قال الضحاك: كلُّ كأسٍ ذُكِرَتْ في القرآن فإنَّها عُنِيَ بها الخمرُ[٢].

قال أبو عبيدة: الكأس الإناءُ بما فيه، والمَعِينُ الماءُ الطاهرُ الجاري[٣].

قال الزجاج: الكأسُ الإناءُ الذي فيه الخمر، ويقع الكأس على كلِّ إناءٍ مع شرابه، فإن كان فارغًا فليسَ بكأس، والمَعينُ: الخمرُ تجري كما يجري الماء على وجه الأرض من العيون[٤].

قوله تعالى: ﴿بَيْضَآءَ﴾:

قال الحسن: خمر الجنة أشد بياضًا من اللبن[٥].

قال أبو سليمان الدمشقي: ويدل على أنَّه أرادَ بالكأس الخمرَ أنَّه قال: ﴿بَيْضَآءَ﴾ فأنَّثَ، ولو أراد الإناءَ على انفراده أو الإناء والخمرَ لقال: أبيض.

وقال ابن جرير: إنَّما أرادَ بقوله: ﴿بَيْضَآءَ﴾ الكأسَ، ولتأنيث الكأس أُنِّثَتِ البيضاء[٦].

---

(١) انظر: تفسير سورة الحجر الآية رقم (٤٧).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٥٣١) من رواية سلمة بن نبيط، عن الضحاك به.

(٣) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٦٩).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٠٣).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٢٥)، والتفسير البسيط (١٩/ ٤٥)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٤/ ٤٧٢).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٥٣١).

قوله تعالى: ﴿لَذَّةٍ﴾.

قال ابن قتيبة: أي: لذيذة، يقال: شراب لذاذ: إذا كان طيبًا[١].

وقال الزجاج: أي: ذات لذَّةٍ[٢].

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ فيه سبعة أقوال:

أحدها: ليس فيها صداعٌ، رواه ابن أبي طلحةَ عن ابن عباس.

والثاني: ليس فيها وجعُ بَطنٍ، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وابن زيد.

والثالث: ليس فيها صُدَاعُ رَأسٍ، قاله قتادة.

والرابع: ليس فيها أذًى ولا مكروهٌ، قاله سعيد بن جُبَيرٍ.

والخامس: لا تَغتالُ عقولَهم، قاله السدي.

وقال الزجاج: لا تغتال عقولهم فتذهبُ بها، ولا يصيبهم منها وجعٌ[٣].

والسادس: ليس فيها إثمٌ، حكاه ابن جرير[٤].

والسابع: ليس فيها شيءٌ من هذه الآفات، لأنَّ كلَّ من ناله شيءٌ من

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ٤١٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٠٣).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٠٣).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٥٣٤).

هـذه الآفـات، قيـل: قـد غالَتْـهُ غـولٌ، فالصـواب أن يكـونَ نفـيُ الغـولِ عنهـا يعـمُّ جميـعَ هـذه الأشـياء، هـذا اختيـار ابـن جريـر[1].

قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾.

قـرأ حمـزة، والكسـائي: بكسـر الـزاي هاهنـا وفي الواقعـة، وفتـح عاصـم الـزاي هاهنـا، وكسرهـا في الواقعـة.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، بفتح الزاي في السورتين[2].

قـال الفـراء: فمـن فتـح فالمعنـى: لا تذهـب عقولهـم بشربهـا، يقـال [٦٧١/ ب] للسـكران: نزيـف ومنـزوف.

ومن كسر ففيه وجهان:

أحدهما: لا يُنفِدُون شرابَهم، أي: هو دائم أبدًا.

والثاني: لا يَسْكَرون[3].

قال الشاعر[4]: [من الطويل]

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٥٣٤).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٤٧)، والحجة (٦/ ٥٤)، والمبسوط (ص:٣٧٦)، والتيسير (ص:١٨٦)، والتحصيل (٥/ ٤٣٦).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٨٥).

(٤) البيت للأبيرد في هجاء آل أبجر، كما في درة الغواص (ص:٢٨٥)، ولسان العرب (٩/ ٣٢٧) مادة (نزف) وبلا نسبة في جمهرة اللغة (ص: ٨٢١)، والمحتسب (٢/ ٣٠٨)، وخزانة الأدب (٩/ ٣٨٨)، والدرر (٥/ ٢١٥)، والاقتضاب (٣/ ١٥٩-١٦٠).

لَعَمْـري لَئِـنْ أَنْزَفْتُـمُ أو صَحَوْتُـمُ ... لَبِئْـسَ النَّدامَـى كُنْتُـمُ آلَ أَبْجَـرَا

قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّهُنَّ النساء قد قَصَرْنَ طَرْفَهُنَّ على أزواجِهِنَّ فلا ينظُرْنَ إلى غيرهم، وأصلُ القَصْرِ الحَبْسُ.

قال ابن زيد: إنَّ المرأةَ منهنَّ لَتقولُ لِزوجِهَا: وعِزَّةِ ربِّي ما أرى في الجنَّة شيئًا أحسنَ منكَ، فالحمد لله الذي جعلني زوجَكَ وجعلَكَ زوجي[1].

والثاني: أنَّهُنَّ قد قَصَرْنَ طَرْفَ الأزواج عن غيرِهِنَّ؛ لكمال حُسنِهِنَّ، سمعتُهُ من الشيخ أبي محمَّد بن الخشَّاب النحوي.

وفي «العين» ثلاثة أقوال:

أحدها: حِسَانُ العيون، قاله مجاهد.

والثاني: عِظَامُ الأعيُنِ، قاله السدي، وابن زيد.

والثالث: كِبَارُ العيون حِسَانُها، وواحدتُهنَّ عَيناءُ، قاله الزجاج[2].

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾.

في المراد بالبَيْضِ هاهنا ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه اللؤلؤ، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٤٦) من رواية ابن وهب، عن ابن زيد به، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٢٢٧).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٠٤).

قـال أبـو عبيـدة[1].

والثاني: بَيْضُ النَّعام، قاله الحسن، وابن زيدٍ، والزجاج[2].

قـال جماعـةٌ مـن أهـل اللُّغـة: والعـربُ تُشَـبِّهُ المـرأةَ الحسـناءَ في بياضِهـا وحُسـنِ لونِهـا ببيضـةِ النَّعامَـة، وهـو أحسَـنُ ألـوانِ النسـاء، وهـو أن تكـونَ المـرأةُ بيضـاءَ مُشربـةً صُفْـرَةً.

والثالـث: أنَّـه البَيـضُ حـين يُقَشَّرُ قبـل أن تمسَّـهُ الأيـدي، قالـه السـدي، وإلى هـذا المعنـى ذهـب سـعيد بـن جُبَـيرٍ، وقتـادة، وابـن جريـر[3].

فأمَّـا المكنـون فهـو المصـون، فعـلى القـول الأوَّل هـو مكنـونٌ في صدَفـهِ، وعـلى الثـاني هـو مكنـونٌ بريـش النَّعـام، وعـلى الثالـث هـو مكنـونٌ بقِشْـرِه.

قولـه تعـالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾[الصافات: ٥٠-٦١].

قولـه تعـالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يعنـي أهـل الجنـة ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ عـن أحـوالٍ كانـت في الدنيـا.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٧٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٠٤).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٥٣٩).

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾:

فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنَّه الصاحب في الدنيا.

والثاني: أنَّه الشريك، رُوِيَا عن ابن عباس.

والثالث: أنَّه الشيطان، قاله مجاهد.

والرابع: أنَّه الأخُ.

قال مقاتل: وهما الأخوان المذكوران في سورة الكهف في قوله: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ [الكهف: ٣٢]، والمعنى: كان لي صاحب أو أخ ينكر البعث[1].

﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾.

قال الزجاج: هي مُخَفَّفَةُ الصاد من صَدَّق يُصَدِّق فهو مُصَدِّقٌ، ولا يجوز هاهنا تشديدُ الصاد[2].

قال المفسِّرون: والمعنى: أإنَّك لَمِن المُصدِّقِين بالبعث؟

وقرأ بكرُ بن عبد الرحمن القاضي عن حمزة: «المُصَّدِّقِينَ» بتشديد الصاد[3].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٠٧-٦٠٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٠٤).

(٣) في التحصيل (٥/ ٤٣٦) عزاها لعلي بن كيسة، عن سُليم، عن حمزة، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٤٧٣)، والبحر المحيط (٩/ ١٠٣) كلاهما عزاها لفرقة، وفي الكامل (ص:٦٢٧) عزاها لكيسة، وقال: «وهو ضعيف، الباقون بتخفيف الصاد، وهو الاختيار؛ إذ معناه من التصديق لا من الصدقة».

قوله تعالى: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ أي: مجزيُّونَ بأعمالنا، يقال: دُنْتُهُ بما صنعَ أي جازيتُه، فأحبَّ المؤمن أن يرى قرينةَ الكافر، فقال لأهل الجنة: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ أي: هل تُحِبُّونَ الاطِّلاعَ إلى النار لتعلموا أين مُنزِلَتكم من منزلةِ أهلِها.

وقرأ ابن عبَّاسٍ، والضحاك، وأبو عمران، وابن يعمر: «هل أنتم مُطْلِعُونَ» بإسكان الطاء وتخفيفها، «فأُطْلِعَ» بهمزةٍ مرفوعةٍ وسكون الطاء[1]. [٦٧٢/أ]

وقرأ أبو رزين، وابن أبي عبلة: «مُطْلِعُونِ» بكسر النون[2].

قال ابن مسعود: اطَّلع ثمَّ التفتَ إلى أصحابه فقال: لقد رأيتُ جماجمَ القوم تغلي[3].

قال ابن عباس: وذلك أنَّ في الجنَّة كُوًى يَنظُر منها أهلُها إلى النار[4].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٨) نسبها للجعفي عن أبي عمرو، وابن عباس، وابن محيصن، وفي المحتسب (٢/ ٢١٩) نسبها لابن عباس، وأبي سراج، وابن أبي عمار عبد الرحمن، ويقال: عمار بن أبي عمار، وأبي عمرو بخلاف، وابن محيصن، وفي التحصيل (٥/ ٤٣٦) نسبها لابن عباس، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٤٧٤)، والبحر المحيط (٩/ ١٠٣) كلاهما نسبها لأبي عمرو في رواية حسين الجعفي.

(٢) في المحرر الوجيز (٤/ ٤٧٤) قال: «وقرأ أبو البرهسم بسكون الطاء وكسر النون على أنها ضمير المتكلم، وردَّ هذه القراءة أبو حاتم وغيره ولحَّنوها»، وفي البحر المحيط (٩/ ١٠٣) نسبها لأبي البرهسم، وعمار بن أبي عمار فيما ذكره خلف عن عمار.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٩٤) لابن أبي شيبة، وابن المنذر، وهناد.

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ١٤٥)، والكُوى: جمع كُوَّة وهي الطاقة والنافذة الصغيرة.

قوله تعالى: ﴿فَرَءَاهُ﴾ يعني قرينه الكافر.

﴿فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: في وسطِها.

وقيل: إنَّما سُمِّيَ الوسطُ سواءً؛ لاستواء المسافة منه إلى الجوانب.

قال خُلَيدٌ العَصْري: واللهِ لولا أنَّ اللهَ عرَّفه إيَّاه، ما عرَفَهُ، لقد تغيَّر حِبْرُه وسِبْرُه[1].

فعند ذلك قَالَ: ﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾.

قال المفسِّرون: معناه: والله ما كِدتَ إلَّا تُهلِكُني. يقال: أرديتُ فلانًا أي: أهلكْتُه.

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى﴾ أي: إنعامُه عليَّ بالإسلام.

﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ معكَ في النار.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه إذا ذُبِحَ الموتُ قال أهلُ الجنَّة: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ التي كانت في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ فيقال لهم: لا، فعند ذلك قالوا: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾، فيقول الله تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾، قاله ابن السائب.

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٥٢١)، والطبري في تفسيره (١٩/ ٥٤٧) من رواية قتادة، عن خُليد العصري به.

وقيل: يقول ذلك للملائكة.

والثاني: أنَّه قولُ المؤمن لأصحابه، فقالوا له: إنَّك لا تموتُ، فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾، قاله مقاتل[1].

وقال أبو سفيان الدمشقي: إنَّما خاطبَ المؤمنُ أهلَ الجنَّة بهذا على طريق الفرح بدوام النعيم، لا على طريق الاستفهام؛ لأنَّه قد عَلِمَ أنَّهم ليسوا بميِّتينَ، ولكن أعادَ الكلامَ ليزدادَ بتكراره على سَمعِهِ سرورًا.

والثالث: أنَّه قولُ المؤمن لقرينه الكافر على جهة التوبيخ بما كان يُنكِرُه، ذكره الثعلبيُّ[2].

قوله تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا﴾ يعنى النعيم الذي ذكره في قوله: ﴿أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ٤١] ﴿فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ وهذا ترغيبٌ في طلب ثواب الله ﷻ بطاعته.

قوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات: ٦٢-٧٤].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٠٨).

(٢) انظر: الكشف والبيان (٨/ ١٤٥).

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ يشير إلى ما وُصِفَ لأهل الجنَّة.

﴿نُّزُلًا﴾.

قال ابن قتيبة: أي رِزْقًا، ومنه إقامة الأَنْزَالِ، وأَنْزَالُ الجنودِ أرزاقُها[1].

وقال الزجاج: النُّزُل هاهنا الرَّيعُ والفَضْلُ، يقال: هذا طعامٌ له نُزُلٌ ونُزْلٌ، بتسكين الزاي وضمِّها، والمعنى: أذلك خيرٌ في باب الأَنْزَال التي تَتَقَوَّتُ ويُمكِنُ معها الإقامةُ، أم نُزُلُ أهلِ النار؟ وهو قوله: ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾[2].

واختلف العلماء: هل هذه الشجرة في الدنيا أم لا؟

فقال قطرب: هي شجرةٌ مُرَّةٌ تكون بأرض تهامةَ من أخبث الشجر[3].

وقال غيره: الزَّقُّومُ ثمرةُ شجرةٍ كريهةِ الطعم.

وقيل: إنَّها لا تُعرَفُ في شجر الدنيا، وإنَّما هي في النار، يُكرَهُ أهلُ النار على تناوُلِها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني للكافرين.

وفي المراد بالفتنة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه لمَّا ذكرَ أنَّها في النار افتُتِنُوا وكَذَّبوا. فقالوا: كيف يكونُ

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٣٧١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٠٦).

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٥/ ٥١).

في النـار شـجرةٌ، والنـار تـأكلُ الشـجرَ؟ فنزلـت هـذه الآيـةُ، قالـه قتـادة.

وقال السدي: فتنةً لأبي جهلٍ وأصحابه(١). [٦٧٢/ ب]

والثاني: أنَّ الفتنةَ بمعنى العذاب، قاله ابن قتيبةَ(٢).

والثالث: أنَّ الفتنةَ بمعنى الاختبار، اختُبِرُوا بها فكَذَّبُوا، قاله الزجاج(٣).

قوله تعالى: ﴿تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: في قعر النار.

قال الحسن: أصلُها في قعر النار، وأغصانُها ترتفع إلى دَرَكاتِها(٤).

﴿طَلْعُهَا﴾ أي: ثمرُها، وسُمِّيَ طلعًا لطلوعه ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾.

فإن قيل: كيف شبَّهَها بشيء لم يُشاهَدْ؟ فعنه ثلاثةُ أجوبة:

أحدهـا: أنَّـه قـد اسـتقرَّ في النفـوس قُبْـحُ الشـياطين وإن لم تُشَـاهَدْ، فجـاز تشبيهُها بـما قـد عُلِـمَ قُبْحُـه.

قال امرؤ القيس(٥): [من الطويل]

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٥٥٢) من رواية أسباط، عن السدي به.

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٣٧٢).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٠٦).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٢٦).

(٥) البيـت لامـرئ القيـس في ديوانـه (ص:١٣٧)، وثـمار القلـوب (ص:٧٨)، ونهايـة الأرب (٧/ ٦٤)، ومعـاني القـرآن وإعرابـه (٤/ ٣٠٦)، وجمهـرة اللغـة (ص: ٩٦١)، وتـاج العـروس (٢٥/ ٣٩٥) مـادة (زرق)، ولسـان العـرب (١١/ ٥٠٨) مـادة (غـول)، (١٣/ ٢٣٨) مـادة (شـطن)، وتهذيـب اللغـة (٨/ ١٩٣)، والإيضـاح في علـوم البلاغـة (٣/ ٧٢)، وبـلا نسـبة في درة الغـواص (ص:٢٧٧)، والمخصـص (٨/ ١١١).

أيقتُلُني والمَشْرَفِيُّ مُضاجِعي ... ومَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كأَنْيَابِ أَغْوَالِ

قال الزجاج: هو لم يرَ الغُولَ ولا أنيابَها، ولكنَّ التمثيلَ بما يُستقبَحُ أبلَغُ في باب المذكَّر أنَّ يُمثَّلَ بالشياطين، وفي باب المؤنَّث أن يُشبَّهَ بالغُول[١].

والثاني: أنَّ بين مكَّة واليمن شجرٌ يُسمَّى رؤوسَ الشياطين، فشبَّهها بها، قاله ابن السائب.

والثالث: أنَّه أراد بالشياطين: حيَّاتٍ لها رؤوسٌ، ولها أعرافٌ، شبَّه طلعَها برؤوس الحيَّات، ذكره الزجاج[٢].

قال الفراء: والعرب تسمِّي بعضَ الحيَّات شيطانًا، وهو حيَّةٌ ذو عُرْفٍ قبيحُ الوجه[٣].

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا﴾ أي: مِنْ ثمرِها ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ وذلك أنهم يُكرَهُونَ على أكلِها حتَّى تمتلِئَ بطونُهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾.

قال ابن قتيبة: أي: خلطًا من الماء الحارِّ يشربونه عليها[٤].

قال أبو عبيدة: تقول العرب: كلُّ شيءٍ خلطتَهُ بغيره فهو مَشوبٌ[٥].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٠٧).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٠٦).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٨٧).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص: ٣٧٢).

(٥) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٧٠).

قال المفسرون: إذا أكلوا الزقُّومَ ثـمَّ شربوا عليه الحميمَ شاب الحميمُ الزقُّومَ في بطونهم، فصار شوبًا له.

﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ ﴾ أي: بعدَ أكلِ الزقُّوم وشُربِ الحميم ﴿لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴾ وذلك أنَّ الحميمَ خارجُ الجحيم، فهم يُورِدُونَهُ كما تُورَدُ الإبلُ الماءَ، ثمَّ يَرِدُون إلى الجحيم، ويدلُّ على هذا قوله: ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ [الرحمن: ٤٤].

و﴿أَلْفَوْا﴾ بمعنى وجَدُوا و﴿يُهْرَعُونَ ﴾ مشروحٌ في هود[١]، والمعنى: أنَّهم يتبعون آباءهم في سرعةٍ.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ ﴾ أي: قبلَ هؤلاء المشركين ﴿أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ من الأمم الخالية.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ يعني الموحِّدين فإنَّهم نجَوا من العذاب.

قال ابن جرير: وإنَّما حَسُنَ الاستثناء لأنَّ المعنى: فانظر كيف أهلكنا المنذَرين إلَّا عبادَ الله[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾[الصافات: ٧٥-٨٢].

---

(١) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٧٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٥٥٨).

﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ ﴾ أي: دعانا.

وفي دعائه، قولان:

أحدهما: أنَّه دعا مستنصرًا على قومه.

والثاني: أن يُنجِيَهُ من الغرق.

﴿ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴾ نحن، والمعنى: إنَّا أنجيناه وأهلكنا قومَهُ.

وفي ﴿ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ قولان: **أحدهما:** أنَّه الغرق، **والثاني:** أذى قومه.

﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ وذلك أنَّ نسل أهل السفينة انقرضوا، غيرَ نسلِ ولده، فالناس كلُّهم من ولد نوح.

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ ﴾ أي: تركنا عليه ذكرًا جميلاً ﴿فِى ٱلْآخِرِينَ ﴾ وهم الذين جاؤوا بعدَهُ إلى يوم القيامة.

قال الزجاج: وذلك الذِّكْرُ الجميل قوله: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وهم الذين جاؤوا من بعده(١).

[٦٧٣/أ] والمعنى: تركنا عليه أن يُصلِّيَ عليه في الآخرين إلى يوم القيامة.

﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾: قال مقاتل: جزاه الله بإحسانه الثناء الحسن في العالمين(٢).

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٠٨).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦١١).

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ٱبْنُوا لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٣-١٠١].

قوله: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: من أهل دينه ومِلَّته، والهاء في شيعته عائدةٌ على نوحٍ في قول الأكثرين.

وقال ابن السائب: تعود إلى محمَّد ﷺ[١]، واختاره الفراء[٢].

فإن قيل: كيف يكون من شيعته وهو قبله؟

فالجواب: أنَّه مثلُ قوله: ﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [يس: ٤١] فجعلها ذُرِّيَّتهم وقد سبقَتْهُم، وقد شرحنا هذا فيما مضى[٣].

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٥/ ٥٤).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٨٨).

(٣) انظر: تفسير سورة يس الآية رقم (٤١).

قولـه تعـالى: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ﴾ أي: صـدَّق اللهَ وآمـن بـه ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ مـن الـشرك وكلِّ دنـسٍ، وفيـه أقـوالٌ ذكرناهـا في الشـعراء[١].

قولـه تعـالى: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ هـذا اسـتفهامُ توبيـخٍ، كأنَّـه وبَّخَهـم عـلى عبـادة غـير الله.

﴿أَئِفْكًا﴾ أي: أتأفِكُون إفكًا، وتعبدون آلهةً سوى الله؟

﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إذا لقيتمـوه وقـد عبدتـم غـيره؟ كأنَّـه قـال: فـما ظنُّكـم أن يُصنَـعَ بكـم؟

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ﴾ فيه قولان:

أحدهمـا: أنَّـه نظـر في علـم النجـوم، وكان القـوم يتعاطـون عِلـمَ النجـوم، فعاملَهـم مـن حيـث هـم، وأراهـم أنِّي أعلـمُ مـن ذلـك مـا تعلمـون، لئـلَّا ينكـروا عليـه ذلـك.

قال ابن المسيب: رأى نجمًا طالعًا فقال: إنِّي مريضٌ غدًا[٢].

والثاني: أنَّه نظرٌ إلى النجوم، لا في عِلْمِها.

فإن قيل: فما كان مقصوده؟

---

(١) انظر: تفسير سورة الشعراء الآية رقم (٨٩).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٥٦٧) من رواية قتادة، عن سعيد بن المسيب بلفظ: «رَأى نَجـمًا طَلَـعَ»، وذكره الماوردي في النكت والعيون (٥/ ٥٥)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضًا (٧/ ١٠٠) لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

فالجواب: أنَّه كان لهم عيدٌ، فأراد التخلُّفَ عنهم لِيَكيدَ أصنامَهم، فاعتلَّ بهذا القول.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ من معاريض الكلام.

ثم فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّ معناه: سأَسْقَمُ، قاله الضحَّاك.

قال ابن الأنباريِّ: أعلمَهُ الله ﷻ أنَّه يمتحنه بالسَّقَم إذا طلع نجمٌ يعرفه، فلما رأى النجمَ عَلِمَ أنَّه سيَسقَمُ.

والثاني: إنِّي سقيم القلب عليكم، إذ تكهَّنتُم بنجومٍ لا تضرُّ ولا تنفع، ذكره ابن الأنباريّ.

والثالث: أنَّه سَقِمَ لعلَّةٍ عرضت له، حكاه الماوردي[1].

وذكر السدي أنَّه خرج معهم إلى يومَ عيدِهم، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسَهُ وقال: إنِّي سَقِيمٌ أشتكي رِجْلِي[2].

﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠) فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ﴾ أي: مال إليها وكانوا قد جعلوا بين يديها طعامًا لتبارك فيه على زعمهم، فقال إبراهيم: استهزاءً بها: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾.

---

(١) انظر: النكت والعيون (٥/ ٥٦).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٩٥) من رواية أسباط، عن السدي به.

وقوله: ﴿ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾.

في اليمين ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّها اليد اليمنى، قاله الضحاك.

والثاني: بالقوة والقدرة، قاله السدي، والفراء[1].

والثالث: باليمين التي سبقت منه، وهي قوله: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾ [الأنبياء: ٥٧] حكاه الماوردي[2].

قال الزجاج: «ضَرْباً» مصدر، والمعنى: فمال على الأصنام يَضْرِبُها ضَرْباً باليمين، وإنَّما قال: «عليهم»، وهي أصنامٌ؛ لأنَّهم جعلوها بمنزلة ما يُمَيِّز[3].

﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾:

قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: ﴿يَزِفُّونَ﴾ بفتح الياء وكسر الزاي وتشديد الفاء.

وقرأ حمزة، والمفضَّل عن عاصم: «يُزِفُّونَ» برفع الياء وكسر الزاي مع تشديد الفاء[4].

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٨٤).

(٢) انظر: النكت والعيون (٥/ ٥٧).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٠٩).

(٤) انظر: السبعة (ص:٥٤٨)، والحجة (٦/ ٥٦)، والمبسوط (ص:٣٧٦)، والتبسير (ص:١٨٦)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٧٩)، والتحصيل (٥/ ٤٦٠).

وقرأ ابن السميفع، وأبو المتوكل، والضحاك: «يَزِفُونَ» بفتح الياء [٦٧٣/ ب] وكسر الزاي وتخفيف الفاء[١].

وقرأ ابن أبي عبلة، وأبو نهيك: «يَزْفُونَ» بفتح الياء وسكون الزاي وتخفيف الفاء[٢].

قال الزجاج: أَعربُ القراءات فتح الياء وتشديد الفاء، وأصله من زفيف النَّعام، وهو ابتداء عَدْوِ النَّعام، يقال: زَفَّ النَّعام يَزِفُّ، وأمَّا ضمُّ الياء، فمعناه: يصيرون إِلى الزَّفيف، وأنشدوا[٣]: [من الطويل]

تَمَنَّى حُصَيْنٌ أَن يَسُودَ جِذَاعُهُ   فَأَضْحَى حُصَيْنٌ قد أَذَلَّ وأَقْهَرَا

أي: صار إلى القهر.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٨) نسبها للضحاك، ويحيى بن عبد الرحمن المقرئ، وابن أبي عبلة، وفي المحتسب (٢/ ٢٢١)، والتحصيل (٥/ ٤٦٠) كلاهما نسبها لعبد الله بن يزيد، وفي الهداية (٩/ ٦١٢٩) بلا نسبة، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٤٧٩) نسبها لمجاهد، وعبد الله بن زيد، وفي البحر المحيط (٩/ ١١١) نسبها لمجاهد، وعبد الله بن يزيد، والضحاك، ويحيى بن عبد الرحمن المقرئ، وابن أبي عبلة.

(٢) في البحر المحيط (٩/ ١١١) بلا نسبة.

(٣) البيت للمخبل السعدي من شعر يهجو به الزبرقان بن بدر، وهو في ديوانه (ص ٢٩٤)، وشرح أدب الكاتب (ص:٢٢٧)، ولسان العرب (٥/ ١٢٠) مادة (قهر)، (٨/ ٤٥) مادة (جذع)، وتهذيب اللغة (٥/ ٣٩٥)، وكتاب الجيم (٣/ ١٣١)، وتاج العروس (١٣/ ٤٩٦) مادة (قهر)، (٢٠/ ٤٢٥) مادة (جذع)؛ وبلا نسبة في الأضداد (ص:٢٣٥)، وأدب الكاتب (ص: ٤٤٧)، ومعاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٠٩)، ومقاييس اللغة (٥/ ٣٥) ومجمل اللغة (٤/ ١٢٨)، وديوان الأدب (٢/ ٢٩٩)، والمخصص (٣/ ١٣٠، ١٢/ ٢٠٥، ٣١٠).

وأمَّا كَسْرُ الزَّاي مع تخفيف الفاء، فهو من: وَزَفَ يَزِفُ، بمعنى أَسْرَعَ يُسْرِع، ولم يَعْرِفه الكسائي ولا الفراء، وعَرَفه غيرهما[١].

قال المفسرون: بلغهم ما صنع إبراهيمُ فأسرعوا، فلما انتهوا إليه قال لهم محتجًّا عليهم: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ بأيديكم ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

قال ابن جرير: في «ما» وجهان:

أحدهما: أن تكون بمعنى المصدر، فيكون المعنى: والله خلقكم وعملَكم.

والثاني: أن تكون بمعنى الذي، فيكون المعنى: والله خلقكم وخلق الذي تعملونَه بأيديكم من الأصنام[٢].

وفي هذه الآية دليلٌ على أنَّ أفعالَ العباد مخلوقةٌ لله.

فلـمَّا لزمتهم الحُجَّة ﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا﴾ وقد شرحنا قصته في سورة الأنبياء[٣]، وبيَّنا معنى الجحيم في البقرة[٤]، والكيد الذي أرادوا به إحراقه.

ومعنى قوله: ﴿فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ أنَّ إبراهيم علاهم بالحُجَّة حيث سلَّمه الله من كيدهم، وحلَّ الهلاكُ بهم.

وقال - يعني إبراهيم -: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٠٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٥٧٥).

(٣) انظر: تفسير سورة الأنبياء الآيات رقم (٥٢-٧٤).

(٤) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١١٩).

في هذا الذهاب قولان:

أحدهما: أنَّه ذاهبٌ حقيقةً، ثم في وقت قوله هذا قولان:

أحدهما: أنَّه حين أراد هجرة قومه، فالمعنى إنِّي ذاهبٌ إلى حيث أمرني ربِّي ﷻ.

﴿سَيَهْدِينِ﴾ إلى حيث أمرني وهو الشام، قاله الأكثرون.

والثاني: حين أُلقِيَ في النار، قاله سليمان بن صرد.

فعلى هذا في المعنى قولان:

أحدهما: ذاهبٌ إلى الله بالموت، سيهدينِ إلى الجنة.

والثاني: ذاهبٌ إلى ما قضى به ربي، سيهدين إلى الخلاص من النار.

والقول الثاني: إني ذاهب إلى ربِّي بقلبي وعملي ونِيَّتي، قاله قتادة.

فلما قدم الأرض المُقدَّسةَ سأَلَ ربَّهُ الولدَ فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: ولدًا صالحًا من الصالحين، فاجتزأ بما ذكَرَ عمَّا ترَكَ، ومثله: ﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠] فاستجابَ له، وهو قوله: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾، وفيه قولان:

أحدهما: أنَّه إسحاق.

والثاني: أنَّه إسماعيل.

قال الزجاج: هذه البشارة تدلُّ على أنَّه مُبَشَّرٌ بابنٍ ذَكرٍ، وأنَّه يبقى حتَّى ينتهيَ في السنِّ، ويُوصَفَ بالحِلْمِ[١].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣١٠).

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلۡمَنَامِ أَنِّىٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِى ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٌ﴾[الصافات: ١٠٢-١١٣].

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡىَ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّ المرادَ بالسعي هاهنا العملُ، قاله ابن عباس.

والثاني: أنَّه المشي، والمعنى: مشى مع أبيه، قاله قتاده.

قال ابن قتيبة: بلغ أن ينصرفَ معَهُ ويُعِينَهُ[1].

قال ابن السَّائب: كان ابنَ ثلاثَ عشْرةَ سنةً[2].

[٦٧٤/أ] **والثالث:** أنَّ المرادَ بالسعي العبادةُ، قاله ابن زيد، فعلى هذا يكون قد بلغ.

قوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلۡمَنَامِ أَنِّىٓ أَذۡبَحُكَ﴾ أكثر العلماء على أنَّه لم يرَ أنَّه ذبحَهُ في المنام، وإنَّما المعنى أنَّه أُمِرَ في المنام بذبحه، ويدلُّ عليه قوله: ﴿ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ﴾، وذهب بعضُهم إلى أنَّه رأى أنَّه يعالج ذبحَهُ، ولم يرَ إراقةَ الدم.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٣٧٧).

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٥/ ٦٠).

قال قتادة: ورؤيا الأنبياء حقٌّ، إذا رأوا شيئًا فعلوه[١].

وذكر السدي عن أشياخه: أنَّه لما بشَّرَ جبريلُ سارةَ بالولد قال إبراهيم: هو إذًا لله ذبيحٌ، فلما فرغ من بنيان البيت أُتِيَ في المنام فقيل له: أَوْفِ بنَذْرِكَ[٢].

واختلفوا في الذبيح على قولين:

أحدهما: أنَّه إسحاق، قاله عمر بن الخطاب ،وعلي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وابن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وأبو هريرة، وأنس، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، ومسروق، وعبيد بن عمير، والقاسم بن أبي بزة، ومقاتل بن سليمان، واختاره ابن جرير[٣]، وهؤلاء يقولون: كانت هذه القصة بالشام، وقيل: طُوِيَتْ له الأرض حتَّى حمله إلى المَنْحَرِ بمِنى في ساعةٍ.

والثاني: أنَّه إسماعيل، قاله ابن عمر وعبد الله بن سلام والحسن البصريُّ وسعيد بن المسيب والشعبي ومجاهد ويوسف بن مهران وأبو صالح ومحمد بن كعب القرظي والربيع بن أنس وعبد الرحمن بن سابط.

واختلفت الرواية عن ابن عبَّاس، فروى عنه عكرمة أنَّه إسحاق، وروى عنه عطاء ومجاهد والشعبي وأبو الجوزاء ويوسف بن مهران أنَّه إسماعيل.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٥٨٢) من رواية سعيد، عن قتادة به.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٩/ ٨٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٥٨٠).

وروى عنه سعيد بن جُبَيرٍ كالقولين، وعن سعيد بن جُبَيرٍ وعكرمة والزهري وقتادة والسدي روايتان.

وكذلك عن أحمد ﷺ روايتان، ولكلِّ قومٍ حُجَّةٌ، ليس هذا موضعُها، وأصحابُنا ينصرون القولَ الأوَّلَ.

الإشارة إلى قصَّة الذبح:

ذكر أهل العلم بالسِّيَرِ والتفسير أنَّ إبراهيمَ لمَّا أرادَ ذبحَ ولدِه قال له: انطلقْ فنُقَرِّبْ قُرباناً إلى الله ﷻ، فأخذَ سِكِّينًا وحبلًا، ثمَّ انطلقَ حتَّى إذا ذهبا بين الجبال قال له الغلام: يا أبتِ أين قربانُكَ؟ قال: يا بُنَيَّ إنِّي رأيتُ في المنام أنِّي أذبحُكَ، فقال له: اشدُدْ رباطي حتَّى لا أضطَرِبَ، واكفُفْ عنِّي ثيابَك حتَّى لا ينتضحَ عليك من دمي فتراهُ أمِّي فتحزَنَ، وأسرِعْ مَرَّ السكينِ على حلقي؛ ليكونَ أهونَ للموت عليَّ، فإذا أتيتَ أُمِّي فاقرأ عليها السلامَ منِّي.

فأقبلَ عليه إبراهيمُ يُقبِّلُه ويبكي ويقول: نِعمَ العَونُ أنت يا بُنيَّ على أمر الله ﷻ، ثمَّ إنَّه أمرَّ السكينَ على حلقه، فلم يَحْكِ شيئًا[1].

وقال مجاهد: لمَّا أمرَّها على حلقه انقلبَتْ، فقال: مالَكِ انقلبْتِ؟ قال: اطعَنْ بها طعنًا[2].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٥٨٠).

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١١١) لعبد بن حميد، وابن المنذر.

وقال السدي: ضرب الله على حلقه صفيحةً من نحاس[١]؛ وهذا لا يُحتاجُ إليه، بل منعُها بالقدرة أبلَغُ، قالوا: فلما طَعَنَ بها نَبَتْ، وعَلِمَ الله منهما الصِّدْقَ في التسليم، فنُودِيَ: يا إبراهيمُ قد صدَّقْتَ الرؤيا، هذا فِدَاءُ ابنِكَ، فنظرَ إبراهيمُ، فإذا جبريلُ معَهُ كبشٌ أَمْلَحُ.

قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ لم يقل له ذلك على وجه المؤامرة في أمر الله ﷻ، ولكن أرادَ أن يَنظُرَ ما عِندَهُ من الرأي. [٦٧٤/ ب]

وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «ماذا تُرِي» بضم التاء وكسر الراء[٢].

فيها قولان:

أحدهما: ماذا تُرِينِي مِنْ صبْرِكَ أو جَزَعِكَ؟ قاله الفراء[٣].

والثاني: ماذا تُبِين؟ قاله الزجاج[٤].

وقال غيره: ماذا تُشِيرُ؟

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾.

قال ابن عباس: اِفعَلْ ما أُوحِيَ إليكَ من ذَبْحِي[٥].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٥٨٠) من رواية أسباط، عن السدي به.

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٤٨)، والحجة (٦/ ٥٧)، والمبسوط (ص:٣٧٧)، والتيسير (ص:١٨٦)، والتحصيل (٥/ ٤٦٠).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٩٠).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣١٠).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٣٠).

﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على البلاء.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾ أي: استسلما لأمر الله ﷻ فأطاعا ورضيا.

وقرأ علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وسعيد بن جُبَير، والأعمش، وابن أبي عبلة: «فلمَّا سَلَّما» بتشديد اللام من غير همزٍ قبلَ السين[1].

والمعنى: سلَّما لأمر الله ﷻ.

وفي جواب قوله: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾ قولان:

أحدهما: أن جوابه: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾ والواو زائدةٌ، قاله الفراء[2].

والثاني: أنَّ الجوابَ محذوفٌ؛ لأنَّ في الكلامِ دليلاً عليه، والمعنى: فلمَّا فعل ذلك سَعِدَ وأُجزِلَ ثوابُهُ، قاله الزجاج[3].

قوله تعالى: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾: قال ابن قتيبة: أي: صرعه على جبينه، فصار أحد جبينَيْهِ على الأرض، وهما جبينان والجبهة بينهما، وهي ما أصاب الأرضَ في السجود[4].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٨) نسبها لابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وحميد، وفي التحصيل (٥/ ٤٦٠) نسبها لعلي، وابن مسعود، وغيرهما، وفي المحتسب (٢/ ٢٢٢) نسبها لعلي بن أبي طالب، وابن عباس، وابن مسعود، ومجاهد، والضحاك، والأعمش، والثوري، وجعفر بن محمد.

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٩٠).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣١١).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:٣٧٣).

والناس لا يكادون يُفرِّقون بين الجبين والجبهة، فالجبهةُ مَسجَدُ الرَّجُلِ الذي يصيبه نُدَبُ السجود، والجبينان يكتنفانها، من كلِّ جانبٍ جَبِينٌ.

قوله تعالى: ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ ﴾: قال المفسرون: نُودِيَ من الجَبَلِ.

﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: قد عَمِلْتَ ما أُمِرْتَ، وذلك أنَّه قصد الذبحَ بما أمكنَهُ، وطاوعَهُ الابنُ بالتمكين من الذبح، إلَّا أنَّ الله ﷻ صرف ذلك كما شاء، فصار كأنَّه قد ذَبحَ، وإن لم يتحقَّقِ الذَّبحُ.

والثاني: أنَّه رأى في المنام معالجةَ الذبح، ولم يرَ إراقةَ الدم، فلمَّا فعل في اليقظة ما رأى في المنام قيل له: قد صدَّقْتَ الرُّؤيا.

وقرأ أبو المتوكِّل وأبو الجوزاء وأبو عمران والجحدري: «قد صَدَقْتَ الرُّؤيا» بتخفيف الدال[1]، وهاهنا تمَّ الكلام.

ثم قال تعالى: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ ﴾ أي: كما ذكرنا من العفو من ذبح ولده ﴿ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾.

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴾ في ذلك قولان:

أحدهما: النِّعَمُ البيِّنَةُ، قاله ابن السائب، ومقاتل[2].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٨) نسبها لبعضهم، وفي البحر المحيط (٩/ ١١٨) قال: «وقرئ: صدقت، بتخفيف الدال».

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦١٥).

والثاني: الاختبار العظيم، قاله ابن زيد، وابن قتيبة[١].

فعلى الأوَّل يكون قوله: «هذا» إشارةً إلى العفو عن الذبح، وعلى الثاني يكون إشارةً إلى امتحانه بذبح ولدِه.

قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ﴾ يعني: الذبيحَ ﴿بِذِبْحٍ﴾ وهو بكسر الذال: اسم ما ذُبِحَ، وبفتح الذال: مصدر ذَبَحْتُ، قاله ابن قتيبة[٢].

ومعنى الآية: خلَّصناه من الذَّبح بأن جعلنا الذِّبْحَ فداءً له.

وفي هذا الذبح ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه كان كبشًا أقرَنَ قد رعى في الجنَّة قبل ذلك أربعين عامًا، قاله ابن عبَّاس في رواية مجاهد.

وقال في رواية سعيد بن جُبَيرٍ: هو الكبش الذي قرَّبَهُ ابن آدمَ، فتُقُبِّلَ منه، كان في الجنَّة حتَّى فُدِيَ به[٣].

والثاني: أنَّ إبراهيمَ فدى ابنَهُ بكبشين أبيضين أعيَنَينِ أقرَنَينِ، رواه أبو الطفيل عن ابن عبَّاس.

[٦٧٥/أ] والثالث: أنَّه ما فُدِيَ إلَّا بتَيسٍ من الأَرْوَى، أُهبِطَ عليه من ثَبِيرٍ، قاله الحسن.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٣٧٣).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٣٧٤).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٦٠١) من رواية سعيد بن جبير، عن ابن عباس به.

وفي معنى ﴿عَظِيمٍ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: لأنَّه كان قد رعى في الجنَّة، قاله ابن عبَّاس، وابن جُبَيرٍ.

والثاني: لأنَّه ذُبِحَ على دَينِ إبراهيمَ وسُنَّتِهِ، قاله الحسن.

والثالث: لأنَّه مُتقبَّلٌ، قاله مجاهد.

وقال أبو سليمان الدمشقي: لَمَّا قرَّبَه ابنُ آدم رُفِعَ حيًّا، فرعى في الجنَّة، ثمَّ جُعِلَ فداءً للذَّبيح، فقُبِلَ مرَّتين.

والرابع: لأنَّه عظيم الشَّخص والبَرَكة، ذكره الماورديُّ[١].

قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ قد فسَّرناه في هذه السورة[٢].

قوله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾ من قال: إنَّ إسحاقَ الذَّبيحُ، قال: بُشِّرَ إبراهيمُ بنبوَّة إسحاق، وأُثِيبَ إسحاقُ بصبره النبوَّةَ، وهذا قول ابن عبَّاسٍ في رواية عكرمة، وبه قال قتادة والسدي.

ومن قال: الذَّبيح إسماعيل، قال: بَشَّر اللهُ إبراهيمَ بولدٍ يكون نبيًّا بعد هذه القصَّة جزاءً لطاعته وصبره، وهذا قول سعيد بن المسيِّب.

قوله تعالى: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾ يعني بكثرة ذُرِّيَّتهما، وهم الأسباط كلُّهم.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾ أي: مطيعٌ لله ﴿وَظَالِمٌ﴾ وهو العاصي له.

---

(١) انظر: النكت ولعيون (٥/ ٦٣).

(٢) انظر: تفسير سورة الصافات الآية رقم (٧٨).



وقيل: المُحْسِنُ المؤمن، والظالم الكافر.

قولـه تعـالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصافـات: ١١٤- ١٣٢].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ أي: أنعمنا عليهما بالنبوَّة.

وفي ﴿ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ قولان:

أحدهما: استعبادُ فرعونَ وبلاؤه، وهو معنى قول قتادة.

والثاني: الغرَقُ، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿ وَنَصَرْنَٰهُمْ ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه يرجعُ إلى موسى وهارونَ وقومِهما.

والثـاني: أنَّـه يرجـع إليهـما فقـط، فجُمِعَـا؛ لأنَّ العـربَ تذهـبُ بالرئيـس إلى الجمـع، لجنـوده وأتباعـه، ذكرهمـا ابـن جريـرٍ[١]، ومـا بعـدَ هـذا قـد تقـدَّمَ

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٦٠٩).

بيانه[١] إلى قوله: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه نبيٌّ من أنبياء بني إسرائيل، قاله الأكثرون.

والثاني: أنَّه إدريس، قاله ابن مسعودٍ وقتادة.

وكذلك كان يقرأ ابن مسعودٍ، وأبو العالية، وأبو عثمان النهديُّ: «وإِنَّ إِدْرِيسَ» مكان «إِلْيَاسَ»[٢].

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ أي: ألا تخافون اللهَ فتوحِّدونه وتعبدونه.

﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه بمعنى الرَّبِّ، قاله ابن عبَّاس ومجاهد وأبو عبيدة[٣] وابن قتيبة[٤].

وقال الضحاك: كان ابن عبَّاسٍ قد أعياه هذا الحرفُ، فبينا هو جالسٌ إذ مرَّ أعرابيٌّ قد ضلَّتْ ناقتُهُ، وهو يقول: من وجد ناقةً أنا

---

(١) انظر: تفسير سورة الأنبياء الآية رقم (٤٨).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٨) نسبها لابن مسعود، وفي التحصيل (٥/ ٤٦١) نسبها لابن مسعود، وابن وثَّاب، وغيرهما، وفي المحتسب (٢/ ٢٢٤) نسبها لابن مسعود، ويحيى، والأعمش، والمنهال بن عمرو، والحكم بن عتيبة، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٤٨٤) نسبها لابن مسعود، والأعمش، وفي البحر المحيط (٩/ ١٢١) نسبها لابن مسعود، وابن وثاب، والأعمش، والمنهال بن عمر، والحكم بن عتيبة الكوفي.

(٣) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٧٢).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:٣٧٤).

بعلُها، فتبعه الصِّبيانُ يصيحون به: يا زوجَ الناقة، يا زوجَ الناقة، فدعاه ابن عبَّاسٍ فقال: ويحَكَ ما عنيتُ ببعلَها؟ قال: أنا ربُّها. فقال ابن عبَّاس: صدق الله ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ﴾ ربًّا[1].

وقال قتادة: هذه لغةٌ يمانيَّةٌ[2].

والثاني: أنَّه اسمُ صنمٍ كان لهم، قاله الضحَّاك وابن زيد.

وحكى ابن جريرٍ: أنَّه به سُمِّيَتْ بَعْلَبَكَّ[3].

والثالث: أنَّها امرأةٌ كانوا يعبُدونَها، حكاه محمَّد بن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ﴾.

قرأ ابن كثيرٍ ونافعٌ وأبو عمرٍو وابن عامرٍ وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «اللهُ ربُّكم» بالرفع.

وقرأ حمزة والكسائيُّ وحفصٌ عن عاصمٍ وخلَفٌ ويعقوب: ﴿ ٱللَّهَ ﴾ بالنصب[4]. [٦٧٥/ ب]

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٥/ ٦٤)، وروى ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٢٤٩) من رواية عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّهُ أَبْصَرَ رَجُلًا يَسُوقُ بَقَرَةً، فَقَالَ: مَنْ بعل هَذِهِ؟ فَدَعَاهُ فَقَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قَالَ: مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ. فَقَالَ: هِيَ لُغَةٌ أَتَدْعُونَ بَعْلًا أَيْ رَبًّا.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٦١٣) من رواية سعيد، عن قتادة به.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٦١٣).

(٤) انظر: السبعة (ص:٥٤٨-٥٤٩)، والحجة (٦/ ٦٣)، والمبسوط (ص:٣٧٧)، والتيسير (ص:١٨٧)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٨٥)، والتحصيل (٥/ ٤٦١).

قولـه تعـالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ النـار ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ الذيـن لم يُكذِّبـوه، فإنَّهـم لا يحـضرون النـار.

الإشارة إلى القصَّة

ذكـر أهـل العلـم بالتفسـير والسِّيَرِ أنَّـه لمـا كَثُـرَتِ الأحـداثُ بعـدَ قبـضِ حزقيـل النبـي ﷺ وعبدت الأوثـانَ، بعـثَ الله تعالى إليهـم إلياسَ.

قـال ابـن إسـحاق: وهـو إليـاسُ بـن تشـبي بـن فنحـاص بـن العيـزار بـن هـارون بـن عمـران، فجعـل يدعوهـم فـلا يسـمعونَ منـه، فدعـا عليهـم بحبسِ المطـر، فجهـدوا جهـدًا شـديدًا، واسـتخفى إليـاسُ خوفًـا منهـم عـلى نفسـه.

ثـمَّ إنَّـه قـال لهـم يومًـا: إنَّكـم قـد هلكتـم جهـدًا، وهلكـت البهائـم والشـجر بخطاياكـم، فاخرُجـوا بأصنامكـم، وادعوهـا فـإن اسـتجابت لكـم، فالأمـر كـما تقولـون، وإن لم تفعـل علمتـم أنَّكـم عـلى باطـلٍ، فنزعتـم عنـه، ودعـوتُ الله ففـرَّجَ عنكـم.

فقالـوا: أنصَفْـتَ. فخرجُـوا بأصنامهـم وأوثانهـم، فدَعَـوا فلـمْ يُسـتجَبْ لهـم، فعرفـوا ضلالَهـم، فقالـوا: ادْعُ الله لنـا.

فدعـا لهـم، فأرسـل المطـرَ، وعاشـت بلادُهـم، فلـم ينزعـوا عـمَّا كانـوا عليـه، فدعـا إليـاسُ ربَّـهُ أن يَقبِضَـهُ إليـه، ويُريحَـهُ منهـم.

فقيـل لـه: اخـرج يـومَ كـذا إلى مـكانِ كـذا، فـما جـاءك مـن شيءٍ فاركبـه ولا تَهَبْـهُ.

فخرجَ فأقبلَ فرسٌ من نارٍ، فوثبَ عليه، فانطلق به، وكساه الله الرِّيشَ، وألبسَهُ النورَ، وقطع عنه لذَّة المطعم والمشرب، فطار في الملائكة، فكان إنسيًّا مَلكيًّا، أرضيًّا سماويًّا.

قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴾:

قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «إِلياسينَ» موصولةً مكسورةَ الألف ساكنةَ اللام، فجعلوها كلمةً واحدة[١].

وقرأ الحسن مِثلَهم، إلَّا أنَّه فتح الهمزة[٢].

وقرأ نافعٌ، وابن عامرٍ، وعبد الوارث، ويعقوب إلَّا زيداً: «آلِ ياسينَ» مقطوعةً، فجعلها كلمتين[٣].

وفي قراءة الوصل قولان:

أحدهما: أنه جَمعٌ لهذا النبيِّ وأُمَّته المؤمنين به، وكذلك يُجمَعُ ما يُنْسَب إلى الشيء بلفظ الشيء، فتقول: رأيت المَهَالِبَةَ، تريد: بني المُهَلَّب، والمسامعة، تريد: بني مِسْمَع.

والثاني: أنَّه اسمُ النبيِّ وحدَهُ، وهو اسمٌ عبرانيٌّ، والعجميُّ من الأسماء قد

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٤٩)، والحجة (٦/ ٥٩)، والمبسوط (ص:٣٧٨)، والتيسير (ص:١٨٧)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٨٤)، والتحصيل (٥/ ٤٦١).

(٢) الذي في المحتسب (٢/ ٢٢٣)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٨٤)، والبحر المحيط (٩/ ١٢٣) أن الحسن قرأ بهمزة وصل فيها.

(٣) انظر: السبعة (ص:٥٤٩)، والحجة (٦/ ٥٩)، والمبسوط (ص:٣٧٨)، والتيسير (ص:١٨٧)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٨٤)، والتحصيل (٥/ ٤٦١).

يُفعَلُ به هذا، كما يقال: مِيكَال، ومِيكَائِيل، ذكر القولين الفرَّاءُ[١] والزجاج[٢].

فأمَّا قراءة من قرأ: «إِلْ ياسينَ» مفصولةً، ففيها قولان:

أحدهما: أنَّهم آل هذا النبيِّ المذكور، وهو يدخلُ فيهم، كقوله ﷺ: «اللهم صَلِّ على آل أَبي أَوفى»[٣]، فهو داخلٌ فيهم، لأنَّه هو المراد بالدعاء.

والثاني: أنهم آل محمد ﷺ، قاله الكلبي.

وكان عبد الله بن مسعود يقرأ: «سلامٌ على إِدْراسينَ»[٤]، وقد بيَّنَّا مذهبه في أنَّ إلياس هو إدريس.

فإن قيل: كيف قال: «إدراسين» وإنَّما الواحد إدريس، والمجموع إِدريسيُّ، لا إِدراسٌ ولا إِدراسي؟

فالجواب: أنه يجوز أن يكونَ لغةً، كإبراهيم وإبراهام.

ومثله: [من الرجز][٥]

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٩١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣١٢).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١٤٩٧) ومواضع أخرى، ومسلم في صحيحه (١٠٧٨) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه.

(٤) في المحتسب (٢/ ٢٢٤) نسبها لابن مسعود، ويحيى، والأعمش، والمنهال بن عمرو، والحكم بن عتيبة، وفي مختصر ابن خالويه (ص:١٢٨) نسبها لابن مسعود، وفي التحصيل (٥/ ٤٦١) نسبها لابن مسعود، وابن وثاب، وغيرهما، وفي البحر المحيط (٩/ ١٢٣) نسبها لابن مسعود.

(٥) الرجز لحميد بن مالك الأرقط في خزانة الأدب (٥/ ٣٨٢)، ولسان العرب (١/ ٣٤٤) مادة (خبب)، وتاج العروس (٢/ ٣٣٣) مادة (خبب)، ولحميد بن ثور في لسان العرب (٣/ ٣٨٩) مادة (لحد)؛ وليس في ديوانه؛ ولأبي بجدلة في شرح المفصل (٣/ ١٢٤)، وبلا=



قَـدْنِيَ مِـن نَـصْرِ الخُبَيْبَـيْنِ قَـدِي ....

وقرأ أُبيُّ بن كعبٍ وأبو نهيك: «سلامٌ على ياسين» بحذف الهمزة واللام[١].

قولـه تعـالى: ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[الصافـات: ١٣٣-١٣٨].

قوله تعالى: ﴿ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ ﴾.

[٦٧٦/أ] ﴿ إِذْ ﴾ هاهنـا لا يتعلَّـق بـما قبلـه، لأنَّـه لم يُرسَـلْ إذ نُجِّـيَ، ولكنَّـه يتعلَّـقُ بمحـذوفٍ، تقديـره: واذكـر يـا محمـد إذ نجينـاه؛ وقـد تقـدم تفسـير مـا بعـد هـذا[٢] إلى قولـه: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴾ هـذا خطـابٌ لأهـل مكَّـة، كانـوا إذا ذهبـوا إلى الشـام وجـاؤوا مـرُّوا عـلى قـرى قـوم لـوطٍ صباحًا ومسـاءً.

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ فتعتبرون.

قولـه تعـالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾

=نسـبة في إصـلاح المنطـق (ص:٢٤٢)، والكامـل (١/ ١١٩)، ولسـان العـرب (٣/ ١٥٥) مـادة (حكـد)، ونـوادر أبي زيـد (ص:٥٢٧)، والتنبيـه والإيضـاح (٢/ ٤٦)، وتهذيـب اللغـة (١٤/ ١٢٤)، وعجـزه: «لَيْـسَ الإمـامُ بالشَّـحيح الْمُلْحِـدِ».

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٨) نسبها لأبي بن كعب.

(٢) انظر: تفسير سورة الشعراء الآية رقم (١٧١).

وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ﴿١٤٦﴾ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴾[الصافات: ١٣٩-١٤٨].

قوله تعالى: ﴿ إِذۡ أَبَقَ ﴾:

قال المبرد: تأويل «أبَقَ»: تباعد[١].

وقال أبو عبيدة: فَزِعَ[٢].

وقال الزجاج: هرب.

وقال بعض أهل المعاني: خرج ولم يؤذَنْ له، فكان بذلك كالهارب من مولاه.

قال الزجاج: والفُلْك: السفينة، والمشحون: المملوء، وساهم بمعنى: قارع[٣].

﴿مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ﴾ أي: المغلوبين.

قال ابن قتيبة: يقال: أَدْحَضَ اللهُ حُجَّتَهُ، فَدَحَضَتْ، أي: أزالها فزالت، وأصل الدَّحْض: الزَّلَق[٤].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٩/ ١٠٤)، ومكي في الهداية (٩/ ٦١٦٠).

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٧٤).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣١٢-٣١٣).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص: ٣٧٤).

الإشارة إلى قصته

قد شرحنا بعض قصَّته في آخر يونس وفي الأنبياء[١] على قدر ما تحتمله الآيات، ونحن نذكر هاهنا ما تحتمله.

قال عبد الله بن مسعود: لَّما وعدَ يونُسُ قومَهُ بالعذاب بعد ثلاثٍ جأروا إلى الله عَجَّلَ واستغفروا، فكفَّ عنهم العذابَ، فانطلق مُغاضِبًا، حتَّى انتهى إلى قومٍ في سفينةٍ، فعرفوه فحملوه.

فلمَّا ركب السفينةَ وقفَتْ، فقال: ما لسفينتكم؟ قالوا: لا ندري. قال: لكني أدري فيها عبد آبقٌ من ربِّه، إنَّها والله لا تسير حتَّى تُلقُوه.

فقالوا: أمَّا أنتَ يا نبيَّ الله فوالله لا نُلقِيكَ. قال: فاقترعوا، فمن قُرِعَ فليقع. فاقترَعُوا، فقُرِعَ يونُس، فأبوا أن يُمكِّنُوه من الوقوع، فعادوا إلى القرعة حتَّى قُرِعَ يونُسُ ثلاثَ مرَّات[٢].

وقال طاووس: إنَّ صاحبَ السفينة هو الذي قال: إنَّما يمنعها أن تسيرَ أنَّ فيكم رجلاً مشؤومًا، فاقترعوا لنلقي أحدَنا، فاقترعوا، فقُرِعَ يونُسُ ثلاثَ مرَّات[٣].

قال المفسِّرون: وكَّل الله به حوتًا، فلمَّا ألقى نفسه في الماء التقمَهُ،

---

(١) انظر: تفسير سورة الأنبياء الآية رقم (٨٦).

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٢٣) لابن أبي شيبة في المصنف، وأحمد في الزهد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٢١) لعبد الرزاق، وأحمد في الزهد، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن طاوس.

وأُمـر أن لا يَـضُرَّهُ ولا يُكلِّمَـهُ، وسـارت السـفينة حينئـذٍ.

ومعنى التقمه: ابتلعه.

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: قـال ابـن قتيبـة: أي: مُذْنِـبٌ، يقـال: ألامَ الرجـلُ: إذا أتـى ذَنْبـاً يُـلامُ عليـه(١).

قال الشاعر(٢): [من الوافر]

. . . . وَمَـنْ يَخْـذُلْ أَخَـاهُ فَقَـدْ أَلاَمَـا

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾:

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: من المُصلِّين، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير.

والثاني: من العابدين، قاله مجاهد، ووهب بن منبه.

والثالث: قول: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧] قاله الحسـن.

وروى عمـران القطَّـان عـن الحسـن قـال: والله مـا كانـت إلَّا صـلاةً أَحدثَهـا في بطـن الحـوت. فعـلى هـذا القـول يكـون تسـبيحَهُ في بطـن الحـوت.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٣٧٤).

(٢) هـو عجـز بيـت لأم عمـير بـن سـلمى الحنفـي في لسـان العـرب (١٢/ ٥٥٨) مـادة (لـوم)، وبـلا نسـبة في أدب الكاتـب (ص:٤٥١)، وشرح مقامـات الحريـري (٣/ ٤١١)، وصـدره: «تَعُـدُّ معـاذِرًا لا عُـذْرَ فيهـا».



وجمهور العلماء على أنَّه أراد: لولا ما تقدَّمَ له قبل التقام الحوت إيَّاه من التسبيح ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: قال قتادة: لصار بطن الحوت له قبرًا إلى يوم القيامة[1]؛ ولكنه كان كثير الصلاة في الرخاء، فنجَّاه الله تعالى بذلك.

وفي قدر مكثه في بطن الحوت خمسة أقوال:

[٦٧٦/ ب] **أحدها**: أربعون يومًا، قاله أنس بن مالك، وكعب، وأبو مالك، وابن جريج، والسدي.

والثاني: سبعة أيام، قاله سعيد بن جبير، وعطاء.

والثالث: ثلاثة أيام، قاله مجاهد، وقتادة.

والرابع: عشرون يومًا، قاله الضحاك.

والخامس: بعض يوم، التقمه ضُحًى، ونبذه قبلَ غروب الشمس، قاله الشعبي.

قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ﴾: قال ابن قتيبة: أي: ألقيناه ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾ وهي الأرض التي لا يتوارى فيها بشجرٍ ولا غيرِه، وكأنَّه من عري الشيء[2].

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ أي: مريضٌ.

قال ابن مسعود: كهيأة الفرخ الممعوط الذي ليس له ريشٌ[3].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٦٣١) من رواية سعيد، عن قتادة به.

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ٣٧٤).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٣٣)، والتفسير البسيط (١٩/ ١١١).

وقال سعيد بن جبير: أوحى الله تعالى إلى الحوت: أن أَلقهِ في البرِّ، فألقاه لا شَعْرَ عليه ولا جِلدَ ولا ظُفر[١].

قوله تعالى: ﴿ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةً مِّن يَقۡطِينٖ ﴾.

قال ابن عباس: هو القَرع[٢].

وقد قال أمية بن أبي الصلت قبل الإسلام[٣]: [من الطويل]

فَأَنْبَتَ يَقْطِيناً عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لَوْلا اللهُ أُلْفِيَ ضَاحِيَا

قال الزجاج: كلُّ شجرةٍ لا تَنبُتُ على ساقٍ، وإنَّما تَمتدُّ على وجه الأرض نحو القرع والبطيخ والحنظل، فهي يقطينٌ، واشتقاقه مِنْ: قَطَنَ بالمكان: إذا أقام، فهذا الشجر ورقُه كلُّه على وجه الأرض، فلذلك قيل له: يَقْطِين[٤].

قال ابن مسعود: كان يستظلُّ بها ويُصِيبُ منها فيبسَتْ، فبكى عليها، فأوحى الله إليه: أتبكي على شجرةٍ أن يَبِسَتْ، ولا تبكي على مائة ألفٍ أو يزيدون أردْتَ أن تُهلِكَهم؟[٥]

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٢٩) لعبد بن حميد عن سعيد بن جبير.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٦٣٤) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٣٠) لابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣) البيت لأمية بن أبي الصلت كما في تفسير الطبري (١٩/ ٦٣٥)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٨٧)، والبحر المحيط (٩/ ١٢٤)، والفرج بعد الشدة؛ للتنوخي (١/ ٩٢).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣١٤).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣١٨٦٦) من رواية عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

قال يزيد بن عبد الله بن قسيط: قيَّضَ الله له أروية من الوحش تروح عليه بُكرةً وعشيًّا، فيشرَبُ من لبنها حتَّى نبتَ لحمُهُ[1].

فإن قيل: ما الفائدة في إنبات شجرة اليقطين عليه دون غيرِها؟

فالجواب: أنَّه خرج كالفرخ على ما وصفْنا، وجِلدُهُ قد ذابَ، فأدنى شيءٍ يمرُّ به يُؤذِيه، وفي وَرقِ اليقطينِ خاصِّيَّةٌ، وهو أنَّه إذا تُرِكَ على شيءٍ لم يَقرَبْهُ ذُبابٌ، فأنبته الله عليه ليُغَطِّيَهُ ورقُها، ويمنعُ الذُّبَابَ ريحُهُ أن يسقُطَ عليه فيُؤذِيَهُ.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ﴾ اختلفوا: هل كانت رسالته قبل التقام الحوت إيَّاه، أم بعدَ ذلك؟ على قولين:

أحدهما: أنها كانت بعد نبذ الحوت إيَّاه، على ما ذكرنا في يونس[2]، وهو مرويٌّ عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّها كانت قبل التقام الحوت له، وهو قول الأكثرين، منهم الحسن، ومجاهد، وهو الأصحُّ.

والمعنى: وكنا أرسلناه إلى مائة ألفٍ، فلما خرجَ من بطن الحوت أُمِرَ أن يرجِعَ إلى قومه الذين أُرسِلَ إليهم.

وفي قوله: ﴿أَوْ﴾ ثلاثة أقوال:

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٥٥٨) من رواية حميد بن صخر، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبي هريرة به.

(٢) انظر: تفسير سورة يونس الآية رقم (٩٨).

أحدها: أنَّها بمعنى «بل»، قاله ابن عباس، والفراء[١].

والثاني: أنها بمعنى الواو، قاله ابن قتيبة[٢].

وقد قرأ أُبَيُّ بن كعب، ومعاذ القارئ، وأبو المتوكل، وأبو عمران الجوني: «ويزيدون» من غير أَلِفٍ[٣].

والثالث: أنها على أصلها، والمعنى: أو يزيدون في تقديركم، إذا رآهم الرائي قال: هؤلاء مائة ألفٍ أو يزيدون.

وفي زيادتهم أربعة أقوال:

أحدها: أنَّهم كانوا مائةَ ألفٍ يزيدون عشرين ألفًا، رواه أُبَيُّ بن كعب عن رسول الله ﷺ[٤].

والثاني: أنهم كانوا مائة ألفٍ وثلاثين ألفًا. [٦٧٧/ أ]

والثالث: مائةَ ألفٍ وبضعةً وثلاثينَ ألفًا، رُوِيا عن ابن عبَّاس.

والرابع: أنهم كانوا يزيدون سبعين ألفًا، قاله سعيد بن جبير ونوف.

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٩٣).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٣٧٥).

(٣) في المحتسب (٢/ ٢٢٦)، والتحصيل (٥/ ٤٦٢)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٨٧) كلهم نسبوها لجعفر بن محمد.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٦٣٧)، والترمذي في سننه (٣٢٢٩) من رواية زهير بن محمد، عن رجل، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قال: «عشرون ألفًا». وإسناده ضعيف؛ فيه راوٍ مجهول، ولذا قال الترمذي عقبه: «هذا حديث غريب».

قوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنُواْ﴾.

في وقت إيمانهم قولان:

أحدهما: عند معاينة العذاب.

والثاني: حين أرسل إليهم يونس.

﴿فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾ إلى منتهى آجالهم.

قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ١٤٩ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ١٥٠ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٥٢ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ١٥٣ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ١٥٤ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٥٥ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ ١٥٦ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٥٧ وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ١٥٨ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٥٩ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ١٦٠ فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ ١٦١ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ١٦٢ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٤٩-١٦٣].

قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ﴾ أي: سل أهل مكّة سؤالَ توبيخٍ وتقرير؛ لأنَّهم زعموا أنَّ الملائكةَ بناتُ الله.

﴿وَهُمۡ شَٰهِدُونَ﴾ أي: حاضرون.

﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ﴾ أي: كذبهم.

﴿لَيَقُولُونَ ١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ﴾ حين زعموا أنَّ الملائكة بناته.

قوله تعالى: ﴿أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ﴾: قال الفراء: هذا استفهام فيه توبيخ

لهم، وقد تُطرَحُ ألف الاستفهام من التوبيخ، ومثله: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ [الأحقاف:٢٠] و﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ يُستَفهَمُ بها ولا يُستَفْهَم، ومعناهما واحد[١].

وقرأ أبو هريرة، وابن المسيب، والزهري، وابن جماز عن نافع، وأبو جعفر، وشيبة: «لَكَاذِبُونَ اصْطَفَى» بالوصل غيرَ مهموزٍ ولا ممدود[٢].

قال أبو علي: وهو على وجه الخبر، كأنَّه قال: اصطفى البنات على البنين، كما يقولون، كقوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان:٤٩][٣].

قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ لله بالبنات ولأنفسكم بالبنين؟

أحدُها: أنَّهم قالوا: هو وإبليس أخوانِ، رواه العُوفيُّ عن ابن عبَّاس.

قال الماوردي: وهو قول الزنادقة، والذين يقولون: الخير من الله، والشرُّ من إبليس[٤].

والثاني: أنَّ كفَّارَ قريشٍ قالوا: الملائكةُ بناتُ الله، والجنَّة صِنفٌ من الملائكة، يقال لهم: الجِنَّة، قاله مجاهد.

والثالث: أنَّ اليهودَ قالت: إنَّ اللهَ تعالى تزوَّجَ إلى الجِنِّ، فخرجَتْ من بينهم الملائكة، قاله قتادة، وابن السائب.

فخرج في معنى الجِنَّة قولان:

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٩٤).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٨) نسبها لنافع في رواية المفضل، وابن جماز وجماعة.

(٣) انظر: الحجة (٦/ ٦٤).

(٤) انظر: النكت والعيون (٥/ ٧٠-٧١).

أحدهما: أنَّهم الملائكة.

والثاني: الجِنُّ.

فعلى الأوَّل، يكون معنى قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ﴾ أي: عَلِمَتِ الملائكة ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: إنَّ هؤلاء المشركين ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ النار.

وعلى الثاني: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ أي: إنَّ الجِنَّ أنفُسَها لمحضرون الحسابَ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ يعني: الموحِّدين.

وفيما استثنوا منه قولان:

أحدهما: أنَّهم استُثنوا من حضور النار، قاله مقاتل[1].

والثاني: ممَّا يصف أولئك، وهو معنى قول ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ﴾ يعني المشركين ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ من دون الله، ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على ما تعبدون ﴿بِفَٰتِنِينَ﴾ أي: بمُضِلِّينَ أحدًا، ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: من سبق له في علم الله أنَّه يدخل النار.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٠٦).

حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الصافات: ١٦٤-١٨٢].

ثم أخبرَ عن الملائكة بقوله: ﴿وَمَا مِنَّآ﴾ والمعنى: ما مِنَّا مَلَكٌ ﴿إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ أي: مكانٌ في السموات مخصوصٌ، يُعبَدُ الله فيه.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّآفُّونَ﴾.

قال قتادة: صفوفٌ في السماء[1].

وقال السدي: هو الصلاة[2].

وقال ابن السائب: صفوفهم في السماء كصفوف أهل الدنيا في الأرض[3].

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: المُصَلُّون.

والثاني: المنزِّهون لله ﷻ عن السوء. [٦٧٧/ ب]

وكان عمر بن الخطاب إذا أُقِيمَتِ الصلاةُ أقبلَ على الناس بوجهه وقال: يا أيها الناس استووا، فإنَّما يريد الله بكم هَدْيَ الملائكة: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾[4].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٦٥٤) من رواية سعيد، عن قتادة به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٣٨) لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٦٥٤) من رواية أسباط، عن السدي به.

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٣٥).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٦٥٣) من رواية أبي نضرة، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ثـمَّ عـاد إلى الإخبـار عـن المشركـين، فقـال: ﴿ وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴾ الـلام في ليقولـون لام توكيـد، والمعنـى: وقـد كان كفَّـار قريـشٍ يقولـون قبـل بعثـة النبـيِّ ﷺ: ﴿ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا ﴾ أي: كتابًـا ﴿ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أي: مِثْـلَ كُتُـبِ الأوَّلـين، وهـم اليهـود والنصـارى، ﴿ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ أي: لأخلصنـا العبـادةَ لله ﷻ.

﴿ فَكَفَرُواْ بِهِۦ ﴾ فيه اختصار، تقديره: فلما آتاهم ما طلبوا، كفروا به.

﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ عاقبةَ كُفرهم، وهذا تهديدٌ لهم.

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا ﴾ أي: تقـدَّم وعدُنـا للمرسـلين بنصرهـم، والكلمـة قولـه: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ﴾ [المجادلـة: ٢١].

﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴾ بالحُجَّـة، ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا ﴾ يعنـي حِزبَنـا المؤمنـين ﴿ لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ بالحُجَّـة أيضًـا والظَّفَـر.

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ أي: أعـرِضْ عـن كُفَّـار مكَّـة ﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ أي: حتـى تنقـضيَ مُـدَّةُ إمهالهـم.

وقال مجاهد: حتى نأمُرَك بالقتال[1]؛ فعلى هذا الآيةُ مُحكَمةٌ.

وقال في رواية: حتَّى الموت، وكذلك قال قتادة.

وقال ابن زيد: حتَّى القيامة[2]، فعلى هذا يتطرَّقُ نَسخُها.

وقال مقاتل بن حيَّان: نسخَتْها آيةُ القتال[3].

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٣٥).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٦٥٩) من رواية ابن وهب، عن ابن زيد به.

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ١٧٣).

قوله تعالى: ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ أي: انظر إليهم إذا نزلَ العذاب.

قال مقاتل بن سليمان: هو العذاب ببدر[١].

وقيل: أَبْصِرْ حالَهم بقلبك ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ ما أنكروا، وكانوا يستعجلونَ بالعذاب؛ تكذيبًا به، **فقيل**: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾.

﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾ يعني العذابُ.

وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران، والجحدري، وابن يعمر: «فإذا نُزِّلَ» برفع النون وكسر الزاي وتشديدها[٢].

﴿بِسَاحَتِهِمْ﴾ أي: بفنائهم وناحيتهم، والساحة فناء الدار.

قال الفراء: العرب تكتفي بالساحة والعَقْوة من القوم، فيقولون: نزل بك العذاب وبساحتك[٣].

قال الزجاج: فكان عذاب هؤلاء القتل[٤].

﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ أي: بئس صباحُ الذين أُنذِرُوا العذابَ.

ثم كرَّر ما تقدَّم توكيدًا لوعده بالعذاب، فقال: ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ الآيتين.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٢٣).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٩)، والمحتسب (٢/ ٢٢٩)، وفي التحصيل (٥/ ٤٦٢)، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٤٩٠) كلهم نسبوها لابن مسعود، لكن بتخفيف الزاي.

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٩٦).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣١٧).

ثم نزَّه نفسَهُ عن قَولِهم بقوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ ﴾.

قال مقاتل: يعني عِزَّةَ مَنْ يتعزَّز من ملوك الدنيا[1].

قوله تعالى: ﴿عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ أي: مِنَ اتِّخاذِ النساء والأولاد.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تسليمُهُ عليهم إكرامًا لهم.

والثاني: إخبارُهُ بسلامتهم.

﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ على هلاك المشركين، ونصرة الأنبياء والمرسلين.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٢٤).



سورة ص

ويقال لها: سورة داود، وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعهم.

فأما سبب نزول أوَّلِها، فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنَّ قريشًا شَكَوْا رسولَ الله ﷺ إلى أبي طالب، فقال: يا ابنَ أخي، ما تُريدُ من قومِكَ؟ فقال: «**يَا عَمُّ، إِنَّمَا أُرِيدُ مِنْهُمْ كَلِمَةً تَذِلُّ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ وَتُؤَدَّى إِلَيْهِمْ بِهَا جِزْيَةُ الْعَجَمِ**». قال: كلمة؟ قال: «**كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ**»، قال: [٦٧٨/أ] ما هي؟ قال: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، فقالوا: أَجَعَلَ الآلهةَ إلهًا واحدًا، فنزلَتْ فيهم: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾[1].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ﴾[ص: ١-٣].

واختلفوا في معنى ﴿صٓ﴾ على سبعةِ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه قسَمٌ أقسمَ الله به، وهو من أسمائه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاس.

والثاني: أنَّه بمعنى صدقَ محمَّدٌ، رواه عطاءٌ عن ابن عبَّاس.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٠٠٨، ٣٤١٩)، والترمذي في سننه (٣٢٣٢)، والحاكم في مستدركه (٣٦١٧)، والطبري في تفسيره (٢٠/ ١٩)، من رواية سعيد بن جبير، عن ابن عباس به.
قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».
وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

والثالث: صدق الله، قاله الضحَّاك.

وقد روي عن ابن عباسٍ أنَّه قال: معناه صادقٌ فيما وَعد[١].

وقال الزجَّاج: معناه: الصادقُ اللهُ تعالى[٢].

والرابع: أنَّه اسمٌ من أسماء القرآن، أقسمَ اللهُ به، قاله قتادة.

والخامس: أنَّه اسمُ حيَّةٍ رأسُها تحتَ العرشِ، وذنَبُها تحتَ الأرض السُّفليِّ، حكاه أبو سليمان الدمشقيُّ، وقال: أظنُّه عن عِكرمَة.

والسادس: أنَّه بمعنى: حادث القرآن، أي: انظُرْ فيه، قاله الحسن.

وهذا على قراءة من كسَرُوا، منهم ابن عبَّاس، والحسن، وابن أبي عبلة[٣].

قال ابن جرير: فيكون المعنى: صادِ بعمَلِكَ القرآنَ، أي: عارِضْهُ[٤].

وقيل: اِعْرِضْهُ على عمَلِكَ، فانظرْ أينَ هو منه.

والسابع: أنه بمعنى: صادَ محمَّدٌ قلوبَ الخَلْقِ واستمالَها، حتَّى آمنوا به وأحبُّوه، حكاه الثعلبي[٥].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٩/ ١٣٥) وعزاه للضحاك.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣١٩).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٩) نسبها للحسن، وأبي السمال، وابن أبي إسحاق، وفي التحصيل (٥/ ٤٩٢) نسبها لأبي بن كعب، والحسن، وغيرهما، وفي المحتسب (٢/ ٢٣٠) نسبها لأبي بن كعب، والحسن، وابن أبي إسحاق.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٥).

(٥) انظر: الكشف والبيان (٨/ ١٧٦).

وهـذا عـلى قـراءة مـن فتـح، وهـي قـراءة أبي رجـاءٍ، وأبي الجـوزاء، وحميـدٍ، ومحبـوبٍ عـن أبي عمـرو[١].

قـال الزجـاج: والقـراءة صَـادْ، بتسـكين الـدال؛ لأنَّهـا مـن حـروف التهجِّـي، وقـد قُرِئَـتْ بالفتـح وبالكسـر، فمـن فتحَهـا فعـلى ضربـين:

أحدهما: لالتقاء الساكنين.

والثـاني: عـلى معنـى: اُتْـلُ صَـادْ، ويكـون (صـاد) اسـمًا للسـورة لا ينـصرف، ومـن كـسرَ فعـلى ضربـين:

أحدهما: لالتقاء الساكنين أيضًا.

والثـاني: عـلى معنـى: صَـادِ القـرآنَ بعمَلِـكَ، مـن قولـك: صَـادَى يُصَـادِي: إذا قابَـل وعـادَل، يقـال: صادَيْتُـهُ: إذا قابَلْتُـهُ[٢].

قوله تعالى: ﴿ذِى ٱلذِّكۡرِ﴾ في المراد بالذكر ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه الشرَفُ، قاله ابن عبَّاس، وسعيد بن جُبَيرٍ، والسدي.

والثاني: البيان، قاله قتادة.

والثالث: التذكير، قاله الضحاك.

فإن قيل: أين جواب القسم بقوله: ﴿صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِى ٱلذِّكۡرِ﴾؟

---

(١) في مختـصر ابـن خالويـه (ص:١٢٩)، وفي المحتسـب (٢/ ٢٣٠)، وفي التحصيـل (٥/ ٤٩٢) ثلاثتهـم نسـبوها لعيسـى بـن عمـر الثقفـي.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣١٩).

فعنه خمسة أجوبة:

أحدها: أن ﴿صٓ﴾ جواب لقوله: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ﴾ فـ ﴿صٓ﴾ في معناها كقولك: وجبَ والله، نـزلَ والله، حقَّ والله، قاله الفراء[1]، وثعلب.

والثاني: أن جوابَ ﴿صٓ﴾ قوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ ومعناه: لكم، فلمَّا طال الكلام حُذِفَت اللام، ومثله: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾... ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾، [الشمس:١ و٩] فإن المعنى: لقد أفلحَ، غيرَ أنَّه لما اعترضَ بينهما كلامٌ تبعه قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ حكاه الفراء[2]، وثعلب أيضًا.

والثالث: أنَّه قوله: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾[ص:١٤] حكاه الأخفش[3].

والرابع: أنَّه قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾[ص: ٦٤]، قاله الكسائي.

وقال الفراء: لا نجده مستقيمًا في العربية، لتأخُّره جدًّا عن قوله: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ﴾[4].

[٦٧٨/ ب] **والخامس**: أنَّ جوابَهُ محذوفٌ، تقديره: والقرآن ذي الذكر ما الأمر كما يقول الكفَّار، ويدلُّ على هذا المحذوفِ قولُه: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾، ذكره جماعةٌ من المفسِّرين، وإلى نحوِهِ ذهب قتادة.

والعِزَّةُ: الحميَّة والتكبُّر عن الحقِّ.

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٩٦).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٩٧).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤٩٢).

(٤) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٩٧).

وقرأ عمرو بن العاص، وأبو رزين، وابن يعمر، وعاصم الجحدري، ومحبوب عن أبي عمرو: «في غِرَّةٍ» بغين معجمة وراء غير معجمة[١].

والشقاق: الخلاف والعداوة لرسول الله ﷺ، وقد سبق بيان الكلمتين مشروحًا[٢].

ثم خوَّفهم بقوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ يعنى الأمم الخالية.

﴿فَنَادَوا﴾ عند وقوع الهلاك بهم.

وفي هذا النداء قولان:

أحدهما: أنَّه الدعاء.

والثاني: الاستغاثة.

قوله تعالى: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾.

وقرأ الضحَّاك، وأبو المتوكِّل، وعاصم الجحدري، وابن يعمر: «ولاتَ حينُ» بفتح التاء ورفع النون[٣].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٢٩-١٣٠) نسبها لحماد بن الزبرقان، وفي البحر المحيط (٩/ ١٣٦) نسبها لحماد بن الزبرقان، وسورة عن الكسائي، وميمون عن أبي جعفر، والجحدري من طريق العقيلي.

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٣٨)، والآية رقم (٢٠٦).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١٣٠)، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٤٩٢)، وفي البحر المحيط (٩/ ١٣٧) كلهم نسبوها لعيسى بن عمر.

قال ابن عباس: ليس حين يروه فرار[١].

وقال عطاء: في لغة أهل اليمن «لاتَ» بمعنى «ليس»[٢].

وقال وهب بن منبه: هي بالسريانية[٣].

وقال الفراء: لات بمعنى ليس، والمعنى: ليس بحين فرارٍ، ومن القرَّاء من يَخْفضُ «لاتِ»، والوجه النَّصْب، لأنَّها في معنى «ليس»[٤].

أنشدني المفضَّل[٥]: [من الوافر]

تَذَكَّرَ حُبَّ لَيْلَى لاتَ حِينًا وأضْحَى الشَّيْبُ قَدْ قَطَعَ القَرِينَا

قال ابن الأنباري: كان الفرَّاء والكسائي والخليل وسيبويه والأخفش وأبو عبيدة يذهبون إلى أنَّ التاءَ في قوله تعالى: ﴿وَلَاتَ﴾ منقطعةٌ من ﴿حِينَ﴾ قال: وقال أبو عبيدة[٦]: الوقفُ عندي على هذا الحرف «وَلَا» والابتداء «تَحِينَ» لثلاث حُجَجٍ:

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ١٣) من رواية التميمي، عن ابن عباس قال: «لَيْسَ بِحِينَ نَزْوٍ، وَلَا حِينَ فِرَارٍ»، وعزاه في الدر المنثور أيضًا (٧/ ١٤٤) للطيالسي وعبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر والحاكم وصححه.

(٢) في التفسير البسيط؛ للواحدي (١٩/ ١٤٥) نسبها لوهب، والكلبي.

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ١٧٧).

(٤) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٩٧).

(٥) البيت لعمرو بن شأي الأسدي في ديوانه (ص: ٧٣)، وفي مجاز القرآن (٢/ ١٧٦)، وبلا نسبة في لسان العرب (١٥/ ٤٦٨) مادة (لات)، وتاج العروس (٤٠/ ٤٦٨).

(٦) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٧٦).

إِحداهـن: أن تفسير ابـن عبـاس يشـهد لهـا، لأنَّـه قـال: ليـس حِيـنَ يَـرَوْه فِـرارٌ، فقـد عُلِـمَ أنَّ «ليـس» هـي أخـت «لا» وبمعناهـا.

والحُجَّـة الثانيـة: أنَّـا لا نَجِـدُ في شيءٍ مـن كلام العـرب «ولات»، إنَّـما المعروفَـةُ «لا».

والحجـة الثالثـة: أنَّ هـذه التـاء إنَّـما وجدناهـا تُلحَـقُ مـع «حـين» ومـع «الآن» ومـع الـ «أوان»، فيقولـون: كان هـذا تحـين كان ذلـك، وكذلـك: «تـأوان»، ويقـال: اذهـب تَـلانَ، ومنـه قـول أبي وجـزة السـعدي[1]: [مـن الكامـل]

العَاطِفُـونَ تَحِـينَ مَـا مِـنْ عَاطِـفٍ   والمُطْعِمُـونَ زَمَـانَ مَـا مِـنْ مُطْعِـمِ

وذكـر ابـن قتيبـة عـن ابـن الأعـرابي أنَّ معنـى هـذا البيـت: «العاطفونـه» بالهـاء، ثـم تبتـدئ: «حـين مـا مـن عاطِـفٍ»[2].

قـال ابـن الأنبـاري: وهـذا غلـطٌ، لأنَّ الهـاءَ إنَّـما تُقْحَـمُ عـلى النُّـون في مواضـع القَطْـعُ والسُّـكوت، فأمَّـا مـع الاتِّصـال، فإنَّـه غـيرُ موجـودٍ.

وقـال عـلي بـن أحمـد النيسـابوري: النحويُّـون يقولـون في قولـه تعـالى: ﴿وَلَاتَ﴾: هـي «لا» زيـدت فيهـا التـاء، كـما قالـوا: ثُـمَّ وثُمَّـتْ، ورُبَّ ورُبَّـتْ،

---

(١) البيت لأبي وجزة السعدي كما في العين (٨/ ٣٦٩)، وغريب الحديث؛ للقاسم بن سلام (٤/ ٢٥٠)، والنهاية في غريب الحديث (١/ ١٩٦)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٣٩٤)، والصحاح (١/ ٢٦٥)، و(٤/ ١٤٠٥)، والمخصص (٥/ ٨٢)، ولسان العرب (٢/ ٨٧).

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص:٢٨٤).



وأصلُها هاءٌ وُصِلَتْ بـ «لا»، فقالوا: «لاه» فلمّا وَصَلُوها جعلوها تاءً، والوقفُ عليها بالتاء عند الزجاج وأبي علي، وعند الكسائي بالهاء، وعند أبي عبيد الوقف على «لا».

فأمّا المَناص، فهو الفرار.

[٦٧٩/أ] قال الفراء(١): النَّوْص في كلام العرب: التأخُّر، والبَوْصُ: التقدُّم.

قال امرؤ القَيْس(٢): [من الطويل]

أَمِنْ ذِكْرِ سَلْمَى إِذْ نَأَتْكَ تَنُوصُ ... فتَقْصُرُ عَنْهَا خُطْوَةً وَتَبُوصُ

وقال أبو عبيدة: المناص: مصدر ناصَ يَنُوصُ، وهو المَنْجَى والفَوزُ(٣).

قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾[ص: ٤-١١].

قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓا۟﴾ يعني الكفار.

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٩٧)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ١٧٨).

(٢) البيت لامرئ القيس كما في ديوانه (ص:١١٧)، ومعاني القرآن (٢/ ٣٩٧)، ولسان العرب (٥/ ٩٧) مادة (قصر)، (٧/ ٩) مادة (بوص)، (٧/ ١٠٢) مادة (نوص).

(٣) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٧٦).

﴿أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني رسولاً من أنفسهم ينذرهم النار.

﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ لأنَّه دعاهم إلى الله وحدَهُ، وأبطلَ عبادةَ آلهتهم، وهذا قولهم لما اجتمعوا عند أبي طالبٍ، وجاء رسولُ الله ﷺ فقال: «**أَتُعْطُونِي كَلِمَةً تَمْلِكُونَ بِهَا الْعَرَبَ وَتَدِينُ لَكُمْ بِهَا الْعَجَمُ، وَهِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، فقاموا يقولون: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ ونزلَتْ هذه الآيةُ فيهم[١].

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي يقول محمَّد مِنْ أنَّ الآلهةَ إلهًا واحدًا ﴿لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ أي: لأمرٌ عجَبٌ.

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو العالية، وابن يعمر، وابن السميفع: «عُجَّابٌ» بتشديد الجيم[٢].

قال اللغويون: العُجَاب والعُجَّاب والعجيب بمعنًى واحدٍ، كما يقال: كَبِيرٌ وكُبَارٌ وكُبَّارٌ، وكَرِيمٌ وكُرَامٌ وكُرَّامٌ، وطَوِيلٌ وطُوَال وطُوَّال.

وأنشد الفرَّاء[٣]: [من الرجز]

جَاءُوا بِصَيدٍ عَجَبٍ مِنَ الْعَجَبْ ... أُزَيْرِقِ العَيْنَيْنِ طُوَّالِ الذَّنَبْ

---

(١) تقدم في بداية السورة.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ١٣٠) نسبها لعلي بن أبي طالب، والسلمي، وفي التحصيل (٥/ ٤٩٢)، والمحتسب (٢/ ٢٣٠) كلاهما نسبها للسلمي، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٤٩٢) نسبها للسلمي، وعيسى بن عمر، وفي البحر المحيط (٩/ ١٣٨) نسبها لعلي، والسلمي، وعيسى، وابن مقسم، وفي الكامل (ص:٦٢٨) نسبها لابن مقسم.

(٣) البيت بلا نسبة في معاني القرآن (٢/ ٣٩٩)، والجليس الصالح الكافي (١/ ٦٩٢-٦٩٣)، ونهاية الأرب (٩/ ٢٨١).

قال قتادة: عجب المشركون أنْ دُعِيَ اللهُ وحدَهُ، وقالوا: أَيسمَعُ لحاجتنا جميعًا إلهٌ واحدٌ؟[1]

وقوله تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ﴾.

قال المفسرون: لما اجتمع أشرافُ قريشٍ عند أبي طالبٍ وشكَوا إليه رسولَ الله ﷺ على ما سبق بيانُه، نفروا من قوله: لا إله إلَّا الله، وخرجوا من عند أبي طالبٍ، فذلك قولُهُ: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ﴾ الانطلاق الذهاب بسهولةٍ، ومنه طلاقَةُ الوَجْهِ، والملأُ أشرافُ قريشٍ، فخرجوا يقولُ بعضُهم لبعضٍ: اِمْشُوا، و«أَنْ» بمعنى «أي» فالمعنى: أي: امْشُوا.

قال الزجاج: ويجوز أن يكونَ المعنى: انطلقوا بأنِ امشوا، أي: انطَلِقُوا بهذا القول[2].

وقال بعضُهم: المعنى: انطلِقُوا يقولون: امشوا إلى أبي طالبٍ، فاشكوا إليه ابنَ أخيه.

﴿وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡ﴾ أي: اثبتوا على عبادتها.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي نراه من زيادة أصحاب محمَّد ﴿لَشَيۡءٞ يُرَادُ﴾ أي: لأمرٍ يراد بنا.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ١٨) من رواية سعيد، عن قتادة به، وعزاه السيوطي أيضًا في الدر المنثور (٧/ ١٤٦) لعبد بن حميد.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٢١).

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ الذي جاء به محمَّدٌ من التوحيد.

﴿فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ وفيها ثلاثة أقوال:

أحدها: النصرانيَّة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وإبراهيم بن المهاجر عن مجاهد، وبه قال محمد بن كعب القرظي، ومقاتل[1].

والثاني: أنَّها مِلَّةُ قريش، رواه ابن أبي نجيحٍ عن مجاهد، وبه قال قتادة.

والثالث: اليهوديَّة والنصرانيَّة، قاله الفراء[2] والزجاج[3].

والمعنى: أنَّ اليهودَ أشركت بعُزَيرٍ، والنصارى قالت: ثالثُ ثلاثةٍ، فلهذا أنكرَتِ التوحيد.

﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ الذي جاء به محمَّدٌ ﷺ ﴿إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ أي: كَذِبٌ.

﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ يعنون القرآن، ﴿عَلَيْهِ﴾ يعنون رسولَ الله ﷺ، ﴿مِنۢ بَيْنِنَا﴾ أي: كيف خُصَّ بهذا دونَنا، وليس بأعلانا نَسبًا ولا أعظمَنا شرَفًا، قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾ أي: من القرآن، والمعنى: [٦٧٩/ ب] أنَّهم ليسوا على يقينٍ ممَّا يقولون، إنَّما هم شاكُّون.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٣٦).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٩٩).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٢٢).

﴿ بَل لَّمَّا ﴾:

قال مقاتل: لمَّا بمعنى «لم» كقوله: ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات:١٤][١].

وقال غيره: هذا تهديدٌ لهم، والمعنى: أنَّه لو نزلَ بهم العذاب، علموا أنَّ ما قالَهُ محمَّدٌ حقٌّ.

وأثبت ياء «عَذَابِي» في الحالين يعقوب[٢].

قال الزجاج: ولما دلَّ قولهم: ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ ﴾ على حسدهم له، أعلمَ اللهُ ﷻ أنَّ المُلكَ والرسالةَ إليه، فقال: ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ﴾[٣].

قال المفسرون: ومعنى الآية: أبأيديهم مفاتيحُ النبوَّة فيضعونها حيث شاؤوا؟ والمعنى ليست بأيديهم، ولا مُلْكُ السمواتِ والأرضِ لهم، فإنِ ادَّعوا شيئًا من ذلك فليرتَقُوا في الأسباب.

قال سعيد بن جبير: أي: في أبواب السماء[٤].

وقال الزجاج: فليصعدوا في الأسباب التي تُوصِلُهم إلى السماء[٥].

قوله تعالى: ﴿ جُندٌ ﴾ أي: هم جندٌ.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٣٧).

(٢) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٧٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٢٢).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٢٧) ولكن من رواية سعيد، عن قتادة به.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٢٢).

والجند: الأتباع؛ فكأنه قال: هم أتباعٌ مُقلِّدون، ليس فيهم عالمٌ راشدٌ.

و﴿مَّا﴾ زائدةٌ، و﴿هُنَالِكَ﴾ إشارةٌ إلى بدر.

والأحزابُ: جميع من تقدَّمَهم مِنَ الكفَّار الذين تحزَّبُوا على الأنبياء.

قال قتادة: أخبر الله نبيَّهُ وهو بمكَّةَ أنَّه سيُهزَمُ جندُ المشركين، فجاء تأويلُها يومَ بدرٍ[1].

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْـَٔيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ (١٣) إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٤) وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾[ص: ١٢-١٥].

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾.

قال أبو عبيدة: قومٌ من العرب يؤنِّثونَ «القومَ»، وقومٌ يُذَكِّرون، فإن احتُجَّ عليهم بهذه الآية قالوا: وقع المعنى على العشيرة، واحتجُّوا بقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [عبس:١١] قالوا: والمُضمَرُ مُذكَّرٌ[2].

قوله تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ فيه ستة أقوال:

أحدها: أنَّه كان يعذِّبُ الناس بأربعة أوتادٍ يشدُّهم فيها، ثمَّ يرفع صخرةً فتُلقَى على الإنسان فَتَشْدَخُهُ، قاله ابن مسعود، وابن عباس.

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٥٧٩)، والطبري في تفسيره (٢٠/ ٢٩) من رواية سعيد، عن قتادة به، وعزاه السيوطي أيضًا في الدر المنثور (٧/ ١٤٧) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٧٨).



وكذلك قال الحسن ومجاهد: كان يُعذِّبُ الناسَ بأوتادٍ يُوتِدُها في أيديهم وأرجُلِهم[١].

والثاني: أنَّه ذو البِنَاءِ المُحكَمِ، روي عن ابن عبَّاسٍ أيضًا، وبه قال الضحَّاك، والقرظي، واختاره ابن قتيبة[٢].

قال: والعربُ تقول: هم في عزٍّ ثابتِ الأوتاد، ومِلْكٍ ثابتِ الأوتاد، يريدون أنَّه دائمٌ شديدٌ، وأصلُ هذا أنَّ البيتَ من بيوتهم يَثبتُ بأوتادٍ[٣].

قال الأسود بن يعفر[٤]: [من الكامل]

.... في ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الأَوْتَادِ

والثالث: أنَّ المرادَ بالأوتاد: الجنودُ، رواه عطيَّة عن ابن عباس، وذلك أنَّهم كانوا يشدُّون مِلكَه، ويُقَوُّونَ أمرَهُ، كما يُقوِّي الوتدُ الشيءَ.

والرابع: أنَّه كان يبني منارًا يَذبَحُ عليها الناس.

والخامس: أنَّه كان له أربع أسطواناتٍ، فيأخذُ الرَّجلُ فيمدُّ كلَّ قائمةٍ إلى أسطوانةٍ، فيعذِّبهُ، روي القولان عن سعيد بن جبير.

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٠/ ١٩٨) عن مجاهد وغيره، وذكره الماوردي في النكت والعيون (٦/ ٢٦٩) عن الحسن، ومجاهد.

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٣٧٧).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٣٧٧).

(٤) عجز بيت للأسود بن يعفر كما في غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص:٣٧٧)، وغريب الحديث؛ للخطابي (١/ ٣٠١)، والمفضليات (ص:٢٧٧)، والعقد الفريد (٣/ ٢٤٣)، وصدره: «ولقد غنُوا فيها بأنْعَمِ عِيشَةٍ».

والسادس: أنَّه كانت له أوتادٌ وأرسانٌ وملاعبُ يُلعَبُ له عليها، قاله عطاء وقتادة.

ولما ذكر المكذِّبين قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ فأعلمنا أنَّ مشركي قريشٍ من هؤلاء، وقد عُذِّبُوا وأُهلِكُوا.

﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾ أثبت الياء في الحالين يعقوب[1]. [٦٨٠/أ]

﴿وَمَا يَنظُرُ﴾ أي: وما ينتظر ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني كفَّار مكَّة.

﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ وفيها قولان:

أحدهما: أنَّها النفخة الأولى، قاله مقاتل[2].

والثاني: النفخة الأخيرة، قاله ابن السائب.

وفي «الفواق» قراءتان:

قرأ حمزة، وخلف، والكسائي: بضم الفاء.

وقرأ الباقون: بفتحها[3].

وهل بينهما فرقٌ أم لا؟ فيه قولان:

---

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٧٦).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٣٨).

(٣) انظر: السبعة (ص:٥٢٢)، والحجة (٦/ ٦٦)، والمبسوط (ص:٣٨٠)، والتيسير (ص:١٨٧)، والتحصيل (٥/ ٤٩٢).



أحدُهمـا: أنَّهـا لغتـان بمعنًـى واحـدٍ، وهـو معنـى قـول الفـراء[١]، وابـن قتيبـة[٢]، والزجـاج[٣].

قـال الفـراء: والمعنـى: مـا لهـا مـن راحـةٍ ولا إفاقـةٍ، وأصلُـه مـن الإفاقـة في الرضـاع إذا ارتضعَـتِ البهيمـةُ أمَّهـا ثـمَّ تركَتْهـا حتَّـى تُنـزِلَ شـيئًا مـن اللبـن فتلـك الإفاقَـةُ، وجـاء عـن النبـيِّ ﷺ أنَّـه قـال: «**العِيـادةُ قَـدْرُ فُـوَاقِ نَاقَـةٍ**»[٤]، ومـن يفتـحُ الفـاءَ فيـه لغـةٌ جيِّـدةٌ عاليـة[٥].

وقـال ابـن قتيبـة: الفَـواق والفُـواق واحـدٌ، وهـو أن تحلـبَ الناقـةَ وتـترُكَ سـاعةً حتَّـى تُنـزِلَ شـيئًا مـن اللبـن، ثـمَّ تُحلَـبُ، فـما بـين الحلبتـين فَـوَاقٌ، فاسـتُعِيرَ الفـواقُ في موضـع المُكـثِ والانتِظَـار[٦].

وقال الزجاج: الفواق ما بين حلبتي الناقة، وهو مُشتَقٌّ من الرجوع؛ لأنَّه يعودُ اللبن إلى الضرع بين الحلبتين، يقال: أفاقَ من مرضِهِ، أي: رجعَ الى الصحَّة[٧].

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤٠٠).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٣٧٧-٣٧٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٢٣).

(٤) رواه ابـن أبي الدنيـا في المرض والكفـارات (١٧٦)، ومـن طريقـه البيهقـي في شـعب الإيـمان (٨٧٨٦) مـن روايـة أيـوب بـن الوليـد الضريـر، عـن شـعيب بـن حـرب، عـن أبي عبـد الله العنـزي، عـن إسـماعيل بـن القاسـم، عن أنـس بن مالـك ﷺ به.
قـال الحافـظ العراقي في المغنـي عن حمل الأسـفار (ص:٦٧٢): «أخرجه ابـن أبي الدنيا في كتاب المرض من حديث أنس بإسناد فيه جهالة» اهـ، يقصد رَحِمَهُ اللهُ إسماعيل بن القاسم.

(٥) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤٠٠).

(٦) انظر: غريب القرآن (ص:٣٧٨).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٢٣).

والثـاني: أنَّ مـن فتحَهـا أرادَ مـا لهـا مـن راحـة، ومـن ضمَّهـا أراد فـواقَ الناقـة، قالـه أبـو عبيـدة[١].

وللمفسِّرين في معنى الكلام أربعةُ أقوال:

أحدها: ما لها من رجعةٍ، ثم فيه قولان:

أحدهما: ما لها من تردادٍ، قاله ابن عباس.

والمعنى: أن تلك الصيحةَ لا تكرَّر.

والثاني: ما لها من رجوعٍ إلى الدنيا، قاله الحسن وقتادة.

والمعنى: أنَّهم لا يعودون بعدَها إلى الدنيا.

والثاني: ما لهم منها من إفاقة، بل تُهلِكُهم، قاله ابن زيد.

والثالث: ما لها من فتورٍ ولا انقطاعٍ، قاله ابن جرير[٢].

والرابع: ما لها من راحةٍ، حكاه جماعةٌ من المفسِّرين.

قولـه تعـالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ١٦-٢٠].

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ في سبب قولهم هذا قولان:

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٧٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٣٣).

أحدهما: أنه لما ذكر لهم ما في الجنَّة، قالوا هذا، قاله سعيد بن جبير، والسدي.

والثاني: أنَّه لما نزل قوله: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴾ الآيات [الحاقة: ١٩ـ٣٧] قالت قريش: زعمْتَ يا محمَّد أنَّا نُؤتَى كتبَنا بشمائِلِنا، فعَجِّلْ لنا قِطَّنا، يقولون ذلك تكذيبًا له، قاله أبو العالية ومقاتل[١].

وفي المراد بالقِطِّ أربعة أقوال:

أحدها: أنَّه الصحيفة، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

قال الفراء: القِطُّ في كلام العرب الصَّكُّ[٢].

وقال أبو عبيدة: القِطُّ الكتاب، والقُطوط الكتب بالجوائز[٣].

وإلى هذا المعنى ذهب الحسن، ومقاتل[٤]، وابن قتيبة[٥].

والثاني: أنَّ القطَّ الحساب، رواه الضحَّاك عن ابن عبَّاس.

والثالث: أنَّه القضاء، قاله عطاءٌ الخراساني.

والمعنى: أنَّهم لما وُعِدُوا بالقضاء بينَهم سألوا ذلك.

والرابع: أنَّه النصيب، قاله سعيدُ بن جبير.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٣٨-٦٣٩).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤٠٠).

(٣) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٧٩).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٣٨-٦٣٩).

(٥) انظر: غريب القرآن (ص:٣٧٨).

قال الزجاج: القِطُّ النصيب، وأصله الصحيفةُ يُكتَبُ للإنسان فيها شيءٌ يصلُ إليه، واشتقاقُهُ من قطَطتُ، أي: قطَعتُ، فالنصيب: هو القطعةُ من الشيء(١). [٦٨٠/ ب]

ثم في هذا القول للمفسِّرين قولان:

أحدهما: أنَّهم سألوه نصيبَهم من الجنَّة، قاله سعيد بن جبير.

والثاني: سألوه نصيبَهم من العذاب، قاله قتادة.

وعلى جميع الأقوال إنَّما سألوا ذلك استهزاءً؛ لتكذيبهم بالقيامة.

﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: من تكذيبهم وأذاهم.

وفي هذا قولان:

أحدهما: أنَّه أمرٌ بالصبر، سلوكًا لطريق أولي العزم، وهذا مُحكَمٌ.

والثاني: أنَّه منسوخٌ بآية السيف فيما زعم الكلبي.

قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ﴾ في وجه المناسبة بين قوله: ﴿ٱصۡبِرۡ﴾ وبين قوله: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّه أُمِرَ أن يتقوَّى على الصبر بذِكرِ قوَّةِ داودَ على العبادة والطاعة.

والثاني: أنَّ المعنى: عرِّفهم أنَّ الأنبياءَ عليهم السلام مع طاعتهم كانوا خائفينَ منِّي، هذا داودُ مع قوَّته على العبادة، لم يزلْ باكيًا مستغفرًا، فكيف حالهم مع أفعالهم.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٢٣).

فأما قوله: ﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾.

فقال ابن عباس: هي القوة في العبادة[١].

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللهِ صِيَامُ دَاوُدَ، كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللهِ صَلَاةُ دَاوُدَ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ»[٢].

وفي «الأَوَّاب» أقوالٌ قد ذكرناها في بني اسرائيل[٣].

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ﴾ قد ذكرنا تسبيحَ الجبال معه في الأنبياء[٤]، وذكرنا معنى العشيِّ في مواضعَ ممَّا تقدَّم[٥]، وذكرنا معنى الإشراق في الحِجْر[٦] عند قوله: ﴿مُشْرِقِينَ﴾ [الحجر: ٧٣].

قال الزجَّاج: الإشراقُ طلوع الشمس وإضاءتُها، وروي عن ابن عبَّاس أنَّه قال: طلبتُ صلاةَ الضحى، فلم أَجِدْها إلَّا في هذه الآية.

وقد ذكرنا عنه أنَّ صلاة الضحى مذكورةٌ في النور في قوله: ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [النور: ٣٦].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٤١) من رواية العوفي، عن ابن عباس بلفظ: «ذا القوة».

(٢) رواه البخاري (١١٣١) ومواضع أخرى، ومسلم (١١٥٩).

(٣) انظر: تفسير سورة الإسراء الآية رقم (٢٥).

(٤) انظر: تفسير سورة الأنبياء الآية رقم (٧٩).

(٥) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (٤١)، وسورة الأنعام الآية رقم (٥٣).

(٦) انظر: تفسير سورة الحجر الآية رقم (٧٣).

قوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾.

وقرأ عكرمةُ، وأبو الجوزاء، والضحاك، وابن أبي عبلة: «والطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ» بالرفع فيهما[١]، أي: مجموعةٌ إليه، تُسبِّحُ اللهَ معه.

﴿كُلٌّ لَّهُۥ﴾ في هاء الكناية قولان:

أحدهما: أنَّها ترجِعُ إلى داودَ، أي: كلٌّ لداود.

﴿أَوَّابٌ﴾ أي: رجَّاعٌ إلى طاعته وأمره، والمعنى: كلٌّ له مطيعٌ بالتسبيح معه، هذا قول الجمهور.

والثاني: أنَّها ترجع إلى الله تعالى، فالمعنى: كل مسبِّحٍ لله، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ أي: قوَّيناه.

وفي ما شُدَّ به مِلكُهُ قولان:

أحدهما: أنَّه الحرسُ والجنود.

قال ابن عبَّاس: كان يحرسه كلَّ ليلة ستَّةٌ وثلاثون ألفَ رجل[٢].

والثاني: أنَّه هيبةٌ أُلقِيَتْ له في قلوب الناس، وهذا المعنى مرويٌّ عن ابن عبَّاسٍ أيضًا.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٣٠)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٩٧) كلاهما نسبها لإبراهيم بن أبي عبلة، وفي الكامل (ص:٦٢٨)، وفي البحر المحيط (٩/ ١٤٥) كلاهما نسبها لابن أبي عبلة، والجحدري.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٤٤).



قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ وفيها أربعة أقوال:

أحدها: أنَّها الفهم، قاله ابن عبَّاس، والحسن، وابن زيد.

والثاني: الصواب، قاله مجاهد.

والثالث: السنة، قاله قتادة.

والرابع: النبوَّة، قاله السدي.

وفي فصل الخطاب أربعةُ أقوال:

أحدها: عِلمُ القضاء والعدل، قاله ابن عبَّاس، والحسن.

[٦٨١/أ] **والثاني**: بيان الكلام، روي عن ابن عبَّاس أيضًا.

وذكر الماورديُّ أنَّه البيان الكافي في كلِّ غرضٍ مقصود.

والثالث: قوله: «أما بعد»، وهو أوَّل من تكلَّم بها، قاله أبو موسى الأشعريُّ، والشعبي.

والرابع: تكليف المدعي البيِّنَةَ، والمدَّعى عليه اليمين، قاله شريح، وقتادة، وهو قول حسن؛ لأنَّ الخصومةَ إنَّما تُفصَلُ بهذا.

قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ

﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾[ص: ٢١-٢٦].

قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾.

قال أبو سليمان: المعنى: قد أتاكَ، فاستَمِعْ له، نقصُصْ عليك.

واختلف العلماء في السبب الذي امتُحِنَ لأجلِهِ داود ﷺ بما امتُحِنَ به، على خمسة أقوال:

أحدها: أنَّه قال: يا ربِّ قد أعطيْتَ إبراهيم وإسحاق ويعقوب من الذكر ما لو وَدِدْتُ أنَّك أعطيتني مثله، فقال الله تعالى: إنِّي ابتليتُهم بما لم أبتَلِكَ به، فإن شِئْتَ ابتليتُكَ بمثل ما ابتليتُهم به، وأعطيتُكَ كما أعطيتَهم. قال: نعم. فبينما هو في محرابه إذْ وقعَتْ عليه حمامةٌ، فأراد أن يأخذَها فطارَتْ، فذهبَ ليأخُذَها، فرأى امرأةً تغتسلُ، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاس، وبه قال السدي.

والثاني: أنَّه ما زالَ يجتهد في العبادة، حتَّى برز له قرناؤه من الملائكة، وكانوا يُصلُّونَ معه، ويُسعِدُونه بالبكاء، فلما استأنسَ بهم، قال: أخبروني بأيِّ شيءٍ أنتم موكَّلُون؟ قالوا: ما نكتب عليك ذنبًا، بل نكتب صالح عملك، ونُثبِّتُكَ، ونوفِّقُكَ، ونَصرِفُ عنكَ السوء، فقال في نفسه: ليت شِعري! كيفَ أكونُ لو خلَّوني ونفسي؟ وتمنَّى أن يُخلَّى بينَهُ وبينَ نفسِه؛ ليَعلَمَ كيفَ يكونُ، فأمرَ اللهُ تعالى قرناءَهُ أن يعتزلوهُ ليَعلَمَ أنَّه لا غِناءَ به



عن الله ﷻ، فلما فقدهم، جدَّ واجتهدَ ضِعفَ عبادَتهِ إلى أنْ ظنَّ أنَّه قد غلبَ نفسَهُ، فأرادَ الله تعالى أن يُعرِّفَهُ ضَعفَهُ، فأرسلَ إليه طائرًا من طيور الجنَّة، فسقطَ في محرابِهِ، فقطعَ صلاتَهُ، ومدَّ يدَهُ إليه، فتنحَّى عن مكانه، فأتبعَهُ بصرَهُ، فإذا امرأةُ أُورِيا، هذا قول وهب بن منبه.

والثالث: أنه تذاكر هو وبنو إسرائيلَ، فقالوا: هل يأتي على الإنسان يومٌ لا يصيبُ فيه ذنبًا؟ فأضمرَ داود في نفسه أنَّه سيطيقُ ذلك، فلمَّا كان يومُ عبادته، أغلقَ أبوابَهُ، وأمر أن لا يَدخُلَ عليه أحدٌ، وأكبَّ على قراءة الزبور، فإذا حمامةٌ من ذهَبٍ، فأهوى إليها فطارت، فتَبِعَها فرأى المرأة، رواه مطر عن الحسن.

والرابع: أنَّه قال لبني إسرائيلَ حين ملكَ: والله لأعدلنَّ بينكم، ولم يستثنِ، فابتُلِيَ، رواه قتادة عن الحسن.

والخامس: أنَّه أعجبه كثرةُ عملِهِ، فابتُلِيَ، قاله أبو بكر الورَّاق.

الإشارة إلى قصة ابتلائه

[قد ذكرنا عن وهبٍ أنَّه قال: كانت الحمامة من طيور الجنَّة.

وقال السدي: تصوَّر له الشيطانُ في صورة حمامة[1].

قال المفسِّرون: إنه لما تبع الحمامةَ رأى امرأةً في بستانٍ على شطِّ بِرْكَةٍ لها تغتسلُ، وقيل: بل على سطحٍ لها، فعَجِبَ من حُسنِها، فحانَتْ منها التفاتَةٌ، فرأَتْ ظِلَّهُ فنقضَتْ شعرَها، فغطَّى بدنَها، فزادَهُ ذلك إعجابًا، فسألَ عنها، فقيل: هذه امرأةُ أُورِيَا، وزَوجُهَا في غَزاةٍ، فكتبَ داودُ إلى أميرِ ذلك الجيشِ أن ابعَثْ أوريا إلى موضعِ كذا وكذا، وقدِّمْهُ قَبْلَ التابوت، وكان من قُدِّمَ على التابوت لا يحلُّ له أن يرجِعَ حتَّى يُفتحَ عليه أو يستشهدَ، ففعل ذلك ففُتِحَ عليه، فكتب إلى داودَ يُخبِرُهُ، فكتبَ إليه أن ابعثْهُ إلى عدوٍّ كذا وكذا، ففُتِحَ عليه، فكتب إلى داود يُخبِرُهُ، فكتبَ إليه أن ابعثْهُ إلى عدوٍّ كذا وكذا، فقُتِلَ في المرَّة الثالثة، فلما انقضَتْ عِدَّةُ المرأة تزوَّجَها داودُ، فهي أمُّ سليمان، فلما دخلَ بها لم يلبثْ إلَّا يسيرًا حتَّى بَعثَ الله ﷻ ملكينِ في صورة إنسِيَّيْنِ.

وقيل: لم يأتِهِ الملكان حتَّى جاء منها سليمانُ وشَبَّ، ثمَّ أتياه فوجداه في محرابِ عبادتِه، فمنعَهُما الحرسُ من الدخول إليه، فتسوَّرُوا المحرابَ عليه، وعلى هذا الذي ذكرناه من القصَّة أكثرُ المفسِّرين.

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٦٦) من رواية أسباط، عن السدي به.



وقد روى نحوه العوفي عن ابن عباس، وروي عن الحسن، وقتادة، والسدي، ومقاتل في آخرين][1].

قال الشَّيخ: قد ذكر جماعةٌ من المفسِّرين أنَّ داودَ لَمَّا نظر إلى المرأة سأل عنها، وبعثَ زوجَها إلى الغزاة، مرَّةً بعد مرَّةٍ، إلى أن قُتِلَ؛ فتزوَّجَها داود، رُوِيَ مثلُ هذا عن ابن عبَّاس، ووهب، والحسن في جماعة، وهذا لا يصحُّ من طريق النقل، ولا يجوزُ من حيث المعنى؛ لأنَّ الأنبياء مُنزَّهون عنه. [٦٨١/ب]

وقد اختلف المحقِّقون في ذنبه الذي عُوتِبَ عليه على أربعة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه لما هَوِيَها، قال لزوجها: تحوَّلْ لي عنها، فعُوتِبَ على ذلك.

وقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما زادَ داود على أن قال لصاحب المرأة: أكفِلْنِيها، وتحوَّلْ لي عنها[2].

ونحو ذلك روي عن ابن مسعود.

وقد حكى أبو سليمان الدمشقي أنَّه بعث إلى أوريا، فأقدَمَهُ مِنْ غزاتِه، فأدناه وأكرمَهُ جِدًّا، إلى أن قال له يومًا: انزل لي عن امرأتِكَ، وانظرْ أيَّ امرأةٍ شئْتَ في بني إسرائيلَ أُزوِّجْكَها، أو أيَّ أَمَةٍ شئتَ أبتاعُها لك، فقال: لا أريد

(١) ما بين المعكوفين من قوله: (ذكرنا عن وهب)... إلى هنا، ذُكر في جميع النسخ المطبوعة، ولم نقف عليه في الأصل، ولا في غيره من النسخ الخطية التي بين أيدينا، وقد أبقينا عليه؛ لربما يكون في نسخ أخرى خطية لم نقف عليها، ولذلك وجب التنبيه.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٥٩٠)، والطبري في تفسيره (٢٠/ ٥٩) من رواية سعيد بن جبير، عن ابن عباس به، وهو في تفسير مجاهد (ص:٥٧٣).

بامرأتي بديلاً، فلما لم يُجِبْهُ إلى ما سألَ أمرَهُ أن يرجِعَ إلى غزاتِهِ.

والثاني: أنَّه تمنَّى تلك المرأةَ حلالاً، وحدَّثَ نفسَهُ بذلك، فاتَّفقَ غزوُ أوريا وهلاكُهُ من غيرِ أن يسعَى في سببِ قتلِهِ، ولا في تعريضِهِ للهلاك، فلما بلغَهُ قتلُهُ، لم يجزَعْ عليه كما جزعَ على غيرِه من جُندِه، ثمَّ تزوَّجَ امرأتَهُ، فعُوتِبَ على ذلك، وذنوبُ الأنبياء عليهم السلام وإن صَغُرَتْ فهي عظيمةٌ عند الله ﷻ.

والثالث: أنَّه لما وقعَ بصرُه عليها، أشبعَ النظرَ إليها حتَّى علقَتْ بقلبه.

والرابع: أنَّ أوريا كان قد خطبَ تلكَ المرأةَ، فخطبَها داودُ مع علمه بأنَّ أوريا قد خطبَها فتزوَّجَها، فاغتمَّ أوريا، وعاتبَ اللهُ تعالى داودَ، إذ لم يترُكْها لخاطبِها الأوَّل، واختار القاضي أبو يعلى هذا القولَ، واستدلَّ على صحَّته بقوله: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾ قال: فدلَّ هذا على أنَّ الكلامَ إنَّما كان بينهما في الخِطبة، ولم يكن قد تقدَّم تزوُّج الآخر، فعوتِبَ داودُ ﵇ لشيئين ينبغي للأنبياءِ التنزُّهُ عنهما:

أحدُهما: خِطبَتهُ على خِطبةِ غيرِه.

والثاني: إظهارُ الحِرْصِ على التزويج مع كثرَةِ نسائِهِ، ولم يعتقدْ ذلك معصيةً، فعاتبَهُ الله تعالى عليها.

قال: فأمَّا ما رُوِيَ أنَّه نظرَ إلى المرأة فهوِيَها، وقدَّم زوجَها للقتل فإنَّه وجهٌ لا يجوزُ على الأنبياء، لأنَّ الأنبياءَ لا يأتون المعاصيَ مع العلم بها.

قال الزجاج: إنَّما قال: ﴿ٱلۡخَصۡمِ﴾ بلفظ الواحد، وقال: ﴿تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ﴾ بلفظ الجماعة؛ لأنَّ قولك: (خصم) يصلح للواحد والاثنين والجماعة، والذكر والأنثى؛ تقول: هذا خصمٌ، وهي خصمٌ، وهما خصمٌ، وهم خصمٌ، وإنَّما يصلح لجميع ذلك؛ لأنَّه مصدرٌ، تقول: خصمتُهُ أخْصُمُهُ خَصْمًا[1].

والمحراب هاهنا كالغرفة، قال الشاعر[2]: [من السريع]

رَبَّةُ مِحْرَابٍ إِذَا جِئْتُهَا لَمْ أَلْقَهَا أَوْ أَرْتَقِي سُلَّمَا

و﴿تَسَوَّرُواْ﴾ يدلُّ على علوٍّ.

قال المفسِّرون: كانا ملكين.

وقيل: هما جبريل وميكائيل عليهما السلام، أتياه لِيُنبِّهاهُ على التوبة، وإنَّما قال: ﴿تَسَوَّرُواْ﴾ وهما اثنان؛ لأنَّ معنى الجمع ضمُّ شيءٍ إلى شيءٍ، والاثنان فما فوقهما جماعة.

قوله تعالى: ﴿إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ﴾: قال الفراء: يجوز أن يكون معنى تسوَّروا دخلوا، فيكون تكرارًا، ويجوز أن تكون «إذ» بمعنى «لما»، فيكون

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٢٥).

(٢) البيت لعُمَر بن أبي رَبِيعَة المَخْزُومِي كما في المنجد في اللغة (ص:٣٢٦)، ولوضاح اليمن كما في الصحاح (١/ ١٠٨-١٠٩)، ولسان العرب (١/ ٣٠٥)، وتاج العروس (٢/ ٢٥٤)، وبلا نسبة في الزاهر (١/ ٤٣٤)، وتهذيب اللغة (٥/ ١٧)، ومقاييس اللغة (٢/ ٤٩)، والمحكم (٣/ ٣١٣)، والفائق في غريب الحديث (١/ ٢٧٣).

المعنى إذ تسوَّروا المحراب لمَّا دخلوا، ولمَّا تسوَّروا إذ دخلوا[١]. [٦٨٢/أ]

قوله تعالى: ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ وذلك أنَّهما أتيا على غيرِ صفة مجيء الخصوم، وفي غير وقت الحكومة، ودخلا تسوُّرًا من غير إذن.

وقال أبو الأحوص: دخلا عليه وكلٌّ واحدٍ منهما آخِذٌ برأس صاحبه[٢].

و﴿خَصْمَانِ﴾ مرفوعٌ بإضمار «نحن».

قال ابن الأنباري: المعنى: نحن كخصمين ومثل خصمين، فسقطت الكاف، وقام الخصمان مقامَها، كما تقول العرب: عبدُ الله القمرُ حُسنًا، وهم يريدون: مثلُ القمر.

قالت هند بنت عتبة ترثي أباها وعمَّها[٣]:

مَنْ حَسَّ لي الْأَخَوَيْنِ ... كالغُصْنَيْنِ أو مَنْ رَآهُمَا
أَسَدَيْنِ فِي غَيْلٍ يَحِيدُ ... الْقَومُ عَنْ عَرْوَاهُمَا
صَقْرَيْنِ لَا يَتَذَلَّلَانِ ... وَلَا يُبَاحُ حِمَاهُمَا
رُمْحَيْنِ خَطِّيَّيْنِ فِي ... كَبِدِ السَّمَاءِ تَرَاهُمَا

أرادت: مثل أسدين، ومثل صقرين، فأسقطت مثلاً، وأقامت الذي بعده مقامه.

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤٠١).

(٢) عزاه في الدر المنثور (٧/ ١٦١) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) الأبيات للخنساء كما في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (١/ ٣٥٢)، وحماسة القرشي (ص:٢٠٧)، ولهند بنت عتبة في مجاني الأدب في حدائق العرب (٤/ ٥٧).

ثمَّ صرف الله ﷻ النون والألف في بعضنا إلى نحن المضمر، كما تقول العربُ: نحن قومٌ شَرُفَ أبونا، ونحن قومٌ شَرُفَ أبوهم. والمعنى واحدٌ، والحقُّ هاهنا العدل.

﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ أي: لا تَجُرْ، يقال: شَطَّ وأَشَطَّ: إذا جارَ.

وقرأ ابن أبي عبلةَ: «ولا تَشْطُطْ» بفتح التاء وضمِّ الطاء[1].

قال الفراء: بعض العرب يقول: شَطَطْتَ عليَّ في السَّوْم، وأكثر الكلام «أشططتَ» بالألف، وشَطَّتِ الدَّارُ: تباعَدَتْ[2].

قوله تعالى: ﴿وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ أي: إلى قصد الطريق، والمعنى: احملنا على الحقِّ، فقال داود: تكلَّما، فقال أحدهما: ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي﴾.

قال ابن الأنباري: المعنى: قال أحدُ الخصمين اللَّذين شُبِّهَ الملكان بهما: ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي﴾، فأضمر القول لوضوح معناه.

﴿لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾.

قال الزجاج: كَنَّى عن المرأة بالنعجة[3].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٣٠) نسبها لأبي رجاء، وأبي حيوة، وفي المحتسب (٢/ ٢٣١)، والتحصيل (٥/ ٤٩٢) كلاهما نسبها لأبي رجاء، وقتادة، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٤٩٩) نسبها لأبي رجاء، وقتادة، والحسن، والجحدري، وفي البحر المحيط (٩/ ١٤٨) نسبها لأبي رجاء، وابن أبي عبلة، وقتادة، والحسن، وأبي حيوة، وفي الكامل (ص:٦٢٨) نسبها لابن أبي عبلة، وأبي حيوة، والحسن والعمري في قول الجماعة غير أبي الحسين.

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤٠٣).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٢٦).

وقال غيرُهُ: العربُ تُشبِّهُ النساءَ بالنِّعاجِ، وتُوَرِّي عنها بالشاء والبقر.

قال ابن قتيبة(١): ورَّى عن ذكر النساء بذكر النِّعاج، كما قال عنترة(٢):

يَا شَاةَ مَا قَنْصٍ لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ ... حَرُمَتْ عَلَيَّ وَلَيْتَهَا لَمْ تَحْرُمِ

يُعرِّضُ بجاريةٍ يقول: أيُّ صيدٍ أنتِ لمن حلَّ له أن يصيدَكِ، فأمَّا أنا فإنَّ حُرمةَ الجوار قد حرَّمَتكِ عليَّ.

وإنَّما ذكر المَلَكُ هذا العددَ لأنَّه عدَّد نساء داود.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾.

فتح الياء حفصٌ عن عاصم، وأسكنَها الباقون(٣).

﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾: قال ابن قتيبة: أي: ضُمَّها إليَّ واجعلْني كافِلَها(٤).

وقال الزجاج: انْزِلْ أنتَ عَنها، واجعلْني أنا أَكْفُلُها(٥).

قوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ أي: غَلَبني في القول.

---

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص:١٦٥).

(٢) البيت لعنترة في ديوانه (ص:٢١٣)، وتأويل مشكل القرآن (ص:١٦٥)، والزاهر (١/ ٣٠١)، وتهذيب اللغة (١١/ ٣٠٤)، ولسان العرب (١٣/ ٥٠٩)، وتاج العروس (٣٦/ ٤٢٣).

(٣) انظر: السبعة (ص:٥٥٢-٥٥٣)، والحجة (٦/ ٦٨)، والمبسوط (ص:٣٨٢)، والتيسير (ص:١٨٨).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:٣٧٩).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٢٧).

وقرأ عمر بن الخطاب وأبو رزين العقيلي والضحاك وابن يعمر وابن أبي عبلة: «وعَازَّنِي» بألف[1]، أي: غالبَنِي.

قال ابن مسعود، وابن عباس في قوله: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾ ما زاد على أن قال: انزِلْ لي عنها[2].

وروى العوفي عن ابن عباس قال: إن دعوت ودعا كان أكثر، وإن بطشت وبطش كان أشدَّ مني[3].

[٦٨٢/ب] **فإن قيل**: كيف قال الملكان هذا وليس شيء منه موجودًا عندهما؟

فالجواب: أنَّ العلماء قالوا: إنما هذا على سبيل المثل والتشبيه بقصة داود، وتقدير كلامهما: ما تقول إن جاءك خصمان فقالا كذا وكذا، وكان داود لا يرى أن عليه تبعةً فيما فعلَ، فنبَّهَهُ الله بالملَكين.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٣٠) نسبها لمسروق، وأبي وائل، وشقيق بن سلمة، والضحاك، والحسن، وفي التحصيل (٥/ ٤٩٢) نسبها للحسن، والضحاك، وفي النهاية (١٠/ ٦٢٢١) نسبها لابن مسعود، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٥٠٠) نسبها لابن مسعود، وأبي الضحى، وعبيد بن عمير، وفي البحر المحيط (٩/ ١٤٩) نسبها لعبيد الله، وأبي وائل، ومسروق، والضحاك، والحسن، وعبيد بن عمير.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٥٩) من رواية مسروق، عن عبد الله بن مسعود به، ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٥٩٠)، والطبري في تفسيره (٢٠/ ٥٩) من رواية سعيد بن جبير، عن ابن عباس به، وهو في تفسير مجاهد (ص:٥٧٣).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٦٠) من رواية العوفي عن ابن عباس به.

وقال ابن قتيبة: هذا مثلٌ ضربه الله له، ونبَّهه على خطيئته، وقد ذكرنا آنفًا أنَّ المعنى نحن كخصمين[١].

قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ يعني داود ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾.

قال الفراء: أي: بسؤاله نعجتك، فإذا ألقيت الهاء من السؤال، أضفت الفعل إلى النعجة، ومثله: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [فصلت:٤٩] أي: من دعائه بالخير فلما ألقى الهاء أضاف الفعل إلى الخير، وألقى من الخير الباء، وأنشدوا[٢]: [من الوافر]

فَلَسْتُ مُسَلِّماً مادُمْتُ حَيًّا   عَلَى زَيْدٍ بِتَسْلِيمِ الأَمِيرِ

أي: بتسليمِ على الأمير[٣].

قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ أي: لِيَضُمَّها إلى نعاجه.

قال ابن قتيبة: المعنى: بسؤال نعجتك مضمومةً إلى نعاجه، فاختصر[٤].

قال: ويقال «إلى» بمعنى «مَعَ».

فإن قيل: كيف حكم داود قبل أن يسمع كلام الآخر؟

---

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص:١٦٥).

(٢) البيت لعلي بن خالد البردخت الشاعر كما في البغال (ص:٥٠)، ورسائل الجاحظ (٢/ ٢٦١)، وبلا نسبة في رسائل في اللغة (ص:١٨٥)، والبيان والتبيين (٣/ ٢٧٧)، وشرح مقامات الحريري (٢/ ٢٧٥).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤٠٤).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:٣٧٩).



فالجواب: أنَّ الخصمَ الآخر اعترف، فحكم عليه باعترافه، وحُذِفَ ذكرُ الاعتراف اكتفاءً بفهم السامع، والعرب تقول: أمرتُكَ بالتجارة فكسبتَ الأموالَ، أي: فاتَّجرْتَ فكَسَبتَ.

ويدل عليه قول السدي: إن داود قال للخصم الآخر: ما تقول؟ قال: نعم. أريد أن آخُذَها منه فأُكمِلَ بها نعاجي وهو كارهٌ. قال: إذًا لا ندعُكَ، وإن رُمْتَ هذا ضربْنَا منكَ هذا، ويشيرُ إلى أنفه وجبهته، فقال: أنت يا داودُ أحقُّ أن يُضربَ هذا منك حيث لك تسعٌ وتسعونَ امرأةً، ولم يكن لأوريا إلَّا واحدةٌ، فنظر داود فلم يرَ أحدًا، فعرف ما وقعَ فيه[1].

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾ يعني: الشركاء، واحدهم خليط، وهو المخالط في المال، وإنَّما قال هذا، لأنَّه ظنَّهُما شريكين، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: فإنَّهم لا يظلمون أحدًا، ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ ما زائدة، والمعنى: وقليل هم، وقيل المعنى: هم قليلٌ، يعني الصالحين الذين لا يظلمون.

قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ﴾ أي: أيقنَ وعلم.

﴿أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: اختبرناه.

والثاني: ابتليناه بما جرى له من نظره إلى المرأة وافتتانه بها.

وقرأ عمر بن الخطاب: «أنَّما فتَّنَّاهُ» بتشديد التاء والنون جميعاً[2].

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ١٩٠).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ١٣٠)، والتحصيل (٥/ ٤٩٣)، والمحتسب (٣/ ٢٣٢) كلهم=

وقـرأ أنـس بـن مالـك، وأبـو رزيـن، والحسـن، وقتـادة، وعـلي بـن نـصر عـن أبي عمـرو: «أَنَّـما فَتَنَـاهُ» بتخفيـف التـاء والنـون جميعـاً[1]، يعنـي الملَكَـين.

قال أبو علي الفارسي: يريد صَمَدَا له[2].

وفي سبب علمه وتنبيهه على ذلك ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّ الملكين أفصحا له بذلك، على ما ذكرناه عن السدي.

والثـاني: أنَّهـما عرجـا وهمـا يقـولان: قـضى الرجـل عـلى نفسـه، فعلـم أنَّـه عُنِـيَ بذلـك، قالـه وهـب.

والثالـث: أنَّه لما حكـم بينهما، نظـر أحدُهما إلى صاحبه وضحـك، ثمَّ صعدا إلى السـماء وهـو ينظر، فعلـم أنَّ الله تعالى ابتلاه بذلـك، قاله مقاتل[3]. [٦٨٣/أ]

قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ﴾.

قال المفسِّرون: لما فطن داودُ بذنبه خرَّ راكعًا.

=نسبوها لعمـر بـن الخطـاب، وفي المحـرر الوجيـز (٤/ ٥٠١)، والبحـر المحيـط (٩/ ١٥٠) كلاهمـا نسـبها لعمـر بـن الخطـاب، وأبي رجـاء، والحسـن بخـلاف عنـه.

(١) في مختـصر ابـن خالويـه (ص: ١٣٠) نسـبها لعبـد الوهاب عـن أبي عمرو، وفي الحجـة (٦/ ٧٠) نسـبها لأبي عمـرو في روايـة عـلي بـن نـصر والخفَّـاف عنـه، وفي التحصيـل (٥/ ٤٩٣) نسـبها لعبـد الوهـاب وعـلي بـن نـصر عـن أبي عمـرو، وقتـادة، وفي المحـرر الوجيـز (٤/ ٥٠١) نسـبها لأبي عمـرو في روايـة عـلي بـن نـصر، وفي المحتسـب (٢/ ٢٣٢) نسـبها لقتـادة وأبي عمـرو في قـراءة عبـد الوهـاب، وعـلي بـن نـصر عنـه.

(٢) انظر: الحجة (٦/ ٧٠).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٤١).

قال ابن عباس: أي: ساجدًا[١].

وعبَّر عن السجود بالركوع لأنَّهما بمعنى الانحناء.

وقال بعضهم: فخرَّ بعد أن كان راكعًا.

فصل

واختلف العلماء هل هذه من عزائم السجود؟ على قولين:

أحدهما: ليست من عزائم السجود، قاله الشافعي.

والثاني: أنَّها من عزائم السجود، قاله أبو حنيفة.

وعن أحمد روايتان.

قال المفسرون: فبقي في سجوده أربعين ليلة، لا يرفع رأسَهُ إلَّا لوقت صلاةٍ مكتوبةٍ، أو حاجةٍ لا بُدَّ منها، ولا يأكلُ ولا يشربُ، فأكلتِ الأرضُ من جبينه، ونَبَتَ العُشْبُ من دموعه، ويقول في سجوده: ربَّ داودَ، زَلَّ داودُ زَلَّةً أبعد ممَّا بين المشرق والمغرب.

وقال مجاهد: نبتَ البقلُ من دموعه حتَّى غطَّى رأسَه، ثم نادى: ربِّ قَرِحَ الجبين، وجَمَدت العينُ، وداوُدُ لم يَرْجِعْ إليه في خطيئته شيء، فنودي: أجائعٌ فتُطْعَمَ، أم مريضٌ فتُشْفَى، أم مظلومٌ فيُنتصَرَ لك؟ فنَحَبَ نَحيباً هاج كلَّ شيءٍ نَبَتَ، فعند ذلك غُفِرَ له[٢].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٤٩).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٧٣) من رواية ابن إدريس، عن ليث، عن مجاهد به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٥٧) لابن أبي شيبة، وهناد، وابن المنذر.

وقال ثابت البناني: اتَّخذ داوُدُ سبعَ حشايا من شَعْرٍ، وحشاهُنَّ من الرَّماد، ثمَّ بكى حتَّى أنفذَها دموعاً، ولم يشربْ شراباً إلَّا ممزوجاً بدموع عينيه[١].

وقال وهب بن منبه: نودي: يا داود ارفع رأسك، فإنَّا قد غَفَرْنا لكَ، فرفعَ رأسَهُ وقد زَمِنَ وصار مرعشاً[٢].

فأما قوله: ﴿وَأَنَابَ﴾ فمعناه: رجع من ذنبه تائبًا إلى ربه، ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ يعني الذنب.

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾: قال ابن قتيبة: أي: تقدُّمٌ وقُرْبَةٌ.

قوله تعالى: ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾: قال مقاتل: حُسْنُ مَرْجِعٍ، وهو ما أعدَّ الله له في الجنَّة[٣].

قوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ﴾ المعنى: وقلنا له يا داود ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰكَ﴾ أي: صيَّرناك ﴿خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: تدبِّرْ أمرَ العباد من قِبَلِنا بأمرنا، فكأنَّك خليفةٌ عنَّا، ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالعدل ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي: لا تَمِلْ مع ما تشتهي إذا خالفَ أمرَ الله ﷻ ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: عن دينه.

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٦٥) لأحمد، ورواه الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ١٩٥) من رواية جعفر عن ثابت قال: «ما شرب داود شرابًا بعد المغفرة إلَّا وهو ممزوج بدموع عينيه».

(٢) ذكره مكي في الهداية (١٠/ ٦٢٢٣).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٤٢).



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ﴾: وقرأ أبو نهيك، وأبو حيوة، وابن يعمر: «يُضِلُّونَ» بضم الياء[1].

قوله تعالى: ﴿بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: بما تركوا العمل ليوم الحساب، قاله السدي.

قال الزجاج: لما تركوا العمل لذلك اليوم صاروا بمنزلة الناسين[2].

والثاني: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا تقديره: لهم عذابٌ شديدٌ يوم الحساب بما نسوا، أي: تركوا القضاء بالعدل، وهو قول عكرمة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[ص: ٢٧-٢٩].

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ﴾ أي: عبثًا.

﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ﴾ أن ذلك خلق لغير شيء، وإنما خلق للثواب والعقاب.

﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

قال مقاتل: قال كفار قريش للمؤمنين: إنا نُعطَى في الآخرة مثل ما تُعطَون، فنزلت هذه الآية[3].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٣٠)، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٥٠٢) كلاهما نسبها لأبي حيوة.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٢٩).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٤٣).

وقال ابن السائب: نزلت في الستَّة الذين تبارزوا يوم بدرٍ، علي ﵁، [٦٨٣/ب] وحمزة ﵁، وعبيدة بن الحارث ﵁، وعتبة، وشيبة، والوليد بن عتبة، فذكر أولئك بالفساد في الأرض لعملهم فيها بالمعاصي، وسمَّى المؤمنين بالمتَّقين لاتِّقائهم الشِّركَ، وحكم الآية عام[١].

قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ﴾ أي: هذا كتاب، يعني القرآن، وقد بيَّنا معنى بركته في سورة الأنعام[٢].

﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾.

وقرأ عاصم في رواية: «لِتَدَبَّروا آياتِه» بالتاء خفيفة الدال[٣]، أي: ليتفكَّروا فيها، فيتقرَّر عندهم صِحَّتُها.

﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾ بما فيه من المواعظ ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، وقد سبق بيانُ هذا[٤].

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٩٢).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٥٥٣)، والحجة (٦/ ٦٧)، والمبسوط (ص: ٣٨٠)، والمحرر الوجيز (٤/ ٥٠٣).

(٤) انظر: تفسير سورة الرعد الآية رقم (١٩).

وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[ص: ٣٠-٤٤].

قوله تعالى: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ يعني به سليمان.

وفي «الأوَّاب» أقوالٌ قد تقدَّمت في بني إسرائيل[1]، أليقها بهذا المكان أنَّه رجَّاعٌ بالتوبة إلى الله تعالى ممَّا يقعُ منه من السهو والغفلة.

قوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ﴾ وهو ما بعد الزوال، ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ وهي الخيل.

وفي معنى الصافنات قولان:

أحدهما: أنَّها القائمة على ثلاث قوائم، وقد أقامت الأخرى على طرف الحافر من يدٍ أو رِجلٍ، وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد وابن زيد، واختاره الزجاج[2].

وقال: هذا أكثر قيام الخيل إذا وقفَتْ كأنَّها تُراوِحُ بين قوائمها[3].

---

(١) انظر: تفسير سورة الإسراء الآية رقم (٢٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٣٠).

(٣) انظر: المصدر السابق.

قال الشاعر[١]: [من الكامل]

أَلِفَ الصُّفُونَ فما يَزالُ كأنَّهُ ... مِمَّا يَقومُ على الثَّلاثِ كَسِيرا

والثاني: أنَّها القائمة، سواءٌ كانت على ثلاثٍ، أو غيرِ ثلاثٍ.

قال الفراء: على هذا رأيتُ العرب، وأشعارُهم تدلُّ على أنَّه القيامُ خاصَّةً[٢].

وقال ابن قتيبة: الصافن في كلام العرب الواقفُ من الخيل وغيرها، ومنه قوله ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقُومَ لَهُ الرِّجَالُ صُفُوناً، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[٣]، أي: يديمون القيام له[٤].

فأمَّا الجياد، فهي السِّراعُ في الجري.

وفي سبب عرضها عليه أربعة أقوال:

أحدها: أنَّه عرضها لأنَّه أراد جهادَ عدوٍّ له، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

والثاني: أنَّها كانت من دواب البحر.

قال الحسن: بلغني أنَّها كانت خيلاً خرجت من البحر لها أجنحة[٥].

---

(١) البيت للأعشى كما في المنجد في اللغة (ص:٢٤١)، وبلا نسبة كما في معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٣٠)، وأساس البلاغة (١/ ٥٥١)، ولسان العرب (١٣/ ٢٤٨)، وتاج العروس (٣٥/ ٣١١)، وشرح شواهد المغني (٢/ ٧٢٩).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤٠٥).

(٣) استغربه الحافظ الزيلعي بهذا اللفظ كما في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ١٨٩).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:٣٧٩).

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ١٩٩).



وقال إبراهيم التيمي: كانت عشرين فرسًا ذات أجنحة(١).

وقال ابن زيد: أخرجتها له الشياطينُ من البحر(٢).

والثالث: أنَّه ورثها من أبيه داود ﷺ فعُرِضَتْ عليه، قاله وهب بن منبه، ومقاتل(٣).

والرابع: أنَّه غزا جيشًا، فظفر به وغنمها، فدعا بها فعُرِضَتْ عليه، قاله ابن السائب.

وفي عددها أربعة أقوال:

أحدها: ثلاثة عشرَ ألفًا، قاله وهب.

والثاني: عشرون ألفًا، قاله سعيد بن مسروق.

والثالث: ألفُ فرس، قاله ابن السائب، ومقاتل(٤).

والرابع: عشرون فرسًا، وقد ذكرناه عن إبراهيم التيمي.

قال المفسِّرون: ولم تزل تُعرَضُ عليه إلى أن غابت الشمس، ففاتته صلاة العصر، وكان مهيبًا لا يبتدِئُه أحدٌ بشيء، فلم يُذَكِّروه، ونسي هو، فلما غابت الشمس ذكرَ الصلاة. [٦٨٤/أ]

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٨٣) من رواية سفيان، عن أبيه، عن إبراهيم التيمي به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضًا (٧/ ١٧٨) للفريابي، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٨٢) من رواية ابن وهب، عن ابن زيد به.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٤٤).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٤٤).

﴿فَقَالَ إِنِّيَ أَحْبَبْتُ﴾: فتح الياء أهل الحجاز وأبو عمرو[١].

﴿حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: أنه المال، قاله سعيد بن جبير، والضحاك.

والثاني: حبُّ الخيل، قاله قتادة، والسدي.

والقولان يرجعان إلى معنًى واحدٍ؛ لأنه أراد بالخيرِ الخيلَ، وهي مالٌ.

وقال الفراء: العرب تسمِّي الخيل: الخير[٢].

قال الزجاج: وقد سمَّى رسول الله ﷺ زيد الخيل: زيد الخير[٣].

ومعنى ﴿أَحْبَبْتُ﴾ آثرتُ حبَّ الخير على ذكر ربي.

وكذلك قال غير الزجاج، عن بمعنى على.

وقال بعضهم: يحتمل المعنى فشغلني عن ذكر ربي.

قال أبو عبيدة: ومعنى الكلام أحببتُ حبًّا، ثم أضاف الحبَّ إلى الخير[٤].

وقال ابن قتيبة: سمَّى الخيل خيرًا لما فيها من الخير[٥].

والمفسرون على أنَّ المراد بذكر ربه: صلاة العصر، قاله علي، وابن

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٥٧)، والمبسوط (ص:٣٨٢)، والتيسير (ص:١٨٨).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤٠٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٣٠).

(٤) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٨٢).

(٥) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص:٩١).

مسعود، وقتادة في آخرين.

وقال الزجاج: لا أدري هل كانت صلاة العصر مفروضةً أم لا؟، إلَّا أنَّ اعتراضَهُ الخيلَ شغله عن وقتٍ كان يذكر الله فيه[1].

﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾.

وأهل اللغة يقولون: يعني الشمس، ولم يجرِ لها ذكرٌ، ولا أحسبهم أعطوا في هذا الفكر حقَّه؛ لأنَّ في الآية دليلاً على الشمس، وهو قوله: ﴿بِٱلْعَشِيِّ﴾ ومعناه: عُرِضَ عليه بعد زوال الشمس حتَّى توارت الشمس بالحجاب، ولا يجوز الإضمار، إلَّا أن يجريَ ذِكرٌ أو دليلُ ذِكرٍ، فيكون بمنزلة الذِّكر، وأمَّا الحجاب فهو ما يحجبها عن الأبصار.

قوله تعالى: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾.

قال المفسرون: لما شغله عرض الخيل عليه عن الصلاة، فصلَّاها بعد خروج وقتِها، اغتمَّ وغضب، وقال: ردُّوها عليَّ، يعني: أعيدوا الخيل عليَّ.

﴿فَطَفِقَ﴾ قال ابن قتيبة: أي: أقبلَ[2].

﴿مَسْحًا﴾ قال الأخفش: أي: يمسح مسحًا[3].

فأما السُّوق، ، مثل: دُور ودار.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٣١).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٣٧٩).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤٩٣).

وهمز «السُّؤق» ابن كثير[١].

قال أبو علي: وغيرُ الهمز أحسنُ منه[٢].

وقرأ أبو عمران الجوني، وابن محيصن: «بالسُّؤوق» مثل الرؤوس[٣].

وفي المراد بالمسح هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه ضربها بالسيف، وروى أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ قال: «**بالسَّيْفِ**»[٤].

وروى مجاهد عن ابن عباس قال: مسح أعناقها وسوقها بالسيف[٥].

وقال الحسن، وقتادة، وابن السائب: قطع أعناقها وسوقها[٦]، وهذا

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٥٣)، والحجة (٦/ ٦٨)، والمبسوط (ص:٣٣٣)، والتيسير (ص:١٦٨)، والمحرر الوجيز (٤/ ٥٠٤)، والتحصيل (٥/ ٤٩٣).

(٢) انظر: الحجة (٦/ ٦٨).

(٣) في المحرر الوجيز (٤/ ٥٠٤) نسبها لابن محيصن.

(٤) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٦٩٩٧) من رواية سعيد بن بشير، عن قتادة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ قال: «**قَطَعَ أَعْنَاقَهَا وَسُوقَهَا**».
قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن قتادة إلا سعيد بن بشير».
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٩٩): «وفيه سعيد بن بشير وثقه شعبة وغيره وضعفه ابن معين وغيره، وبقية رجاله ثقات».

(٥) لم نقف عليه، والوارد عن ابن عباس في تفسير الآية عند الطبري (٢٠/ ٨٧) من رواية علي بن أبي طلحة، عنه أنه قال: «جَعَلَ يَمْسَحُ أَعْرَافَ الْخَيْلِ وَعَرَاقِيبَهَا: حُبًّا لَهَا».

(٦) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٥/ ٩٣)،

اختيار السدي[١]، ومقاتل[٢]، والفراء[٣]، وأبي عبيدة[٤]، والزجاج[٥]، وابن قتيبة[٦]، وأبي سليمان الدمشقي، والجمهور.

والثاني: أنَّه جعل يمسح أعرافَ الخيل وعراقيبَها حبًّا لها، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٧].

وقال مجاهد: مسحها بيده، وهذا اختيار ابن جرير[٨]، والقاضي أبو[٩] يعلى.

والثالث: أنَّه كوى سُوقَها وأعناقَها، وحبَسَها في سبيل الله تعالى، حكاه الثعلبي[١٠].

والمفسِّرون على القول الأول.

وقد اعترضوا على القول الثاني، وقالوا: أيُّ مناسبة بين شغلها إيَّاه عن الصلاة وبين مسحِ أعرافِها حبًّا لها، ولا أعلم.

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٨٦) من رواية أسباط، عن السدي به.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٤٤).

(٣) انظر: التفسير الوسيط؛ للواحدي (٣/ ٥٥٢).

(٤) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٨٣).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٣١).

(٦) انظر: غريب القرآن (ص:٣٧٩).

(٧) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٨٧).

(٨) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٨٧).

(٩) هكذا في الأصل و(ر).

(١٠) انظر: الكشف والبيان (٨/ ٢٠١).

قوله: «حبًّا لها» يَثبتُ عن ابن عباس. [٦٨٤/ ب]

وحملوا قول مجاهد: مسحَها بيده، أي: تولَّى ضرب أعناقها.

فإن قيل: فالقول الأوَّل يَفسدُ بأنَّه لا ذَنْبَ للحيوان، فكيف وجَّه العقوبةَ إليه، وقصد التَّشفِّي بقتله، وهذا يشبه فعل الجبَّارين لا فعل الأنبياء؟

فالجواب: أنَّه لم يكن ليفعلَ ذلك إلَّا وقد أُبيحَ له، وجائزٌ أن يُباحَ له ما يُمنَعُ منه في شرعنا، على أنَّه إذا ذبحَها كانت قربانًا، وأكلُ لحمِها جائزٌ، فما وقعَ تفريط.

قال وهب بن منبه: لما ضرب سُوقَها وأعناقَها شكر الله تعالى له ذلك، فسخَّر له الريحَ مكانَها، وهي أحسنُ في المنظر، وأسرعُ في السير، وأعجبُ في الأحدوثة[1].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ أي: ابتليناه وامتحنَّاه بسلب ملكه، ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ﴾ أي: على سريره ﴿جَسَدًا﴾ وفيه قولان:

أحدهما: أنَّه شيطانٌ، قاله ابن عباس، والجمهور.

وفي اسم ذلك الشيطان ثلاثة أقوال:

أحدها: صخر، رواه العوفي عن ابن عباس.

وذكر العلماء أنَّه كان شيطانًا مريدًا لم يُسخَّرْ لسليمان.

والثاني: آصف، قاله مجاهد، إلَّا أنَّه ليس بالمؤمن الذي عنده الاسم

---

(١) لم نقف عليه.



الأعظم، إلَّا أنَّ بعض ناقلي التفسير حكى أنَّه آصف الذي عنده علمٌ من الكتاب، وأنَّه لما فُتِنَ سليمان سقطَ الخاتم من يده فلم يَثْبُتْ، فقال آصف: أنا أقومُ مقامكَ إلى أن يتوبَ الله عليك، فقام في مقامه وسار بالسيرة الجميلة، هذا لا يصحُّ ولا ذكرَهُ من يُوثَقُ به.

والثالث: حبقيق، قاله السدي، والمعنى: أجلَسْنَا على كُرسيِّهِ في مِلْكِهِ شيطانًا.

﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ أي: رجع.

وفيما رجع إليه قولان:

أحدهما: تابَ من ذنبه، قاله قتادة.

والثاني: رجعَ إلى ملكه، قاله الضحاك.

وفي سبب ابتلاء سليمان بهذا خمسة أقوال:

أحدها: أنَّه كانت له امرأةٌ يقال لها: جرادة، وكان بينَ بعض أهلها وبين قومٍ خصومةٌ، فقضى بينهم بالحقِّ، إلا أنَّه ودَّ أنَّ الحقَّ كان لأهلها، فعُوقِبَ حين لم يكنْ هواهُ فيهم واحدًا، وأوحى الله تعالى إليه أنَّه سيصيبُكَ بلاءٌ، فكان لا يدري أيأتيهِ من السماء أو من الأرض، رواه سعيد بن جبير عن ابن عبَّاس.

والثاني: أنَّ زوجته جرادة كانت آثرَ النساء عندَهُ، فقالت له يومًا: إن أخي بينه وبين فلانٍ خصومةٌ، وإنِّي أحبُّ أن تقضيَ له، فقال: نعم، ولم يفعلْ، فابتُلِيَ لأجْلِ ما قال، قاله السدي.

والثالث: أنَّ زوجتَهُ جرادة كان قد سباها في غزاةٍ له، وكانت بِنتَ ملكٍ فأسْلَمتْ، وكانت تبكي عندَهُ بالليل والنهار، فسألَها عن حالِها، فقالت: أَذْكُرُ أبي وما كنتُ فيه، فلو أنَّك أمرْتَ الشياطينَ فصوَّرُوا صورتَهُ في داري فأتسلَّى بها، ففعل، فكانت إذا خرجَ سليمانُ تسجدُ له هي وولائدُها أربعينَ صباحًا، فلما عَلِمَ سليمانُ كسرَ تلكَ الصورةَ، وعاقب المرأةَ وولائدَها، ثمَّ تضرَّع إلى الله تعالى مستغفرًا ممَّا كان في داره، فسُلِّطَ الشيطانُ على خاتمه، هذا قول وهب بن منبه.

والرابع: أنَّه احتجبَ عن الناس ثلاثةَ أيَّامٍ، فأوحى الله تعالى إليه: [٦٨٥/أ] يا سليمانُ احتجبْتَ عن الناس ثلاثةَ أيَّامٍ، فلم تنظرْ في أمور عبادي، ولم تُنصِفْ مظلومًا من ظالمٍ، فسلَّطَ الشيطانَ على خاتَمِهِ، قاله سعيد بن المسيب.

والخامس: أنه قاربَ امرأةً من نسائه في الحيضِ أو غيره، قاله الحسن.

والقول الثاني: أنَّ المرادَ بالجسد الذي أُلقِيَ على كرسيِّهِ أنَّه وُلِدَ له وَلدٌ، فاجتمعت الشياطين، فقال بعضُهم لبعضٍ: إن عاشَ له ولدٌ لم ننفكَّ من البلاء، فسبيلُنا أنْ نقتُلَ ولدَهُ أو نَخبِلَهُ، فعلم بذلك سليمانُ، فأمرَ السحابَ فحملَهُ، وعدا ابنه في السحاب خوفًا من الشياطين، فعاتبَهُ الله تعالى على تخوُّفه من الشياطين، ومات الولدُ فأُلقِيَ على كُرسيِّه ميتًا جسدًا، قاله الشعبي.

والمفسِّرون على القول الأوَّل.



ونحن نذكر قصة ابتلائه على قول الجمهور.

الإشارة في ذلك

اختلف العلماء في كيفيَّة ذهاب خاتم سليمان على قولين:

أحدهما: أنَّه كان جالسًا على شاطئ البحر، فوقعَ منه في البحر، قاله علي رضي الله عنه.

والثاني: أنَّ[1] شيطانًا أخذه.

وفي كيفية ذلك أربعة أقوال:

أحدها: أنَّه دخل ذات يوم الحمَّام، ووضع الخاتمَ تحت فراشه، فجاء الشيطان فأخذَهُ وألقاه في البحر، وجعلَ الشيطانُ يقول: أنا نبيُّ الله، قاله سعيد بن المسيب.

والثاني: أنَّ سليمانَ قال للشيطان: كيف تفتِنُونَ الناس؟ قال: أرني خاتمَكَ أخبِرْكَ، فأعطاه إيَّاه، فنبذَهُ في البحر، فذهب ملك سليمانَ، وقعد الشيطانُ على كرسيِّه، قاله مجاهد.

والثالث: أنَّه دخل الحمَّام، ووضع خاتمه عند أوثق نسائه في نفسه، فأتاها الشيطان فتمثَّل لها في صورة سليمانَ، وأخذَ الخاتمَ منها، فلمَّا خرج سليمانُ، طلبَهُ منها، فقالت: قد دفعتُهُ إليكَ، فهربَ سليمانُ، وجاء الشيطانُ فجلسَ على ملكه، قاله سعيد بن جبير.

والرابع: أنَّه دخل الحمَّامَ، وأعطى الشيطانَ خاتمَهُ، فألقاه الشيطانُ في

---

(١) ليست في (ر).

البحر، فذهبَ ملكُ سليمانَ، وألقي على الشيطان شبهه، قاله قتادة.

فأمَّا قصَّة الشيطان: فذكر أكثر المفسرين أنَّه لمَّا أخذَ الخاتمَ رمى به في البحر، وألقي عليه شبهُ سليمانَ، فجلس على كرسيِّهِ، وتحكَّمَ في سلطانه[1].

وقال السدي: لم يُلقِهِ في البحر حتَّى فرَّ من مكان سليمان[2].

وهل كان يأتي نساءَ سليمان؟ فيه قولان:

أحدهما: أنه لم يقدِرْ عليهنَّ، قاله الحسن، وقتادة.

والثاني: أنَّه كان يأتيهِنَّ في زمن الحيض فأنكرنَهُ، قاله سعيد بن المسيب، والأوَّل أصحُّ.

قالوا: وكان يقضي بقضايا فاسدةٍ، ويحكم بما لا يجوزُ، فأنكره بنو إسرائيل، فقال بعضُهم لبعضٍ: إمَّا أن تكونوا قد هلكتم أنتم، وإمَّا أنْ يكون مَلِكُكم قد هلكَ، فاذهبوا إلى نسائِهِ فاسألوهُنَّ، فذهبوا، فقُلنَ: إنَّا والله قد أنكرنا ذلك، فلم يزلْ على حاله إلى أن انقضى أوانُ البلاء.

وفي كيفيَّة بُعدِ الشيطان عن مكان سليمانَ أربعةُ أقوال: [٦٨٥/ ب]

أحدها: أنَّ سليمانَ وجد خاتمَهُ، فتختَّم به، ثمَّ جاء فأخذ بناصية الشيطان، قاله سعيد بن المسيب.

---

(١) في (ر): (وتحكم بملكه).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٩١) من رواية أسباط، عن السدي.



والثاني: أنَّ سليمانَ لَمَّا رجع إلى ملكه وجاءته الريح والطير والشياطين، فرَّ الشيطانُ حتَّى دخل البحرَ، قاله مجاهد.

والثالث: أنه لما مضى أربعون يومًا، طار الشيطان من مجلسه، قاله وهب.

والرابع: أنَّ بني إسرائيل لما أنكروه، أتوه فأحدقوا به، ثمَّ نشروا التوراةَ فقرؤوا فطارَ بين أيديهم، حتَّى ذهبَ إلى البحر، فوقع الخاتَمُ منه في البحر، فابتلعَهُ حوتٌ، قاله السدي.

وفي قدر مُكثِ الشيطان قولان:

أحدهما: أربعون يومًا، قاله الأكثرون.

والثاني: أربعةَ عشرَ يومًا، حكاه الثعلبي[١].

وأمَّا قصة سليمان ﷺ: فإنَّه لما[٢] سُلِبَ خاتمه ذهب ملكه، فانطلقَ هاربًا في الأرض.

قال مجاهد: كان يَستطعِمُ فلا يُطعَمُ، فيقول: لو عرفتموني أعطيتموني أنا سليمان، فيطردونه حتَّى أعطتْهُ امرأةٌ حوتًا، فوجدَ خاتمَهُ في بطن الحوت[٣].

وقال سعيد بن جبير: انطلق سليمان حتَّى أتى ساحل البحر

---

(١) انظر: الكشف والبيان (٨/ ٢٠٥).

(٢) ليست في (ر).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٨٨) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به، وهو في تفسير مجاهد (ص:٥٧٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضًا (٧/ ١٨١) لعبد بن حميد، وابن المنذر.

فوجد صيادين قد صادوا سمكًا كثيرًا، وقد أنتنَ عليهم بعضُه، فأتاهم يَستَطْعِمُ[١]، فقالوا: اذهب إلى تلك الحيتان فخُذْ منها، فقال: لا، أطعِمُوني من هذا، فأبَوا عليه، فقال: أطعِمُوني فإنِّي سليمانُ، فوثب إليه رجلٌ منهم فضربه بالعصا غضبًا لسليمانَ، فأتى تلك الحيتانَ، فأخذَ منها شيئًا، فشقَّ بطنَ حوتٍ فإذا هو بالخاتم[٢].

وقال الحسن: ذُكِرَ لي أنَّه لم يُؤوِهِ أحدٌ من الناس، ولم يُعْرَفْ أربعين ليلةً، وكان يأوي إلى امرأةٍ مسكينةٍ، فبينا هو يومًا على شطِّ نهرٍ وجدَ سمكَةً، فأتى بها المرأةَ، فشقَّتْها فإذا بالخاتم[٣].

وقال الضحاك: اشترى سمكةً من امرأةٍ، فشقَّ بطنَها، فوجدَ خاتمه[٤].

وفي المدة التي سُلِب فيها الملكَ قولان[٥]:

أحدهما: أربعون ليلةً، كما ذكرنا عن الحسن.

والثاني: خمسونَ ليلةً، قاله سعيد بن جبير.

---

(١) في (ر): (يطعم).

(٢) لم نقف عليه من كلام سعيد بن جبير، وقد روى عبد الرزاق في تفسيره (٢٥٩٦) من رواية سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: «شيطان أخذ خاتم سليمان الذي فيه ملكه فقذف به في البحر فوقع في بطن سمكة، فانطلق سليمان يطوف إذ تصدق عليه بتلك السمكة، فاشتراها فأكلها، فإذا فيها خاتمه فرجع إليه ملكه».

(٣) لم نقف عليه.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٩٣) من رواية جويبر، عن الضحاك به.

(٥) في الأصل، و(ر): (وفي المرأة التي سكت فيها الملك قولان)!، والمثبت من جميع النسخ المطبوعة.



قال المفسِّرون: فلما جعل الخاتم في يده، ردَّ الله عليه بهاءه وملكه، فأظلَّته الطير، وأقبلَ لا يستقبلُه جنيٌّ ولا طائرٌ ولا حجَرٌ ولا شجرٌ إلَّا سجدَ له، حتَّى انتهى إلى منزِله.

قال السدي: ثم أرسلَ إلى الشيطان، فجيءَ به، فأمرَ به، فجعل في صندوقٍ من حديدٍ، ثم أطبقَ عليه، وأُقفِلَ وختمَ عليه بخاتمه، ثمَّ أمرَ به فأُلقِيَ في البحر، فهو فيه إلى أن تقومَ الساعة[1].

وقال وهب: جابَ صخرةً، فأدخلَهُ فيها، ثمَّ أوثقَها بالحديد والرصاص، ثمَّ قذفَهُ في البحر[2].

قوله تعالى: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾.

فتح الياء نافع وأبو عمرو[3].

وفيه قولان:

أحدهما: لا يكون لأحدٍ بعدي، قاله مقاتل[4]، وأبو عبيدة[5].

وقد أخرج البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ البَارِحَةَ، لِيَقْطَعَ**

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٩١-٩٢) من رواية أسباط، عن السدي به.

(٢) لم نقف عليه.

(٣) انظر: السبعة (ص:٥٥٧)، والمبسوط (ص:٣٨٢)، والتيسير (ص:١٨٨).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٤٦).

(٥) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٨٣).

عَلَيَّ صَلَاتِي فَأَمْكَنَنِي اللهُ مِنْهُ فَأَخَذْتُهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ [٦٨٦/أ] ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ فَرَدَدْتُهُ خَاسِئًا»[١].

والثاني: لا ينبغي لأحدٍ أن يسلبَهُ منِّي في حياتي، كما فعل الشيطان الذي جلسَ على كرسيِّه، قاله الحسن، وقتادة.

وإنَّما طلب هذا المِلكَ ليعلمَ أنَّه قد غُفِرَ له، ويعرفَ منزلته بإجابة دعوته، قاله الضحاك.

ولم يكن في ملكه حين دعا بهذا الريحُ ولا الشياطين.

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾[٢]: وقرأ أبو الجوزاء، وأبو جعفر، وأبو المتوكل: «الرِّياح» على الجمع[٣].

قوله تعالى: ﴿رُخَآءً﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: مطيعة، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، والضحاك.

والثاني: أنها الطيبة، قاله مجاهد.

والثالث: اللينة مأخوذ من الرخاوة، قاله اللغويون.

---

(١) رواه البخاري (٤٦١) ومواضع أخرى، ومسلم (٥٤١).

(٢) قوله: (ولا الشياطين)... إلى هنا، سقط من (ر).

(٣) في البحر المحيط (٩/ ١٥٧) نسبها للحسن، وأبي رجاء، وقتادة، وأبي جعفر.

فإن قيل: كيف وصفَها بهذا بعد أن وصفَها في سورة الأنبياء[١] بأنَّها عاصفة؟

فالجواب: أنَّ المفسرين قالوا: كان يأمر العاصف تارةً، ويأمر الرخاء أخرى.

وقال ابن قتيبة: كأنَّها كانت تشتدُّ إذا أراد، وتلين إذا أراد[٢].

قوله تعالى: ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أي: حيث قصد وأراد.

قال الأصمعي: تقول العرب: أصاب فلان الصواب فأخطأ الجواب، أي: أراد الصواب[٣].

قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّيَـٰطِينَ﴾ أي: وسخَّرنا له الشياطين.

﴿كُلَّ بَنَّآءٍ﴾ يبنون له ما يشاء.

﴿وَغَوَّاصٍ﴾ يغوصون له في البحار فيستخرجون الدُّرَّ.

﴿وَءَاخَرِينَ﴾ أي: وسخَّرنا له آخرين، وهم مردة الشياطين، سخَّرهم له، حتَّى قرنهم في الأصفاد لكُفرِهم.

قال مقاتل: أوثقهم في الحديد[٤].

وقد شرحنا معنى ﴿مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ في سورة نبيِّ الله إبراهيم عليه السلام[٥].

---

(١) انظر: تفسير سورة الأنبياء الآية رقم (٨١).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٢٨٧).

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٥/ ٩٩)، والواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٥٦).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٤٧).

(٥) انظر: تفسير سورة إبراهيم الآية رقم (٤٩).

﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا ﴾ المعنى: قلنا له: هذا عطاؤنا.

وفي المشار إليه قولان:

أحدهما: أنه جميع ما أعطي، ﴿ فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ ﴾ أي: أعط من شئت من المال، وامنع من شئت.

والمنُّ: الإحسان إلى من لا يطلب ثوابه.

والثاني: أنه إشارة إلى الشياطين المسخَّرين له، فالمعنى: فامنن على من شئت بإطلاقه، وأمسك من شئت منهم، وقد روي معنى القولين عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾.

قال الحسن: لا تبعة عليك في الدنيا ولا في الآخرة[1].

وقال سعيد بن جبير: ليس عليك حساب يوم القيامة[2].

وقيل: في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: هذا عطاؤنا بغير حسابٍ، فامنُنْ أو أمسك.

وما بعد هذا قد سبق تفسيره[3] إلى قوله: ﴿ مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ وذلك أنَّ الشيطان سُلِّطَ عليه، فأضافَ ما أصابه إليه.

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ٢١١)، والماوردي في النكت والعيون (٥/ ١٠٠).

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٥/ ١٠٠).

(٣) انظر: تفسير سورة الرعد الآية رقم (٢٩)، وتفسير سورة الأنبياء الآية رقم (٨٣)، وتفسير سورة سبأ الآية رقم (٣٧).

قوله تعالى: ﴿بِنُصْبٍ﴾.

قرأ الأكثرون بضم النون وسكون الصاد[١].

وقرأ الحسن، وابن أبي عبلة، وابن السميفع، والجحدري، ويعقوب: بفتحهما[٢].

وهل بينهما فرق؟ فيه قولان:

أحدهما: أنهما سواء.

قال الفراء[٣]: هما كالرُّشْد والرَّشَد، والعُدْم والعَدَم، والحُزْن والحَزَن، وكذلك قال ابن قتيبة[٤]، والزجاج[٥].

وقال المفسرون: والمراد بالنُّصب: الضُّرُ الذي أصابه.

والثاني: أنَّ النُّصْب بتسكين الصاد: الشرُّ، وبتحريكها: الإِعياء، قاله أبو عبيدة[٦].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٥٤)، والحجة (٦/ ٧٠)، والمبسوط (ص:٣٨٠)، والمحرر الوجيز (٤/ ٥٠٧).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٣٠) نسبها للجحدري، والسدي، ويعقوب بن إسحاق، وفي التحصل (٥/ ٤٩٣) نسبها للحسن، والجحدري، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٥٠٧) قال: «وقرأ هبيرة عن حفص عن عاصم: «بنَصَب» بفتح النون والصاد، وهي قراءة الجحدري ويعقوب، ورويت عن الحسن وأبي جعفر»، وفي المبسوط (ص:٣٨٠) نسبها ليعقوب.

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤٠٦).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:٣٨٠).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٣٤).

(٦) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٨٤).

وقـرأت عائشـة، ومجاهـد، وأبـو عمـران، وأبـو جعفـر، وشـيبة، وأبـو عـمارة عـن حفـص: «بنُصُـب» بضـم النـون والصـاد جميعـاً[١]. [٦٨٦/ ب]

وقـرأ أبـو عبـد الرحمـن السـلمي، وأبـو الجـوزاء، وهبـيرة بـن حفـص: «بنَصْـب» بفتـح النـون وسـكون الصـاد[٢].

وفي المراد بالعذاب قولان:

أحدهما: أنَّه العذاب الذي أصاب جسده.

والثاني: أنَّه أَخْذُ ماله وولده وأهله.

قولـه تعـالى: ﴿ٱرْكُضْ﴾ أي: اضرب الأرض ﴿بِرِجْلِكَ﴾ ومنـه: ركضـت الفـرس فركـض، فنبعـت عين مـاءٍ، فذلـك قولـه ﷻ: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾.

قال ابن قتيبة: المغتسَلُ الماء، وهو الغسول أيضًا[٣].

قـال الحسـن: ركـض برجله، فنبعـت عينٌ، فاغتسـل منهـا، ثم مشـى نحوًا مـن أربعـين ذراعًا، ثم ركـضَ برجلـه، فنبعَـتْ عـينٌ، فـشرب منها[٤].

---

(١) في مختصر ابـن خالويـه (ص:١٣٠) نسبها لأبي جعفـر، والحسـن، وفي التحصيـل (٥/ ٤٩٤) نسـبها لأبي عـمارة عـن حفـص، وهـارون عـن حسـين، عـن أبي بكـر، عـن عاصـم، ورُوي ذلـك عـن أبي جعفـر بن القعقـاع، وعيسـى الثقفي، وغيرهمـا، وفي المحـرر الوجيـز (٤/ ٥٠٧) قـال: «وقـرأ أبـو عـمارة عـن حفـص عـن عاصـم: «بنُصُـب» بضـم النـون والصـاد، وهـي قـراءة أبي جعفـر بـن القعقـاع والحسـن بخـلاف عنـه».

(٢) قراءة يعقوب كما في السبعة لابن مجاهد (ص: ٥٥٧) والتيسير للداني (ص: ١٨٨) بفتحهما.

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٣٨٠).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ١٠٨) من رواية أبي هلال، عن الحسن به.



وعلى هذا جمهور العلماء أنّه ركض ركضتين، فنبعت له عينان، فاغتسل من واحدةٍ، وشرب من الأخرى.

قوله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ كان قد حلف لئن شفاه الله ليجلدنَّ زوجتَهُ مائة جلدة.

وفي سبب هذه اليمين ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّ إبليسَ جلس في طريق زوجة أيُّوبَ كأنّه طبيبٌ، فقالت له: يا عبدَ الله إن هاهنا إنسانًا مُبتلًى، فهل لك أن تداوِيَهُ؟ قال: نعم، إن شاء شفيتُه على أن يقولَ إذا برأ: أنتَ شَفَيتَنِي. فجاءَتْ فأخبرَتْهُ، فقال: ذاكَ الشيطان، لله عليَّ إن شفاني أن أجلدَكِ مائةَ جلدةٍ، رواه يوسف بن مهران عن ابن عبَّاس.

والثاني: أنَّ إبليسَ لقيَها، فقال: إنِّي أنا الذي فعلتُ بأيُّوبَ ما به، وأنا إله الأرض، وما أخذتُهُ منه فهو بيدي، فانطلِقي أُرِيكِ، فمشى بها غيرَ بعيدٍ، ثمَّ سحرَ بصرَها، فأراها واديًا عميقًا فيه أهلُها وولدُها ومالُها، فأتتْ أيُّوبَ فأخبرَتْهُ، فقال ذاكَ الشيطانُ: ويحَكِ، كيف وعى قولَهُ سمعُكِ، والله لئن شفاني الله ﷻ لأجلدنَّكِ مائةً، قاله وهب بن منبه.

والثالث: أنَّ إبليسَ جاء إلى زوجته بسخلةٍ، فقال: ليذبحْ لي هذه وقد برأَ، فأخبرَتْهُ فحلفَ ليجلدنَّها، وقد ذكرنا هذا القولَ في سورة الأنبياء[1] عن الحسن.

---

(١) انظر: تفسير سورة الأنبياء الآية رقم (٨٣).

فأمَّا الضغث فقال الفرَّاء: هو كلُّ ما جمعتَهُ من شيءٍ مثل الحزمة الرطبة، قال: وما قام على ساقٍ واستطالَ ثمَّ جمعتَهُ فهو ضِغثٌ[١].

وقال ابن قتيبة: هو الحزمة من الخلال والعيدان[٢].

قال الزجاج: هو الحزمة من الحشيش والريحان وما أشبهه[٣].

قال المفسرون: جزى الله زوجته بحُسنِ صَبرِها أنْ أفتاهُ في ضربِها، فسهَّل الأمرَ، فجمع لها مائةَ عودٍ، وقيل: مائةَ سنبلةٍ، وقيل: كانت أسلا، وقيل: من الإذخر، وقيل: كانت شماريخ فضربها بها ضربةً واحدةً، ولم يحنَثْ في يمنيه.

وهل ذلك خاصٌّ له أم لا؟ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه عامٌّ، وبه قال ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، وابن أبي ليلى.

والثاني: أنَّه خاصٌّ لأيُّوبَ، قاله مجاهد.

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤٠٦).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٣٨١).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٣٥).

فصل

وقد اختلف الفقهاءُ فيمن حلف أن يضربَ عبدَهُ عشرةَ أسواط، فجمعها كلَّها، وضربَهُ بها ضربةً واحدةً، فقال مالك والليث بن سعد: لا يبرُّ، وبه قال أصحابنا.

وقال أبو حنيفة والشافعي: إذا أصابه في الضربة الواحدة كلُّ واحدٍ منها فقد بَرَّ، واحتجُّوا بعموم قصَّةِ أيُّوبَ عليه الصلاة والسلام.

[٦٨٧/أ] قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ أي: على البلاء الذي ابتليناهُ به.

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾[ص: ٤٥-٥٤].

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ﴾.

وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وحميد، وابن مُحَيصنٍ، وابن كثير: «عبدَنا»[1] إشارة إلى إبراهيم، وجعلوا إسحاقَ ويعقوبَ عطفًا عليه، لأنَّه الأصلُ، وهما ولداه.

(١) في التحصيل (٥/ ٥٠٥) نسبها لابن كثير، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٥٠٨)، والبحر المحيط (٩/ ١٦٣) كلاهما نسبها لابن كثير، وابن عباس، وأهل مكة.

والمعنى: اذكر صبرَهم فإبراهيمُ ألقي في النار، وإسحاق أُضجِعَ للذبح، ويعقوب صبرَ على ذهاب بصره، وابتُلِيَ بفقد ولده، ولم يُذكَرْ إسماعيلُ معهم؛ لأنَّه لم يُبتلَ كما ابتُلُوا.

﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِى﴾ يعني القوَّة في الطاعة ﴿وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ البصائر في الدين والعلم.

قال ابن جرير: وذِكْرُ الأيدي مَثَلٌ، وذلك لأنَّ باليد البطش، وبالبطش تُعرَفُ قوَّةُ القويِّ، فلذلك قيل للقوي: ذو يدٍ، وعنى بالبصر بصرَ القلب، وبه تُنالُ معرفة الأشياء[1].

وقرأ ابن مسعود، والأعمش، وابن أبي عبلة: «أُولي الأيدِ» بغير ياءٍ في الحالين[2].

قال الفراء: ولها وجهان:

أحدهما: أن يكونَ القارئ لهذا أراد الأيديَ، فحذف الياء، وهو صوابٌ مثل الجوار والمناد.

والثاني: أن يكونَ من القوة والتأييد، من قوله: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة:٨٧][3].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ١١٦).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٣١) نسبها للأعمش، والحسن، وفي التحصيل (٥/ ٥٠٥)، والمحتسب (٢/ ٢٣٣) كلاهما نسبها للحسن، وعيسى الثقفي، والأعمش، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٥٠٩) نسبها للحسن، والثقفي، والأعمش، وابن مسعود.

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤٠٦-٤٠٧).

قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم ﴾ أي: اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصين، فأفردناهم بمفردةٍ من خصال الخير، ثمَّ أبانَ عنها بقوله: ﴿ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾.

وفي المراد بالدار هاهنا قولان:

أحدهما: الآخرة.

والثاني: الجنة.

وفي الذكرى، قولان:

أحدهما: أنَّها من الذكر، فعلى هذا يكون المعنى: أخلصناهم بذكر الآخرة، فليس لهم ذِكرٌ غيرها، قاله مجاهد، وعطاء، والسدي.

وكان الفضيل بن عياض رحمة الله عليه يقول: هو الخوف الدائم في القلب[1].

والثاني: أنَّها التذكير.

فالمعنى: أنَّهم يدعون الناس إلى الآخرة، وإلى عبادة الله تعالى، قاله قتادة.

وقرأ نافع: «بخالصةِ ذِكْرَى الدَّارِ» فأضاف «خالصة» إلى «ذِكْرَى الدار»[2].

قال أبو علي: تحتمل قراءة من نوَّن وجهين:

أحدهما: أن تكونَ «ذكرى» بدلاً من «خالصة»، والتقدير: أخلصناهم بذكرِ الدار.

---

(١) ذكره مكي في الهداية (١٠/ ٦٢٦٩).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٥٤)، والحجة (٦/ ٧١)، والمبسوط (ص:٣٨١)، والمحرر الوجيز (٤/ ٥٠٩)، والتحصيل (٥/ ٥٠٥).

والثاني: أن يكونَ المعنى: أخلصناهم بأن يذكُروا الدَّار بالتأهُّب للآخرة والزُّهد في الدنيا.

ومن أضاف، فالمعنى: أخْلَصْناهم بإخلاصهم ذِكْرى[١] بالخوف منها[٢].

وقال ابن زيد: أخلصناهم بأفضلِ ما في الجنَّة[٣].

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ﴾ أي: من الذين اتَّخذهم الله صفوةً فصفَّاهم من الأدناس، ﴿ٱلْأَخْيَارِ﴾ الذين اختارهم.

﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ أي: اذكرهم بفضلهم وصبرهم لتسلُكَ طريقهم، واليسعُ نبيٌّ، واسمه أعجميٌّ مُعرَّبٌ، وقد ذكرناه في الأنعام[٤]، وشرحنا في سورة الأنبياء[٥] قصة ذي الكفل، وتكلَّمنا في البقرة[٦] في اسم إسماعيل، وزعم مقاتلٌ أن إسماعيلَ هذا ليس بابن إبراهيم[٧].

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ أي: شرفٌ وثناءٌ جميلٌ، يُذكَرون به أبدًا.

﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ أي: حسنُ مرجعٍ يرجعون إليه في الآخرة.

---

(١) هكذا في الأصل، و(ر)، وفي الحجة: (ذكرى الدار).

(٢) انظر: الحجة (٦/ ٧٢).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ١١٨) من رواية ابن وهب، عن ابن زيد به.

(٤) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٨٦).

(٥) انظر: تفسير سورة الأنبياء الآية رقم (٨٥).

(٦) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٢٥).

(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٤٩).



ثم بيَّن ذلك المرجع، فقال: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾.

[٦٨٧/ب] قال الفراء: إنَّما رفعت الأبواب؛ لأنَّ المعنى: مفتحةً لهم أبوابُها، والعرب تجعل الألف واللام خلفًا من الإضافة، فيقولون: مررتُ على رجل حسنُ العين وقبيحُ الأنف، والمعنى: حسنةٌ عينُه قبيحٌ أنفُه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات:٣٩] والمعنى: مأواه(١).

وقال الزجاج: المعنى مفتحةً لهم الأبواب منها، فالألف واللام للتعريف لا للبدل(٢).

قال ابن جرير: والفائدة في ذكر تفتيح الأبواب أنَّ الله ﷻ أخبر عنها أنَّ أبوابَها تفتح لهم بغير فتحِ سكانها لها بيدٍ، ولكن بالأمر(٣).

قال الحسن: هي أبوابٌ تُكَلَّمُ، فتكَلَّمُ: انْفَتِحِي، انْغَلِقِي(٤).

قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ قد مضى بيانه في الصافَّات(٥).

قال الزجاج: والأتراب: اللواتي أسنانُهنَّ واحدةٌ، وهنَّ في غاية الشباب والحُسنِ(٦).

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤٠٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٣٧).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ١٢٢).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ١٢٢) من رواية ابن دُعيج، عن الحسن به.

(٥) انظر: تفسير سورة الصافات الآية رقم (٤٨).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٣٨).

قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ ﴾.

قرأ أبو عمرو، وابن كثير، بالياء، والباقون بالتاء[١].

قوله تعالى: ﴿لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ اللام بمعنى في.

و«النفاد»: الانقطاع.

قال السدي: كلما أُخِذَ من رزق الجنَّة شيءٌ، عاد مثلُه[٢].

قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾[ص: ٥٥-٦٦].

قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا ﴾ المعنى: هذا الذي ذكرناه ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ يعني الكافرين ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾، ثم بيَّن ذلك بقوله: ﴿ جَهَنَّمَ ﴾ و﴿ٱلْمِهَادُ﴾: الفراش.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٥٥)، والحجة (٦/ ٧٧)، والمبسوط (ص:٣٨١)، والمحرر الوجيز (٤/ ٥١٠)، والتحصيل (٥/ ٥٠٥).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ١٢٥) من رواية أسباط، عن السدي به.

﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ ﴾: قال الفراء[١]: في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ تقديره: هذا حميمٌ وغسَّاقٌ فليذوقوه، وإن شئتَ جعلتَ الحميمَ مستأنفًا، كأنَّك قلت: هذا فليذوقوه، ثمَّ قلتَ: منه حميمٌ ومنه غسَّاقٌ.

كقول الشاعر[٢]: [من البسيط]

حتَّى إِذَا مَا أَضَاءَ الصُّبْحُ فِي غَلَسٍ وَغُودِرَ البَقْلُ مَلْوِيٌّ وَمَحْصُودُ

فأمَّا الحميم، فهو الماء الحارُّ.

وأمَّا «الغسَّاق»، ففيه لغتان:

قرأ حمزة، والكسائيُّ، وخلف، وحفص: بالتشديد، وكذلك في «عَمَّ يَتَسَاءَلُون»، تابعهم المفضَّلُ في «عَمَّ يتساءلون».

وقرأ الباقون بالتخفيف[٣].

وفي «الغسَّاق» أربعة أقوال:

أحدها: الزمهرير، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاس.

وقال مجاهد: الغسَّاق لا يستطيعون أن يذوقوه من بَرْدِ[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤١٠).

(٢) بلا نسبة في معاني القرآن (٢/ ٤١٠)، وتفسير الطبري (٢٠/ ١٢٦)، والكشف والبيان؛ للثعلبي (٨/ ٢١٣)، والبحر المحيط، لأبي حيان (٩/ ١٦٨).

(٣) انظر: السبعة (ص:٥٥٥)، والحجة (٦/ ٧٧)، والمبسوط (ص:٣٨١)، والتيسير (ص:١٨٨)، والمحرر الوجيز (٤/ ٥١١)، والتحصيل (٥/ ٥٠٥).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٣١) من رواية ليث، عن مجاهد به.

والثاني: أنَّه ما يجري من صديد أهل النار، رواه الضحاك عن ابن عبَّاس، وبه قال عطيَّة، وقتادة، وابن زيد.

والثالث: أنَّ الغسَّاقَ عينٌ في جهنَّم يسيلُ إليها حُمَةُ كُلِّ ذاتِ حُمَةٍ من حيَّةٍ أو عقربٍ أو غيرِها، فَيُستَنْقَعُ، فيُؤتَى بالآدميِّ، فَيُغْمَسُ فِيهَا غَمْسَةً، فيَخرُجُ وقد سقطَ جِلدُهُ ولحمهُ عن العظام، ويجرُّ لحمَهُ جرَّ الرجل ثوبَه، قاله كعب.

والرابع: أنَّه ما يسيل من دموعهم، قاله السدي.

قال أبو عبيدة: الغسَّاقُ ما سال، يقال: غسقَتِ العينُ والجرح[1].

وقرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ اللغويِّ عن ابن قتيبةَ، قال: لم يكن أبو عبيدة يذهبُ إلى أنَّ في القرآن شيئًا من غير لغة العرب، وكان يقول: هو اتِّفاقٌ يقعُ بين اللغتين، وكان غيرُهُ يزعُمُ أنَّ الغسَّاقَ الباردَ المنتنَ بلسان التُّرك[2].

وقيل: فَعَّال من غَسَقَ يَغْسِقُ، فعلى هذا يكون عربيًّا.

وقيل في معناه: إنَّه الشديد البرْدِ، يَحرِقُ مِنْ بَردِه.

وقيل: هو ما يسيل من جلود أهل النار من الصديد. [٦٨٨/أ]

قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ﴾.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٨٢).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٣٨١).



قرأ أبو عمرو، والمفضل: «وأُخَرُ» بضم الهمزة من غير مدٍّ، فجُمِعَا لأجل نعته بالأزواج، وهي جمعٌ.

وقرأ الباقون بفتح الألف ومَدِّه على التوحيد(١).

واحتجُّوا بأنَّ العربَ تنعت الاسمَ إذا كان فِعلاً بالقليل والكثير.

قال الفراء: تقول: عذابُ فلانٍ ضُروبٌ شتَّى، وضرب مختلفان، وإن شئت جعلت الأزواج نعتًا للحميم والغساق والآخر، فهنَّ ثلاثةٌ، والأشبهُ أن تجعلَه صفةً لواحد(٢).

وقال الزجاج: من قرأ ﴿وَءَاخَرُ﴾ بالمد، فالمعنى: وعذاب آخَرُ ﴿مِن شَكْلِهِۦ﴾ أي: مثل الأول، ومن قرأ: «وأُخَرُ» فالمعنى: وأنواعٌ أُخَر؛ لأنَّ قوله: ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ بمعنى: أنواع(٣).

وقال ابن قتيبة: «من شكله» أي: من نحوه، ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ أي: أصناف(٤).

وقال ابن جرير: «من شكله» أي: من نحو الحميم(٥).

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٥٥)، والحجة (٦/ ٧٨)، والمبسوط (ص:٣٨١)، والتيسير (ص:١٨٨)، والتحصيل (٥/ ٥٠٥).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤١١).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٣٩).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:٣٨١).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ١٣١).

قال ابن مسعود في قوله: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ هو الزمهرير[1].

وقال الحسن: لما ذكر الله تعالى العذابَ الذي يكون في الدنيا، قال: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ أي: وآخر لم يُرَ في الدنيا[2].

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ﴾ هذا قول الزبانية للقادة المتقدِّمين في الكفر إذا جاؤوهم بالأتباع.

وقيل: بل هو قول الملائكة لأهل النار كلَّما جاؤوهم بأُمَّةٍ بعد أُمَّة، والفوج الجماعة من الناس، وجمعه أفواجٌ، والمقتحِمُ الداخل في الشيءِ رميًا بنفسه.

قال ابن السائب: إنَّهم يُضرَبُون بالمقامع، فيُلقونَ أنفُسَهم في النار، ويَثِبُون فيها خوفًا من تلك المقامع، فلمَّا قالت الملائكة ذلك لأهل النار قالوا: لا مرحبًا بهم، فاتَّصل الكلامُ كأنَّه قولٌ واحدٌ، وإنَّما الأوَّل من قول الملائكة، والثاني: من قول أهل النار[3].

وقد بيَّنا مثل هذا في قوله: ﴿لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يوسف:٥٢].

والمَرْحَبُ والرَّحْبُ: السَّعَةُ، والمعنى: لا اتَّسعَتْ بهم مساكنُهم.

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٦٠٠)، والطبري في تفسيره (٢٠/ ١٣٢) من رواية مرة الهمداني، عن ابن مسعود به.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ١٣٢) من رواية مبارك بن فضالة، عن الحسن به.

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٦٤).



قال أبو عبيدة: تقول العرب للرجل: لا مرحبًا بك أي: لا رحَبَتْ عليك الأرض[١].

وقال ابن قتيبة: معنى قولهم: (مرحبًا وأهلاً): أي: أتيْتَ رحبًا، أي: سَعَةً، و(أهلاً) أي: أتيتَ أهلاً لا غُرباءَ، فأْنَسْ ولا تستوحِشْ، و(سهلاً) أي: أتيت سهلاً لا حَزْنًا، وهو في مذهب الدعاء، كما تقول: لَقِيتَ خيرًا[٢].

قال الزجاج: ومرحبًا منصوبٌ بقوله: رحبَتْ بلادُكَ مرحبًا، وصادفْتَ مرحبًا، فأُدخِلَتْ لا على ذلك المعنى[٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ أي: داخلوها كما دخلناها، ومقاسون حرَّها، فأجابهم القوم فـ﴿قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ إن قلنا: إنَّ هذا قولُ الأتباع للرؤساء، فالمعنى: أنتم زيَّنتم لنا الكفر.

وإن قلنا: إنَّه قولُ الأُمَّةِ المتأخِّرة للأُمَّة المتقدِّمة، فالمعنى: أنتم شرعتم لنا الكُفرَ، وبدأْتُمْ به قبلَنا، فدخلتم النار قبلَنا، ﴿فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ أي: بئسَ المستقرُّ والمنزل.

﴿قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا﴾ أي: من سَنَّهُ وشَرَّعَهُ ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾، وقد شرحناه في الأعراف[٤].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٨٦).

(٢) انظر: غريب الحديث؛ لابن قتيبة (١/ ٤٨١)، والكشف والبيان؛ للثعلبي (٨/ ٢١٤).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٣٩).

(٤) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٣٨).

وفي القائلين لهذا قولان:

أحدهما: أنَّه قولُ جميع أهل النار، قاله ابن السائب.

والثاني: قولُ الأتباع، قاله مقاتل(١).

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ﴾ يعني أهل النار ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾. [٦٨٨/ ب]

قال المفسِّرون: إذا دخلوا النار نظروا، فلم يَرَوا من كان يخالفُهم من المؤمنين، فيقولون ذلك.

قال مجاهد: يقول أبو جهلٍ في النار: أينَ صُهَيبُ، أين عمَّارُ، أين خبَّاب، أين بلال؟(٢)

قوله تعالى: ﴿أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا﴾:

قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «من الأشرار اتَّخَذْناهم» بالوصل على الخبر، أي: إنَّا اتَّخَذْناهم، وهؤلاء يبتدئُون بكسر الهمزة.

وقرأ الباقون بقطع الألف وفتحِها على معنى الاستفهام، وهؤلاء يبتدئُون بفتح الهمزة(٣).

وقال الفراء: وهذا استفهامٌ بمعنى التعجبُّ والتوبيخ، والمعنى:

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٥٢).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ١٣٦) من رواية ليث، عن مجاهد به.

(٣) انظر: السبعة (ص:٥٥٦)، والحجة (٦/ ٨٢)، والمبسوط (ص:٣٨١)، والمحرر الوجيز (٤/ ٥١٢)، والتحصيل (٥/ ٥٠٦).

أنَّهـم يوبِّخـون أنفُسَـهم عـلى مـا صنعـوا بالمؤمنـين[١].

و﴿سِخۡرِيًّا﴾ يقـرأ بضـمِّ السـين وكسرهـا[٢]، وقـد شرحناهـا في آخـر سـورة المؤمنـين[٣].

﴿أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ أي: وهم معنا في النار ولا نراهم.

وقال أبو عبيدة: «أم» هاهنا بمعنى «بل»[٤].

قولـه تعـالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ﴾: قـال الزجـاج: أي: إنَّ الـذي وصفنـاه عنهـم لحـقٌّ، ثـمَّ بـيَّنَ مـا هـو فقـال: هـو ﴿تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ﴾[٥].

وقـرأ أبـو الجـوزاء، وأبـو الشـعثاء، وأبـو عمـران، وابـن أبي عبلـة: «تَخَاصُـمَ» برفـع الصـاد وفتـح الميـم، وكـسر الـلام مـن «أَهْـلِ»[٦].

وقـرأ أبـو مجلـز، وأبـو العاليـة، وأبـو المتـوكل، وابـن السـميفع: «تَخَاصَـمَ أَهْـلُ» بفتـح الصـاد والميـم ورفـع الـلام[٧].

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤١١).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٥٦)، والحجة (٦/ ٨٥)، والمبسوط (ص:٣٨١)، والمحرر الوجيز (٤/ ٥١٢).

(٣) انظر: تفسير سورة المؤمنون الآية رقم (١١٠).

(٤) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٨٦).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٤٠).

(٦) في المحرر الوجيز (٤/ ٥١٢)، والبحر المحيط (٩/ ١٧١) كلاهما نسبها لابن أبي عبلة.

(٧) في مختصر ابن خالويه (ص:١٣١)، والبحر المحيط (٩/ ١٧١) كلاهما نسبها لابن السميفع.

قولــه تعـــالى: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴾ [ص: ٦٧-٨٨].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴾ النبأ الخبر.

وفي المشار إليه قولان:

أحدهما: أنَّه القرآن، قاله ابن عبَّاس، ومجاهد، والجمهور.

والثاني: أنَّه البعث بعدَ الموت، قاله قتادة.

﴿ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ أي: لا تتفكَّرون فيه، فتعلمون صدقي في نُبوَّتي، وأنَّ ما جئتُ به من الأخبار عن قصص الماضين لم أعلمه إلَّا بوحيٍ من الله، ويدلُّ على هذا المعنى قوله: ﴿ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ ﴾ يعني الملائكة ﴿ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ في شأن آدم حين قال الله تعالى: ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠]



والمعنى: إنِّي ما علمتُ هذا إلَّا بوحيٍ، ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ أي: ما يوحى إليَّ ﴿إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ﴾ أي: إلَّا أنِّي نبيٌّ، أنذركم وأُبيِّنُ لكم ما تأتونه وتجتنبونه.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ هذا متَّصلٌ بقوله: ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾، وإنَّما اعترضَتْ تلك الآيةُ بينهما.

قال ابن عباس: اختصموا حين شُوْوِرُوا في خلق آدمَ، فقال الله لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠][1].

وهذه الخصومة منهم إنَّما كانت مناظَرةً بينهم.

وفي مناظرتهم قولان:

أحدهما: أنَّه قولُهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]، قاله ابن عباس، ومقاتل.

والثاني: أنهم قالوا: لن يخلُقَ الله خلقًا إلَّا كُنَّا أكرمَ منه وأعلَمَ، قاله الحسن، هذا قول الأكثر من المفسرين.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «رَأَيْتُ رَبِّي ﷻ فَقَالَ لِي: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى قُلْتُ: أَنْتَ أَعْلَمُ يَا رَبِّ. قَالَ: فِي الْكَفَّارَاتِ وَالدَّرَجَاتِ، فَأَمَّا الْكَفَّارَاتُ، فإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي السَّبَرَاتِ، وَنَقْلُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَأَمَّا الدَّرَجَاتُ فَإِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَإِطْعَامُ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ١٤٢) من رواية العوفي، عن ابن عباس به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضًا (٧/ ٢٠٢) لابن أبي حاتم.

الطَّعَامِ، وَالصَّلاةُ بِاللَّيلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»[١].

قوله تعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ أي: أَسْتَكْبَرْتَ بنفسِكَ حينَ أَبَيْتَ السجودَ، ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ أي: من قومٍ يتكبَّرونَ، فتكبَّرْتَ عن السجود؛ لكونِكَ [٦٨٩/أ] من قومٍ يتكبَّرُون؟

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ أي: مرجومٌ بالذمِّ واللعن.

قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ وهو وقتُ النفخة الأولى، وهو حينَ موت الخلائق.

وقوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ يمينٌ بمعنى: فوَعِزَّتِكَ، وما أخلَلْنَا به في هذه القصَّة، فهو مذكورٌ في الأعراف[٢] والحِجْرِ[٣] وغيرِهما ممَّا تقدَّم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾:

قرأ عاصمٌ إلا حسنونُ عن هبيرة، وحمزة، وخلف، وزيد عن يعقوب: «فالحَقُّ» بالرفع في الأوَّل ونصب الثاني، وهذا مَروِيٌّ عن ابن عباس، ومجاهد[٤].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٤٨٤)، والترمذي في سننه (٣٢٣٣، ٣٢٣٤) وغيرهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما به.
قال المؤلف في العلل المتناهية (١/ ٢٠): «أصل هذا الحديث وطرقه مضطربة. قال الدارقطني: كل أسانيده مضطربة ليس فيها صحيح».

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٢).

(٣) انظر: تفسير سورة الحجر الآية رقم (٣٤).

(٤) انظر: السبعة (ص:٥٥٧)، والحجة (٦/ ٨٧)، والمبسوط (ص:٣٨٢)، والمحرر الوجيز (٤/ ٥١٦)، والتحصيل (٥/ ٥٠٦).

قال ابن عباس في معناه: فأنا الحقُّ وأقولُ الحقَّ[١].

وقال غيره: خبر الحقِّ محذوفٌ، تقديره: الحقُّ مِنِّي.

وقرأ محبوب عن أبي عمرو بالرفع فيهما[٢].

قال الزجاج: من رفعَهُما جميعاً، كان المعنى: فأنا الحقُّ والحَقُّ أقولُ[٣].

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: بالنصب فيهما[٤].

قال الفراء: وهو على معنى قولك: حَقًّا لآتِيَنَّكَ، ووجودُ الألف واللام وطرحُهما سواءٌ، وهو بمنزلة قولك: حمدًا لله[٥].

وقال مكِّيُّ بن أبي طالبٍ: انتصب الحقُّ الأوَّل على الإغراء، أي: اتَّبِعوا الحَقَّ واسمَعوا والزَموا الحَقَّ[٦].

وقيل: هو نصبٌ على القَسَم، كما تقول: اللهَ لأَفْعَلَنَّ، فتَنْصِب حين حذفتَ الجارَّ، لأن تقديره وبالحقِّ، وأمَّا الحَقُّ الثاني، فيجوز أن يكون

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٥/ ١١١) من قول مجاهد.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٣١) نسبها للأعمش، وابن عباس، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٥١٦) نسبها لابن عباس، ومجاهد، وفي البحر المحيط (٩/ ١٧٥) نسبها لابن عباس، ومجاهد، والأعمش.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٤٢).

(٤) انظر: السبعة (ص:٥٥٧)، والحجة (٦/ ٨٧)، والمبسوط (ص:٣٨٢)، والمحرر الوجيز (٤/ ٥١٦)، والتحصيل (٥/ ٥٠٦).

(٥) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤١٣).

(٦) انظر: الهداية (١٠/ ٦٢٨٩).

الأوَّلُ، وكرَّره توكيدًا، ويجوز أن يكونَ منصوباً بـ «أقولُ» كأنَّه قال: وأقولُ الحَقَّ.

وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وأبو رجاء، ومعاذ القارئ، والأعمش: «فالحَقِّ» بكسر القاف، «والحَقَّ» بنصبها[1].

وقرأ أبو عمران الجونيُّ بكسر القافين جميعاً[2].

وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وأبو نهيك: «فالحَقَّ» بالنصب، «والحَقُّ» بالرفع[3].

قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ أي: من نفسِكَ وذرِّيَّتِكَ.

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: على تبليغ الوحي.

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ أي: لم أتكلَّفْ إتيانكم من قِبَلِ نفسي، إنَّما أُمِرْتُ أن آتيَكم، ولم أقل القرآن من تلقاء نفسي، إنَّما أُوحِيَ إليَّ.

﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما هو، يعني القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ أي: موعظةٌ ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ يا معاشرَ الكفَّار ﴿نَبَأَهُۥ﴾ أي: خبرَ صِدْقِ القرآن.

---

(١) لم نقف عليها.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٣١) نسبها لعيسى بن عمر، وفي البحر المحيط (٩/ ١٧٥) نسبها للحسن، وعيسى، وعبد الرحمن بن أبي حماد عن أبي بكر.

(٣) لم نقف عليها.

﴿بَعۡدَ حِينِۭ﴾ وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: بعد الموت.

والثاني: يوم القيامة، رُوِيَا عن ابن عبَّاسٍ، وبالأوَّل يقول قتادةُ، وبالثاني يقول عكرمةُ.

والثالث: يوم بدرٍ، قاله السدي، ومقاتل[1].

وقال ابن السائب: من بقي إلى أن ظهرَ أمرُ رسول الله ﷺ علم ذلك، ومن مات عَلِمَهُ بعدَ الموت[2].

وذهب بعض المفسِّرينَ إلى أنَّ هذه الآيةَ منسوخةٌ بآية السيف، ولا وجهَ لذلك.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٥٤).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٦٨).



سورة الزُّمر

وتسمَّى سورة الغُرَف

فصل في نزولها

روى العوفيُّ وابن أبي طلحةَ عن ابن عبَّاسٍ أنَّها مكِّيَّةٌ، وبه قال الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، وجابر بن زيد(١). [٦٨٩/ب]

وروي عن ابن عبَّاسٍ أنَّه قال: فيها آيتان نزلتا بالمدينة: قوله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾، وقوله: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ﴾(٢).

وقال مقاتل: فيها من المدنيِّ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ﴾ الآية، وقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞ﴾(٣).

وفي رواية أخرى عنه قال: فيها آيتان مدنيَّتان: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ﴾، وقوله: ﴿يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ﴾.

وقال بعض السَّلف: فيها ثلاث آياتٍ مدنيَّاتٍ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾.

---

(١) انظر: النكت والعيون؛ للماوردي (٥/ ١١٣)، والدر المنثور (٧/ ٢١٠).

(٢) انظر: النكت والعيون؛ للماوردي (٥/ ١١٣).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٦٧).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣ لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ١-٤].

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾.

قال الزجاج: الكتاب هاهنا القرآن، ورفع «تنزيل» من وجهين:

أحدهما: الابتداء، ويكون الخبرُ مِنَ اللهِ، فالمعنى: نزل من عند الله.

والثاني: على إضمار: هذا تنزيلُ الكتاب، و(مُخْلِصاً) منصوبٌ على الحال، فالمعنى: فاعبُدِ الله موحِّداً لا تُشْرِكْ به شيئاً(١).

قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ يعني: الخالص من الشِّرك، وما سِواهُ ليس بِدِينِ الله الذي أمر به.

وقيل: المعنى: لا يَستحِقُّ الدِّينَ الخالصَ إِلَّا اللهُ.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني آلهة، ويدخل في هؤلاء اليهودُ حين قالوا: عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ، والنصارى لقولهم: الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، وجميعُ

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٤٣).

عُبَّاد الأصنام، ويدُلُّ عليه قولُه بعد ذلك: ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾.

قوله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ أي: يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ أي: إلَّا لِيَشْفَعوا لنا إلى الله.

والزُّلْفى: القُرْبى، وهو اسمٌ أُقيمَ مقامَ المصدر، فكأنَّه قال: إلَّا لِيُقَرِّبونا إلى الله تقريباً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين أهل الأديان فيما كانوا يختلفون فيه من أمر الدِّين.

وذهب قومٌ إلى أنَّ هذه الآيةَ منسوخةٌ بآية السيف، ولا وجهَ لذلك.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾ أي: لا يُرْشِدُ ﴿مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾ في قوله: إنَّ الآلهةَ تشفعُ ﴿كَفَّارٌ﴾ أي: كافرٌ باتِّخاذها آلهةً، وهذا إخبارٌ عمَّنْ سبقَ عليه القضاءُ بحرمان الهداية.

﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ أي: على ما يزعمُ من ينسُبُ ذلك إلى الله ﴿لَّٱصْطَفَىٰ﴾ أي: لاختارَ ﴿مِمَّا يَخْلُقُ﴾.

قال مقاتلٌ: أي: من الملائكة[1].

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾[الزمر: ٥].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٦٩).

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: لم يخلُقْهما لغير شيءٍ.

قوله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾.

قال أبو عبيدة: يُدْخِلُ هذا على هذا[1].

قال ابن قتيبةَ: وأصلُ التَّكْوِير: اللَّفُّ، ومنه كَوْرُ العِمامة[2].

وقال غيره. التَّكْوِيرُ: طَرْحُ الشيء بعضَهُ على بعضٍ.

قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ أي: ذلَّلَهُما للسَّير على ما أراد، ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إلى الأجَلِ الذي وقَّتَ اللهُ للدُّنيا.

وقد شرحنا معنى العزيز في البقرة[3]، ومعنى الغفَّار في طه[4].

قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾[الزمر: ٦].

قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ يعني آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي: قَبْلَ خَلْقِكم جعلَ منها زوجَها، لأنَّ حوَّاءَ خُلِقَتْ قَبْلَ الذُّريَّة، ومِثْلُه في الكلام أن تقولَ: قد أعطيتُكَ اليومَ شيئاً، ثُمَّ الذي أعطيتُكَ أمسِ [٦٩٠/أ]

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٨٨).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٣٨٢).

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٢٩).

(٤) انظر: تفسير سورة طه الآية رقم (٨٢).

أكثرُ، هذا اختيار الفراء[1].

وقال غيره: ثم أخبركم أنَّه خَلَق منها زَوْجَها.

﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ أي: خلق ﴿ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾، وقد بيَّنَّاها في سورة الأنعام[2].

قوله تعالى: ﴿خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ أي: نُطَفاً، ثُمَّ عَلَقاً، ثم مُضَغاً، ثم عَظْماً، ثم لَحْماً، ثم أنبت الشَّعر، إلى غير ذلك من تقلُّب الأحوال إلى إخراجِ الأطفال، هذا قول الجمهور.

وقال ابن زيد: خَلْقاً في البُطون مِنْ بَعْدِ خَلْقِكم في ظَهْر آدم[3].

قوله تعالى: ﴿فِى ظُلُمَـٰتٍ ثَلَـٰثٍ﴾ ظُلْمةِ البَطْن، وظُلْمةِ الرَّحم، وظُلْمةِ المَشيمة، قاله الجمهور، وابن زيدٍ معهم.

وقال أبو عبيدة: إنها ظُلْمةُ صُلْبِ الأب، وظُلْمةُ بَطْنِ المرأة، وظُلْمةُ الرَّحِم[4].

قوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ أي: من أين تُصْرَفون عن طريق الحقِّ بعد هذا البيان؟

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤١٤-٤١٥).

(٢) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (١٤٣).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ١٦٥) من رواية ابن وهب، عن ابن زيد به.

(٤) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٨٨).

قولــه تعــالى: ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾[الزمــر: ٧].

قوله تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ﴾ أي: عن إيمانكم وعبادتكم.

﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لا يرضاه للمؤمنين، قاله ابن عبَّاس.

والثاني: لا يرضاه لأحدٍ وإن وقعَ بإرادته، وفرقٌ بين الإرادة والرِّضى، وقد أشرنا إلى هذا في البقرة عند قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾[1].

﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ أي: يرضى ذلك الشُّكر لكم.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: بما في القلوب.

قولــه تعــالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾[الزمــر: ٨].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ﴾ اختلفوا فيمن نزلَتْ على قولين:

أحدهما: في عتبة بن ربيعة، قاله عطاء.

والثاني: في أبي حذيفة بن المغيرة، قاله مقاتل[2].

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٠٥).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٧١).

والضُرُّ: البلاءُ والشِّدَّة.

﴿مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ أي: راجعاً إليه من شِرْكِه.

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ﴾ أي: أعطاه وملَّكَهُ ﴿نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ بعد البلاء الذي أصابه، كالصِّحَّة بعد المرض، والغنى بعد الفقر.

﴿نَسِيَ﴾ أي: تركَ ﴿مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ﴾، وفيه ثلاثةُ أقوال:

أحدها: نسي الدُّعاءَ الذي كان يتضرَّع به إلى الله تعالى.

والثاني: نَسِيَ الضُّرَ الذي كان يدعو الله إلى كَشْفه.

والثالث: نَسِيَ الله الذي كان يتضرَّع إليه.

قال الزَّجَّاج: وقد تَدُلُّ «ما» على الله ﷻ، كقوله: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾[1].

وقال الفراء: تَرَكَ ما كان يدعو إليه[2].

وقد سبق معنى الأنداد[3]، ومعنى ﴿لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[4].

قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ﴾ لفظُه لفظُ الأمر، ومعناه التهديد، ومثله: ﴿فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٥٥].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٤٦).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤١٥).

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٢).

(٤) انظر: تفسير سورة الحج الآية رقم (٩).

قولـه تعـالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[الزمـر: ٩-١٠].

قولـه تعـالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ﴾ قـرأ ابـن كثـير، ونافـع، وحمـزة، وأبـو جعفـر، والمفضـل عـن عاصـم، وزيـد عـن يعقـوب: «أَمَـنْ» بالتخفيـف.

وقرأ الباقون: بالتشديد[1].

فأمـا المشـدَّدة، فمعناهـا: أهـذا الـذي ذَكَرْنـا خـيرٌ، أمَّـن هـو قانـتٌ؟ والأصـلُ في «أمَّـن» : أَمْ مَـنْ، فأُدْغِمَـتِ الميـمُ في الميـم.

وأمَّا المخفَّفة، ففي تقديرها ثلاثةُ أوجُهٍ:

أحدها: أنَّها بمعنى النداء.

قـال الفـرَّاء: فسَّرهـا الذيـن قـرءوا بها فقالـوا: يا من هـو قانتٌ، وهـو وجهٌ حسـنٌ، والعـرب تدعـو بالألف كما تدعـو بيـاءٍ، فيقولون: يـا زيد أقبـل، و: أزيد أَقْبِـل، فيكـون المعنـى: أنـه ذَكَـر النَّاسيَ الكافـرَ، ثمَ قـصَّ قِصَّـةَ الصَّالـح بالنِّداء، كـما تقـول: فلان لا يصـومُ ولا يصـلِّي، فيا مـن يصومُ أَبْـشِرْ[2].

والثاني: أنَّ تقديرَها: أمَّن هو قانتٌ كمن ليس بقانت؟

---

(١) انظـر: الحجـة (٦/ ٩٢)، والمبسـوط (ص:٣٨٤)، والمحـرر الوجيـز (٤/ ٥٢٢)، والتحصيـل (٥/ ٥٢٧).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤١٦-٤١٧).

والثالث: أمَّن هو قانتٌ كمن جعلَ لله أنداداً؟ وقد ذكرنا معنى القنوت [٦٩٠/ ب] في سورة البقرة[١]، ومعنى ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ في آل عمران[٢].

قوله تعالى: ﴿سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا﴾ يعني في الصلاة.

وفيمن نزلت فيه هذه الآية خمسة أقوال:

أحدها: أنَّه أبو بكرٍ الصِّدِّيق، رواه عطاءٌ عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: عثمان بن عفَّان، قاله ابن عمر.

والثالث: عمَّار بن ياسر، قاله مقاتل[٣].

والرابع: ابن مسعود، وعمَّار، وصُهَيب، وأبو ذرٍّ، قاله ابن السائب.

والخامس: أنَّه رسول الله ﷺ، حكاه يحيى بن سلام.

قوله تعالى: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ أي: عذاب الآخرة.

وقد قرأ ابن مسعود، وأُبَيُّ بن كعب، وابن عباس، وعروة، وسعيد بن جبير، وأبو رجاء، وأبو عمران: «يحذر عذاب الآخرة» بزيادة «عذاب»[٤].

﴿وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنَّها المغفرة، قاله ابن السائب.

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١١٦).

(٢) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (١١٣).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٧٢).

(٤) في المحرر الوجيز (٤/ ٥٢٣) نسبها لسعيد بن جبير.

والثاني: الجنَّة، قاله مقاتل[١].

قولـه تعـالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ مـا وعـدَ اللهُ مـن الثـواب والعقـاب حـقٌّ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وباقـي الآيـة قـد تقـدَّم في الرعـد[٢]، وكذلـك قولـه: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ قـد تقـدَّم في النحـل[٣].

وفي قوله: ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّه حَثٌّ لهم على الهِجرة من مكَّة إلى حيث يأمنون.

والثاني: أنَّها أرض الجنَّة، رغَّبهم فيها.

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ﴾ الذيـن صبـروا لأجـل الله تعـالى عـلى مـا نالهـم ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: يُعْطَـونَ عطـاءً كثـيرًا أوسـعَ مـن أن يُحْسَـبَ، وأعظـمَ مـن أن يُحـاطَ بـه، لا عـلى قـدر أعمالهـم.

قولـه تعـالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (١٢) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣) قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ ۗ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١٥) لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ۚ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (١٦) وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٧٢).

(٢) انظر: تفسير سورة الرعد الآية رقم (١٩).

(٣) انظر: تفسير سورة النحل الآية رقم (٣٠).

عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[الزمر: ١١-١٨].

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ﴾.

قال مقاتل: وذلك أنَّ كُفَّارَ قريشٍ قالوا لرسول الله ﷺ: ما حَمَلكَ على الذي أتيتَنا به؟ ألا تنظُر إلى مِلَّةِ آبائِكَ فتأخُذَ بها؟ فنزلت هذه الآية[1].

والمعنى: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: أُمِرْتُ أن أعبُدَه على التوحيد والإِخلاص السالمِ من الشِّرك، ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأُمَّة.

﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾ بالرجوع إلى دين آبائي ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وقد اختلفوا في نسخ هذه الآية كما بيَّنَّا في نظيرتها في الأنعام[2].

﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ بالتوحيد، فَاعْبُدُوا ما شِئْتُمْ، وهذا تهديدٌ، وبعضُهم يقول: هو منسوخٌ بآية السيف، وهذا باطلٌ، لأنَّه لو كان أمراً كان منسوخاً، فأمَّا أن يكونَ بمعنى الوعيد، فلا وجهَ لِنَسْخه.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بأن صاروا إلى النَّار.

«وَخسروا أَهْلِيهِمْ» فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّهم خَسِروا الحُور العين اللَّواتي أُعْدِدْنَ لهم في الجنَّة لو أطاعوا، قاله الحسن وقتادة.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٧٢).

(٢) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (١٥).

والثـاني: خَسِروا الأهـل في النَّـار، إذ لا أهَـل لهـم فيهـا، قالـه مجاهـد، وابـن زيـد.

والثالـث: خَسِروا أهليهـم الذيـن كانـوا في الدنيـا، إذ صـاروا إلى النَّـار بكفرهـم، وصـار أهلوهـم إلى الجَنَّـة بإيمانهـم، قالـه المـاوردي(١).

قوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ وهي الأطباق من النار.

وإنـما قـال: ﴿وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ لأنَّهـا ظُلَـلٌ لِمَـنْ تحتَهـم ﴿ذَٰلِكَ﴾ الـذي وصـف الله مـن العـذاب ﴿يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ المؤمنـين. [٦٩١/أ]

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾:

روى ابـن زيـد عـن أبيـه أن هـذه الآيـة والتـي بعدهـا نزلـت في ثلاثـة نَفَـرٍ كانـوا في الجاهليـة يوحِّـدون الله تعـالى: زيـدِ بـن عمـرو بـن نُفَيـل، وأبي ذَرٍّ، وسلمان الفـارسي، رضي الله عنهـم قـال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ بغـير كتـابٍ ولا نبيٍّ(٢).

وفي المراد بالطَّاغوت هاهنا ثلاثةُ أقوال:

أحدها: الشياطين، قاله مجاهد.

والثاني: الكهنة، قاله ابن السائب.

---

(١) انظر: النكت والعيون (٥/ ١١٩).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ١٨٥) من رواية ابن وهب، عن ابن زيد به.

والثالث: الأوثان، قاله مقاتل[١]، فعلى قول مقاتل هذا: إنَّما قال: «يعبُدوها» لأنَّها مؤنَّثةٌ.

وقال الأخفش: إنَّما قال: ﴿يَعۡبُدُوهَا﴾؛ لأنَّ الطَّاغوت في معنى جماعة، وإن شئتَ جعلتَهُ واحدًا مؤنَّثًا[٢].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: رجَعوا إليه بالطَّاعة ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ بالجنَّة.

«فبَشِّر عبادي» بياء، وحرَّك الياء أبو عمرو[٣].

ثم نعتَهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ﴾ وفيه قولان:

أحدها: أنَّه القرآن، قاله الجمهور.

فعلى هذا، في معنى ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾ أقوالٌ، قد شرحناها في الأعرافِ عند قوله: ﴿وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَا﴾[٤].

والثاني: أنَّه جميع الكلام.

ثم في المعنى قولان:

أحدهما: أنَّه الرَّجُل يجْلِس مع القوم فيَسْمَع كلامهم، فيَعملُ بالمحاسن ويحدِّث بها، ويكفُّ عن المساوئ ولا يُظهِرُها، قاله ابن السائب.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٧٣).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤٩٤).

(٣) انظر: السبعة (ص:٥٦١)، والحجة (٦/ ٩٣)، والمبسوط (ص:٣٨٦)، والتيسير (ص:١٨٩).

(٤) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٤٥).

والثاني: أنه لمَّا ادَّعى مسيلمةُ أنَّه قد أتى بقرآنٍ، وأتت الكهنةُ بالكلام المزخرَفِ في الأباطيل، فرَّقَ المؤمنون بين ذلك وبين كلام الله، فاتَّبَعوا كلامَ الله، ورفضوا أباطيلَ أولئك، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾[الزمر: ١٩-٢٠].

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾.

قال ابن عباس: سبق في عِلْم الله أنَّه في النَّار[١].

فإن قيل: كيف اجتمع في هذه الآية استفهامان بلا جواب؟

قيل: أمَّا الفرَّاء فإنَّه يقول: هذا ممَّا يُرادُ به استفهامٌ واحدٌ، فسبق الاستفهامُ إلى غير موضعه، فَرُدَّ إلى موضعه الذي هو له، فيكون المعنى: أفأنتَ تُنقِذ مَنْ في النارِ مَنْ حَقَّت عليه كلمة العذاب؟

ومثله: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾[المؤمنون:٣٥] فردَّ «أَنَّكُمْ» مرَّتين، والمعنى: أَيَعِدُكُم أنَّكم مُخْرَجون إذا مِتُّم؟

ومثله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾.

ثم قال: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾[آل عمران: ١٨٨]؛ فردَّ «تَحْسَبَنَّ» مرَّتين، والمعنى: لا تَحْسَبَنَّ الذين يَفْرَحونَ بمفازةٍ من العذاب[٢].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٧٦).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤١٨).

وقال الزجاج: يجوز أن يكون في الكلام محذوفٌ، تقديره: أفمن حَقَّ عليه كلمةُ العذاب فيتخلَّصُ منه أو ينجو، أفأنت تنقذه؟

قال المفسِّرون: أفأنت تُخلِّصه ممَّا قُدِّر له فتجعله مؤمناً[١]؟

والمعنى: ما تَقدِرُ على ذلك.

قال عطاء: يريد بهذه الآية أبا لهبٍ وولدَهُ ومن تخلَّف من عشيرة النبيِّ ﷺ عن الإيمان[٢].

قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡا۟﴾، وقرأ أبو المتوكِّل، وأبو جعفر: «لكِنَّ» بتشديد النون وفتحِها[٣].

قال الزجاج: والغُرَف الرفيعة في الجنَّة، ﴿مِّن فَوۡقِهَا غُرَفࣱ﴾ أي: منازل أرفَعُ منها[٤].

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ منصوبٌ على المصدر، فالمعنى: وعَدَهم اللهُ غُرَفاً وَعْدًا. [٦٩١/ ب]

ومن قرأ: «وَعْدُ الله» بالرفع[٥]، فالمعنى: ذلك وعدُ الله.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٥٠).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٧٦).

(٣) في المحرر الوجيز (١/ ٥٥٨) نسبها لأبي جعفر بن القعقاع.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٥٠).

(٥) لم نقف عليها.

قولـه تعـالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾[الزمر: ٢١].

قوله تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾.

قال الشَّعبيُّ: كلُّ ما في الأرض فمن السَّماء يَنزِلُ[١].

﴿ فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ ﴾.

قال ابن قتيبة: أي: أدخَلَهُ، فجعلَهُ ينابيعَ، أي: عُيوناً تَنْبُعُ[٢].

﴿ ثُمَّ يَهِيجُ ﴾ أي: يَيْبَس.

قال الأصمعي: يقال للنَّبتِ إذا تَمَّ جَفافُه: قد هاجَ يَهِيجُ هَيْجاً[٣].

فأمَّـا الحُطـامُ، فقـال أبـو عُبَيـدٍ: هـو مـا يبـسَ فتَحـاتَّ مـن النَّبـات، ومثلُـه الرُّفـاتُ[٤].

قـال مقاتـل: هـذا مَثَلٌ ضُرِبَ للدنيا، بينـا تـرى النبـتَ أخضـرَ، إذ تغيَّر فَيبِسَ، ثُـمَّ هَلَـكَ، وكذلـك الدُّنيـا وزينتُهـا[٥].

---

(١) رواه الطـبري في تفسـيره (٢٠/ ١٨٨) مـن روايـة جابـر، عـن الشـعبي، بلفـظ: «كُلُّ نَـدًى وَمَـاءٍ فِي الْأَرْضِ مِـنَ السَّـمَاءِ نَـزَلَ».

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٣٨٣).

(٣) ذكره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٥٠)، ومكي في الهداية (١٠/ ٦٣٢٤).

(٤) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٨٩).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٧٤).

وقال غيره: هذا البيان للدَّلالة على قدرةِ الله ﷻ.

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ﴾.

قال الزجاج: جوابه متروكٌ، لأنَّ الكلامَ دالٌّ عليه، تقديره: أفمن شَرَحَ اللهُ صدرَهُ فاهتدى كمن طبعَ على قلبِهِ، فلم يَهْتَدِ؟ ويدلُّ على هذا قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾[1].

وقد روى ابن مسعودٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ تلا هذه الآيةَ، فقلنا: يا رسولَ الله، وما هذا الشَّرْحُ؟ فذكرَ حديثًا قد ذكرناه في قوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ﴾ فيه أربعةُ أقوال:

أحدُها: اليقين، قاله ابن عبَّاس.

والثاني: كتابُ الله، يأخذُ به، وينتهي إليه، قاله قَتادة.

والثالث: البيان، قاله ابن السائب.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٥١).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٣١٥)، وابن جرير الطَّبري (٩/ ٥٤٢)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٤٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٠٦٨)، وفي القضاء والقدر (٣٨٩) من طرق لا تسلم من ضعف عن عبد الله بن مسعود ﷺ، وانظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (١٢٥).

والرابع: الهُدى، قاله مقاتل[١].

وفيمن نزلت هذه الآية؟ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّها نزلت في أبي بكرٍ الصِّدِّيق، وأُبَيِّ بن خَلَفٍ، رواه الضحَّاك عن ابن عبَّاس.

والثاني: في عليٍّ وحمزةَ وأبي لهبٍ وولدِه، قاله عطاء.

والثالث: في رسول الله ﷺ وفي أبي جهلٍ، قاله مقاتلٌ[٢].

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قد بيَّنَّا معنى القساوة في البقرة[٣].

فإن قيل: كيف يقسو القلب من ذِكْرِ الله ﷻ؟

فالجواب: أنَّه كُلَّما تُلِيَ عليهم ذِكْرُ الله الذي يكذِّبونَ به، قَسَتْ قلوبُهم عن الإيمانِ به.

وذهب مقاتلٌ في آخَرين إلى أنَّ «مِنْ» هاهنا بمعنى «عَنْ»[٤].

قال الفراء: كما تقول: أُتْخِمْتُ عن طعامٍ أكلتُه، ومِنْ طعامٍ أكلتُه، وإنَّما قَسَت قلوبُهم مِنْ ذِكْرِ الله، لأنَّهم جعلوه كذباً، فأقسى قلوبَهم، ومن

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٧٥).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٧٥).

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٧٤).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٧٥).

قال: قست قلوبهم عنه، أراد: أعرضت عنه[١].

وقد قرأ أبيٌّ بن كعبٍ، وابن أبي عبلةَ، وأبو عمران: «قُلوبُهم عن ذكر الله» مكان قوله: «من»[٢].

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾[الزمر: ٢٣].

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ يعني القرآن، وقد ذكرنا سببَ نزولِها في أوَّل يوسف[٣].

قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾ فيه قولان:

أحدُهما: أن بَعْضَهُ يُشْبِه بَعْضاً في الآيِ والحروف، فالآية تُشْبِهُ الآية، والكلمةُ تُشْبِهُ الكلمةَ، والحرفُ يُشْبِهُ الحرفَ.

والثاني: أنَّ بعضَهُ يُصدِّق بعضاً، فليس فيه اختلافٌ ولا تناقض.

وإنَّما قيلَ له: ﴿مَّثَانِيَ﴾ لأنَّه كُرِّرت فيه القصصُ، والفرائضُ، والحدودُ، والثَّوابُ، والعقابُ.

فإن قيل: ما الحكمة في تكرار القصص، والواحدة قد كانت تكفي؟

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤١٨).

(٢) لم نقف عليها.

(٣) انظر: تفسير سورة يوسف الآية رقم (٣).



[٦٩٢/أ] فالجوابُ: أنَّ وفودَ العرب كانت تَرِدُ على رسول الله ﷺ، فيُقرِئُهم المسلمونَ شيئاً من القرآن، فيكون ذلك كافياً لهم، وكان يَبْعَثُ إلى القبائلِ المتفرِّقة بالسُّوَرِ المختلفة، فلو لم تكن الأنباء والقصص مثنَّاةً مكرَّرةً، لوقعتْ قصةُ موسى إلى قومٍ، وقصةُ عيسى إلى قومٍ، وقصةُ نوحٍ إلى قومٍ، فأراد الله تعالى أن يُشهِرَ هذه القصصَ في أطراف الأرض، ويُلْقِيَها إلى كلِّ سَمْعٍ.

فأمَّا فائدةُ تكرار الكلام من جنسٍ واحدٍ كقوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾، وقوله: ﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴾، ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴾، فسنذكرُها في سورة الرحمن ﷻ.

قوله تعالى: ﴿ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ﴾ أي: تأخذُهم قشعريرةٌ، وهو تغيُّرٌ يحدُثُ في جِلْد الإنسان من الوَجَل.

وروى العبَّاس بن عبد المطَّلب عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «إذا اقْشَعَرَّ جِلْدُ الْعَبْدِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، تَحَاتَّتْ ذُنُوبُهُ كَمَا يَتَحَاتُّ عَنِ الشَّجَرَةِ الْيَابِسَةِ وَرَقُهَا»[1].

---

(١) رواه البزار في مسنده (١٣٢٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٨٢)، والثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ٢٣٢)، والواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٧٨) (٧٩٩)، وأبو بكر الشافعي في الفوائد الغيلانيات (٢٨٨) من رواية أم كلثوم بنت العباس، عن أبيها العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

قال البزار: «وهذا الكلام لا نحفظه بهذا اللفظ عن رسول الله ﷺ إلا عن العباس عنه، ولا نعلم له إسنادًا عن العباس إلا هذا الإسناد».

وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣١٠): «رواه البزار، وفيه أم كلثوم بنت العباس ولم=

وفي معنى الآية ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: تَقْشَعِرُّ من وَعيدِه، وتَلِينُ عندَ وعْدِه، قاله السدي.

والثاني: تَقْشَعِرُّ من الخَوْفِ، وتَلِينُ من الرَّجاء.

والثالث: تَقْشَعِرُّ الجُلودُ لإِعظامه، وتَلِينُ عند تلاوتِهِ، ذكرَهُما الماوردي[١].

وقال بعضُ أهل المعاني: مفعولُ الذِّكْرِ في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ محذوفٌ؛ لأنَّه معلومٌ، والمعنى: تَطْمَئِنُّ قلوبُهم إلى ذِكْرِ الله الجنةَ والثوابَ.

قال قتادة: هذا نَعْتُ أولياء الله، تقشَعِرُّ جلودُهم وتَلِينُ قلوبُهم، ولم يَنْعَتْهم بذَهابِ عُقولهم والغِشْيانِ عليهم، إنَّما هذا في أهل البِدَع، وهذا من الشَّيطان[٢].

وقد روى أبو حازم، قال: مَرَّ ابنُ عمرَ برجُلٍ ساقطٍ من أهل العراق، فقال: ما شأنُه؟ فقالوا: إنَّه إذا قُرِئَ عليه القرآن يُصيبُهُ هذا، قال: إنَّا لنَخشى اللهَ ﷻ، وما نَسْقُطُ[٣].

وقال عامر بن عبد الله بن الزبير: جئتُ أبي، فقال لي: أين كنتَ؟ فقلت: وجدتُ قوماً، ما رأيتُ خيراً منهم قَطُّ، يذكُرون الله ﷻ فيُرعَدُ

=أعرفها، وبقية رجاله ثقات».

(١) انظر: النكت والعيون (٥/ ١٢٣).

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٦٢٦) من رواية معمر، عن قتادة به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضًا (٧/ ٢٢١) لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٣١٢) من رواية سعيد بن عبد الرحمن الجمحي، عن أبي حازم به.

واحدُهم حتَّى يُغْشَى عليه من خَشْيةِ الله ﷻ، فقعدْتُ معهم، فقال: لا تقعُدْ معهم بعدَها أبداً، قال: فرآني كأنِّي لم يأخُذْ ذلك فِيَّ، فقال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يتلو القرآنَ، ورأيتُ أبا بكرٍ وعُمرَ يتلُوانِ القرآنَ، فلا يُصيبُهم هذا من خَشْيةِ الله تعالى، أَفَتَرَى أنَّهم أخشى لله من أبي بكرٍ وعُمرَ؟ قال: فرأيتُ ذلك كذلك(١).

وقال عكرمة: سُئِلَتْ أسماءُ بنت أبي بكرٍ: هل كان أحدٌ من السَّلَفِ يُغشَى عليه من الخوف؟ قالت: لا، ولكنَّهم كانوا يبكون(٢).

وقال عبد الله بن عروة بن الزبير: قلتُ لِجدَّتي أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ، كيف كان أصحابُ رسولِ الله ﷺ يفعلون إذا قُرِئَ عليهم القرآن؟ قالت: كانوا كما نعتَهم اللهُ تعالى؛ تدمعُ أعينُهم، وتَقْشَعِرُّ جلودُهم. فقلتُ لها: إنَّ ناسًا اليوم إذا قُرِئَ عليهم القرآن، خَرَّ أحدُهم مَغْشِيًّا عليه، فقالت: أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم(٣).

وكان جَوَّابُ يُرْعَدُ عند الذِّكْر، فقال له إبراهيمُ النخعيُّ: إن كنت [٦٩٢/ ب] تَمِلكُهُ، فما أُبالي أن لا أعتدَّ بكَ، وإن كنتَ لا تملكه، فقد خالفْتَ من كان قبلَكَ(٤).

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢٢٢) للزبير بن بكار في الموفقيات.

(٢) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص:٢١٤) من رواية عبد الكريم الجزري، عن عكرمة به.

(٣) رواه سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٣٣٠) (٩٥)، والثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ٢٣٠) من رواية حصين، عن عبد الله بن عروة بن الزبير به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضًا (٧/ ٢٢٢) لابن المنذر وابن مردويه وابن أبي حاتم وابن عساكر.

(٤) لم نقف عليه.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾ في المشار إليه قولان:

أحدهما: أنَّه القرآن، قاله مقاتل[١].

والثاني: أنَّه ما يَنْزِلُ بالمؤمنين عند تلاوة القرآن من اقشعرار الجلود عند الوعيد ولينِها عند الوعد، قاله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٤-٢٨].

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: شِدَّته.

قال الزجاج: جوابه محذوفٌ، تقديره: كَمَنْ يدخُلُ الجنَّة؟ وجاء في التفسير أنَّ الكافرَ يُلقَى في النار مغلولاً، ولا يتهيَّأُ له أنْ يتَّقِيَها إلَّا بوجهِه[٢].

ثمَّ أخبرَ عمَّا يقولُ الخزنةُ للكفَّار بقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني الكافرين ﴿ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: جزاءَ كَسْبِكُم.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: من قَبْلِ كفَّارِ مكَّة ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: وهم آمنون غافلون عن العذاب.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٧٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٥٢).



﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ﴾ يعني الهوان والعذاب، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ ممَّا أصابهم في الدنيا ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾، ولكنَّهم لا يعلمون ذلك.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ أي: وَصَفْنا لهم ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: من كلِّ شبَهٍ يُشبِهُ أحوالَهم.

قوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾.

قال الزجاج: «عَرَبِيًّا» منصوبٌ على الحال، المعنى: ضربنا للناس في هذا القرآن في حال عربيَّته وبيانه، فذكر «قُرْآناً» توكيداً، كما تقول: جاءني زيدٌ رجلاً صالحاً، وجاءني عمروٌ إنساناً عاقلاً، فذكر «رجلاً، وإنساناً» توكيداً[1].

قوله تعالى: ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾: روى ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ قال: غيرَ مخلوق[2].

وقال غيره: مستقيم غير مختلف.

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[الزمر: ٢٩-٣١].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٥٢).

(٢) رواه الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٨٠)، والآجري في الشريعة (١٦٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥١٨) من رواية ابن أبي طلحة، عن ابن عباس به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضًا (٧/ ٢٢٣) لابن مردويه.

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ ثم بيَّنَهُ فقال: ﴿رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾.

قال ابن قتيبةَ: أي: مختلِفون، يَتنازعُون ويَتَشاحُّون فيه، يقال: رجُلٌ شَكِسٌ[١].

وقال اليزيديُّ: الشَّكِسُ من الرجال: الضَّيِّقُ الخُلُق.

قال المفسِّرون: وهذا مَثَلٌ ضربه اللهُ للمؤمِن والكافر، فإنَّ الكافر يعبُدُ آلهةً شتَّى، فمثَّله بعبدٍ يملكه جماعةٌ يتنافسون في خدمته، ولا يقدر أن يبلُغَ رضاهم أجمعين، والمؤمن يعبُدُ اللهَ وحدَهُ، فمثَّلَهُ بعبدٍ لرجلٍ واحدٍ، قد عَلِمَ مقاصِدَهُ، وعَرَفَ الطريقَ إلى رضاهُ، فهو في راحةٍ من تَشاكُسِ الخُلَطاءِ فيه، فذلك قوله تعالى: ﴿سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾.

قرأ ابن كثيرٍ، وأبو عمروٍ إلَّا عبدَ الوارث في غير رواية القزَّاز، وأبان عن عاصم: «ورجُلاً سالِماً» بألفٍ وكسر اللام وبالنصب والتنوين فيهما[٢]، والمعنى: ورجُلاً خالصاً لرجُلٍ قد سَلِمَ له من غير مُنازِعٍ.

ورواه عبد الوارث إلَّا القزَّاز كذلك، إلَّا أنَّه رفع الاسمين، فقال: «ورجُلٌ سالِمٌ لرجُلٍ»[٣].

وقرأ ابن أبي عبلَةَ: «سِلْمٌ لِرَجُلٍ» بكسر السين ورفع الميم[٤].

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٣٨٣).

(٢) انظر: السبعة (٥٦٢)، والحجة (٦/ ٩٤)، والمبسوط (ص:٣٨٤)، والتيسير (ص:١٨٩)، والمحرر الوجيز (٤/ ٥٣٠)، والتحصيل (٥/ ٥٢٧).

(٣) في البحر المحيط (٩/ ١٩٨) بلا نسبة.

(٤) لم نقف عليها.



وقرأ الباقون: «وَرَجُلًا سَلَمًا» بفتح السين واللام وبالنصب فيهما والتنوين(١).

والسَّلَمُ بفتح السين واللام معناه الصُّلح، والسِّلم بكسرِ السين مِثلُهُ.

قال الزجاج: من قرأ: «سِلْماً» و «سَلْماً» فهما مصدران وُصِفَ بهما، فالمعنى: ورجُلاً ذا سِلْمٍ لرجُلٍ، وذا سَلْمٍ لرجُلٍ، فالمعنى: ذا سِلْمٍ، والسَّلْم الصُّلح، والسِّلْم بكسر السين مِثْلُه(٢).

وقال ابن قتيبةَ: من قرأ «سَلَماً لِرَجُلٍ» أرادَ: سلَّم إليه، فهو سِلْمٌ له(٣).

وقال أبو عبيدة: السِّلْم والسَّلم الصُّلح(٤).

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ هذا استفهامٌ معناه الإنكار، أي: لا يستويان؛ لأنَّ الخالصَ لمالكٍ واحدٍ يَستحقُّ مِنْ معونته وإحسانه ما لا يستحقُّه صاحب الشُّركاء المتشاكسين. [٦٩٣/أ]

وقيل: لا يستويان في باب الرَّاحة، لأنَّ هذا قد عرف الطريق إلى رضى مالكه، وذاك متحيِّرٌ بين الشُّركاء.

قال ثعلب: وإنَّما قال: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ ولم يقل: مَثَلَيْنِ؛ لأنَّهما جميعاً ضُرِبا مَثَلاً واحداً، ومِثْلُه: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠]، ولم يَقُلْ: آيتينِ؛ لأنَّ شأنَهما واحدٌ.

---

(١) انظر: السبعة (٥٦٢)، والحجة (٦/ ٩٤)، والمبسوط (ص:٣٨٤)، والتيسير (ص:١٨٩)، والمحرر الوجيز (٤/ ٥٣٠)، والتحصيل (٥/ ٥٢٧).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٥٢).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٣٨٣).

(٤) انظر: مجاز القرآن (١/ ٧١-٧٢).

وتمَّ الكلام هاهنا، ثمَّ قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: له الحمد دون غيره من المعبودين ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، والمراد بالأكثر الكُلُّ.

ثمَّ أخبر نبيَّهُ بما بعدَ هذا الكلام أنَّه يموت، وأنَّ الذين يكذِّبون يموتون، وأنَّهم يجتمعون للخصومة عند الله ﷻ، المُحِقُّ والمُبْطِلُ، والمَظْلُومُ والظَّالِمُ.

وقال ابن عمر: نزلتْ هذه الآيةُ وما ندري ما تفسيرُها، وما نرى أنَّها نزلَتْ إلَّا فينا وفي أهل الكتابَيْنِ، حتَّى قُتِلَ عثمانُ، فعرفتُ أنَّها فينا نزلَتْ.

وفي لفظٍ آخر: حتَّى وقعت الفتنةُ بين عليٍّ ومعاويةَ[1].

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٢-٣٥].

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بأن دعا له ولداً وشريكاً ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ وهو التوحيد والقرآن، ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: مَقَامٌ للجاحِدِين، وهذا استفهامٌ بمعنى التقرير يعني: إنَّه كذلك.

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٢٠٢) من رواية سعيد، عن ابن عمر به.



قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنَّه رسول الله ﷺ، قاله عليُّ بن أبي طالب، وابن عبَّاس، وقتادة، وابن زيد.

ثم في الصِّدق الذي جاء به قولان:

أحدهما: أنَّه «لا إله إلَّا الله»، رواه ابن أبي طلحةَ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال سعيد بن جبير.

والثاني: القرآن، قاله قتادة.

وفي الذي صدَّق به ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه رسول الله ﷺ أيضاً، هو جاء بالصِّدق، وهو صدَّق به، قاله ابن عبَّاس، والشعبي.

والثاني: أنَّه أبو بكرٍ، قاله عليُّ بن أبي طالب.

والثالث: أنَّهم المؤمنون، قاله قتادة والضحَّاك وابن زيد.

والقول الثاني: أنَّ الذي جاء بالصِّدق أهلُ القرآن، وهو الصِّدق الذي يُجيبونَ به يومَ القيامة، وقد أدَّوا حقَّه، فَهُمُ الذين صدَّقوا به، قاله مجاهد.

والثالث: أنَّ الذي جاء بالصِّدق الأنبياءُ، قاله الربيع، فعلى هذا، يكون الذي صدَّق به: المؤمِنون.

والرابع: أنَّ الذي جاء بالصِّدق: جبريلُ، وصدَّق به: محمَّدٌ، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ أي: الذين اتَّقوْا الشرك وإنما قيل: «هُم»؛ لأنَّ معنى «الذي» معنى الجمع، كذلك قال اللغويُّون.

وأنشد أبو عبيدة، والزجاج[1]: [من الطويل]

فَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاؤُهُمْ ... هُمُ القَوْمُ، كُلُّ القَوْمِ، يا أُمَّ خَالِدِ

قوله تعالى: ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ المعنى: أعطاهم ما شاؤوا ليُكفِّرَ عنهم ﴿أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ﴾، أي: لِيَسْتُرَ ذلكَ بالمغفرة، ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم﴾ بمحاسن أعمالهم، لا بمساوئها.

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٦-٣٨].

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾.

ذكر المفسِّرون أنَّ مشركي مكَّة قالوا: يا محمَّد، ما تزال تذكرُ آلهتَنا وتَعِيبُها، فاتَّقِ أن تصيبَكَ بسوءٍ، فنزلَتْ هذه الآية[2].

(١) البيت للأشهب بن رميلة كما في مجاز القرآن (٢/ ١٩٠)، وسر صناعة الإعراب (٢/ ١٩٠)، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ١٦٨)، ولسان العرب (٢/ ٣٤٩)، وبلا نسبة في معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٥٤)، والعين (٨/ ٢٠٩)، ومعجم ديوان الأدب (١/ ٩٩)، وتهذيب اللغة (١١/ ٦١).

(٢) قال في الدر المنثور (٧/ ٢٢٩): «وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن قتادة قال:=

والمراد بعبده هاهنا: محمد ﷺ.

وقرأ حمزة، والكسائي: «عِبَادَهُ» على الجمع[١]، وهم الأنبياء؛ لأنَّ الأممَ قصدَتْهُم بالسُّوء، فالمعنى أنَّه كما كفى الأنبياءَ قَبْلَكَ يكفيك.

[٦٩٣/ب] وقرأ سعد بن أبي وقَّاصٍ، وأبو عمران الجونيُّ: «بِكافي» مُثبتةَ الياء «عَبْدِهِ» بكسر الدال والهاء من غير ألِفٍ[٢].

وقرأ أُبَيُّ بن كعبٍ، وأبو العالية، وأبو الجوزاء، والشعبي مِثْلَهُ، إلَّا أنَّهم أثبتوا الألِفَ في «عِبادِهِ»[٣].

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو جعفر، وشيبة، والأعمش: «بِكافٍ» بالتنوين، «عِبادَهُ» على الجمع[٤].

وقرأ ابن مسعودٍ، وأبو رجاءٍ العطاردي: «يُكافِي» بياءٍ مرفوعةٍ قبل

=قال لي رجل: قالوا للنبي ﷺ لتكفن عن شتم آلهتنا أو لتأمرنها فلتخبلنك، فنزلت: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾».

(١) انظر: السبعة (ص:٥٦٢)، والحجة (٦/ ٩٥)، والمبسوط (ص:٣٨٤)، والتحصيل (٥/ ٥٢٨)، والمحرر الوجيز (٤/ ٥٣٢).

(٢) في البحر المحيط (٩/ ٢٠٥) بلا نسبة.

(٣) لم نقف عليها.

(٤) انظر: السبعة (ص:٥٦٢)، والحجة (٦/ ٩٥)، والمبسوط (ص:٣٨٤)، والتحصيل (٥/ ٥٢٨)، والمحرر الوجيز (٤/ ٥٣٢)، وفي البحر المحيط (٩/ ٢٠٥) نسبها لأبي جعفر، ومجاهد، وابن وثاب، وطلحة، والأعمش، وحمزة، والكسائي، وفي الكامل (ص:٦٣٠) نسبها لأبي بشر، وأبي جعفر، وشيبة، وكوفي غير عاصم، وقاسم، وابن مقسم.

الكاف، وياءٍ ساكنةٍ بعد الفاء «عِبادَهُ» على الجمع[١].

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي: بالذين يَعْبُدون مِن دونِهِ، وهم الأصنام، ثُمَّ أَعْلَمَ بها بعد هذا أن الإِضلال والهداية إليه تعالى، وأنَّه منتقمٌ ممَّن عصاه، ثم أخبر أنَّهم مع عبادتهم، يُقِرُّونَ أنه الخالق، ثم أمر أن يُحْتَجَّ عليهم بأنَّ ما يعبُدون لا يَمْلِكُ كَشْفَ ضُرٍّ ولا جَلْبَ خيْرٍ.

وقرأ أبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: «كاشفاتٌ ضُرَّهُ» و«مُمسِكاتٌ رحمتَهُ» منوَّناً.

والباقون: «كاشفاتُ ضُرِّهِ» و «مُمسِكاتُ رحمَتِهِ» على الإضافة[٢].

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾[الزمر: ٣٩-٤١].

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟﴾ ذكر بعض المفسرين أنها والآية التي تليها نُسِخَتْ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني القرآن ﴿لِلنَّاسِ﴾ أي: لجميع الخَلْقِ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ ليس فيه باطل.

---

(١) في البحر المحيط (٩/ ٢٠٥) بلا نسبة.

(٢) انظر: السبعة (ص: ٥٦٢)، والحجة (٦/ ٩٦)، والمبسوط (ص: ٣٨٤)، والتيسير (ص: ١٨٩- ١٩٠)، والمحرر الوجيز (٤/ ٥٣٢-٥٣٣)، والتحصيل (٥/ ٥٢٨).



وتمام الآية مفسَّرٌ في آخر يونس[١]، وذكروا أنه منسوخٌ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الزمر: ٤٢].

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ أي: يَقْبِضُ الأرواحَ حين موت أجسادِها، ﴿ وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ ﴾ أي: ويتوفَّى التي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها.

﴿ فَيُمْسِكُ ﴾ أي: عن الجسد والنفس ﴿ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ ﴾.

وقرأ حمزة، والكسائي: «قُضِيَ» بضم القاف وفتح الياء، «الموتُ» بالرفع[٢].

﴿ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ إلى الجسد ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ وهو انقضاءُ العُمُر ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ في أمر البعث.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: تلتقي أرواح الأحياء وأرواحُ الأموات في المنام، فيتعارفون ويتساءلون، ثم تُرَدُّ أرواحُ الأَحياءِ إلى أجسادها، فلا يُخطَأُ بشيءٍ منها، فذلك قوله: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٣].

---

(١) انظر: تفسير سورة يونس الآية رقم (١٠٨).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٦٢)، والحجة (٦/ ٩٧)، والمبسوط (ص:٣٨٤)، والتيسير (ص:١٩٠)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٥٤)، والتحصيل (٥/ ٥٢٨).

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢٣٠) لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني في الأوسط، وأبي الشيخ في العظمة، والضياء في المختارة.

وقال ابن عبَّاسٍ في روايةٍ أخرى: في ابنِ آدم نَفْسٌ وروحٌ، فبالنَّفس العقلُ والتمييزُ، وبالرُّوح النَّفَس والتحريك، فإذا نام العبدُ، قَبَضَ اللهُ نَفْسَه ولم يَقْبِض روحه[١].

وقال ابن جريج: في الإنسان روحٌ ونَفْسٌ، بينهما حاجزٌ، فهو تعالى يقبض النفس عند النوم، ثم يَرُدُّها إلى الجسد عند الانتباه، فإذا أراد إماتةَ العبد في نومه، لم يَرُدَّ النَّفْسَ وقَبَضَ الرُّوح[٢].

وقد اختلف العلماء، هل بين النَّفْس والرُّوح فَرْقٌ؟ على قولين: قد ذكرتُهما في «الوجوه والنظائر»، وزدتُ هذه الآيةَ شرحاً في «باب التوفِّي» في كتاب «النظائر»[٣].

وذهب بعض العلماء إلى أنَّ التَّوفِّيَ المذكور في حقِّ النائم هو نَوْمُه.

وهذا اختيارُ الفراء[٤] وابن الأنباري، فعلى هذا يكون معنى تَوفِّي النائم: قبضُ نَفْسِه عن التصرُّف، وإرسالُها: إطلاقُها باليَقَظَة للتَّصرُّف.

قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[الزمر: ٤٣-٤٤].

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ٢٣٨)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢٣٠) لابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) لم نقف عليه.

(٣) انظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر؛ لابن الجوزي (ص: ٢١٣).

(٤) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤٢٠).

قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ ﴾ يعني كُفَّارَ مكَّةَ .

وفي المراد بالشُّفعاءِ قولان:

أحدهما: أنَّها الأصنام، زعموا أنها تشفع لهم في حاجاتهم، قاله الأكثرون.

والثاني: الملائكة، قاله مقاتل[1].

﴿ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا ﴾ من الشفاعة ﴿ وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ أنَّكم تعبُدونهم؟! وجواب هذا الاستفهام محذوفٌ، تقديره: أوَلو كانوا بهذه الصفة تتخذونهم؟ [٦٩٤/أ]

﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ أي: لا يَمْلِكُها أَحَدٌ إِلَّا بتمليكه، ولا يشفع عنده أَحَدٌ إِلَّا بإذنه.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَـٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[الزمر: ٤٥-٤٨].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٧٩).

أحدها: انقبضَتْ عن التوحيد، قاله ابن عباس، ومجاهد.

والثاني: استكبرَتْ، قاله قتادة.

والثالث: نَفَرَتْ، قاله أبو عبيدة[١]، والزجاج[٢].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ يعني الأصنام ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون.

وما بعد هذا قد تقدَّم تفسيره إلى قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾.

قال السدي: ظَنُّوا أنَّ أعمالَهم حسناتٍ، فبدَتْ لهم سيِّئاتٍ[٣].

وقال غيره: عَمِلوا أعمالاً ظنُّوا أنَّها تنفعُهم، فلم تنفعْ مع شِرْكِهم.

قال مقاتل: ظهر لهم حين بُعِثُوا ما لم يحتسبوا أنَّه نازلٌ بهم، فهذا القول يحمل وجهين:

أحدهما: أنَّهم كانوا يَرجُونَ القُرْبَ من الله بعبادة الأصنام، فلمَّا عُوقِبوا عليها، بدا لهم ما لم يكونوا يحتَسِبون.

والثاني: أنَّ البعثَ والجزاءَ لم يكن في حسابهم[٤].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٩٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٥٦).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ٢٤٠).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٨١).

وروي عن محمد بن المنكدر أنَّه جَزِع عند الموت وقال: أخشى هذه الآية أن يبدوَ لي ما لا أحتَسِب[١].

قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ أي: نزل بهم ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: ما كانوا ينكرونه ويكذِّبون به.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[الزمر: ٤٩-٥٢].

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾.

قال مقاتل: هو أبو حذيفة بن المغيرة[٢].

وقد سبق في هذه السورة نظيرها[٣].

وإنما كنَّى عن النِّعمة بقوله تعالى: ﴿أُوتِيتُهُۥ﴾ لأنَّ المراد بالنِّعمة الإنعام.

﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ عندي، أي: على خيرٍ عَلِمَهُ اللهُ عندي.

وقيل: على عِلْمٍ مِنَ الله بأنِّي له أهلٌ، قال الله تعالى: ﴿بَلْ هِىَ﴾ يعني النِّعمة التي أنعم اللهُ عليه بها ﴿فِتْنَةٌ﴾ أي: بلوى يُبْتَلى بها العبدُ

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ٢٤٠).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٨٢).

(٣) انظر: تفسير سورة الزمر الآية رقم (٨).

لِيَشْكُرَ أو يكفُرَ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ ذلك استدراجٌ لهم وامتحان.

وقيل: ﴿بَلْ هِىَ﴾ أي: المقالة التي قالها ﴿فِتْنَةٌ﴾.

﴿قَدْ قَالَهَا﴾ يعني تلك الكلمة، وهي قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وفيهم قولان:

أحدهما: أنَّهم الأمم الماضية، قاله السدي.

والثاني: قارون، قاله مقاتل(١).

قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ أي: ما دفع عنهم العذاب.

﴿مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: من الكفر.

والثاني: من عبادة الأصنام.

والثالث: من الأموال.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾ أي: جزاءُ سيِّئاتهم، وهو العذاب.

ثم أوعد كُفَّار مكَّة، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: إنَّهم لا يُعْجِزونَ الله ولا يَفُوتونه.

قال مقاتل: ثم وعظهم لِيَعْلَموا وحدانيَّتَهُ حين مُطِروا بعد سبع سنين، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٨٢).

أي: في بَسْطِ الرِّزق وتقتيره ﴿لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣-٥٥].

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال:

أحدها: أنَّ ناساً من المشركين كانوا قد قَتَلوا فأكثَروا، وزَنَوا فأكثَروا، ثم أتَوا رسولَ الله ﷺ فقالوا: إنَّ الذي تدعو إليه لَحَسَنٌ، لو تُخبِرُنا أنَّ لِمَا عَمِلنا كفَّارةً، فنزلت هذه الآية، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. [٦٩٤/ ب]

والثاني: أنَّها نزلت في عَيَّاش بن أبي ربيعةَ والوليد بن الوليد ونَفَرٍ من المسلمين كانوا قد أسلموا، ثم عُذِّبوا فافتُتِنوا، فكان أصحاب رسول الله يقولون: لا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ هؤلاء صَرْفاً ولا عَدْلاً، قومٌ تركوا دينهم بعذابٍ عُذِّبوه، فنزلت هذه الآية، فكتبها عمر إلى عَيَّاش والوليد وأولئك النَّفَر، فأسلموا وهاجروا، وهذا قول ابن عمر.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٨٢).

والثالث: أنَّها نزلتْ في وحشي وهذا القول ذكرناه مشروحًا في آخر الفرقان[1] عن ابن عباس.

والرابع: أنَّ أهل مكَّة قالوا: يزعُم محمدٌ أنَّ مَنْ عَبَدَ الأوثانَ وقَتَلَ النَّفْسَ التي حرَّم اللهُ لم يُغْفَرْ له، فكيف نُهاجِرُ ونُسْلِم وقد فَعَلْنا ذلك؟ فنزلت هذه الآية، وهذا مرويٌّ عن ابن عبَّاسٍ أيضاً.

ومعنى ﴿أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ ارتكبوا الكبائر.

والقنوط بمعنى اليأس.

﴿وَأَنِيبُوٓاْ﴾ بمعنى ارجِعوا إلى الله من الشِّرك والذُّنوب.

﴿وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ أي: أخلصوا له التوحيد.

و﴿تُنصَرُونَ﴾ بمعنى تُمْنَعون.

﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾ قد بيَّنَّاه في قوله ﷻ: ﴿يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾[2].

قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[الزمر: ٥٦-٥٩].

---

(١) انظر: تفسير سورة الفرقان الآية رقم (٦٨).

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٤٥).

قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾.

قال المبرِّد: المعنى: بادِروا قَبْلَ أن تقول نَفْسٌ، وحَذَراً من أن تقول نَفْسٌ[١].

وقال الزجاج: خوفَ أن تصيروا إلى حالٍ تقولون فيها هذا القول[٢].

ومعنى ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾ يا ندامتا ويا حزنا، والتحسُّر: الاغتمام على ما فات، والألِفُ في «يا حسرتا» هي ياء المتكلِّم، والمعنى: يا حسرتي، على الإضافة.

قال الفراء: والعرب تحوِّل الياء إلى الألِف في كلِّ كلامٍ معناه الاستغاثة، ويخرج على لفظ الدُّعاء، وربما أدخلت العربُ الهاء بعد هذه الألف، فيَخْفِضونها مَرَّةً، ويرفعونها أخرى[٣].

وقرأ الحسن، وأبو العالية، وأبو عمران، وأبو الجوزاء: «يا حسرتي» بكسر التاء، على الإضافة إلى النَّفْس[٤].

وقرأ معاذ القارئ، وأبو جعفر: «يا حسرتايَ»، بألف بعد التاء وياء مفتوحة[٥].

قال الزجاج: وزعم الفراء أنَّه يجوز «يا حسرتاهَ على كذا» بفتح الهاء، و «يا حسرتاهُ» بالضم والكسر، والنحويُّون أجمعون لا يُجيزون أن

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٨٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٥٩).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤٢١).

(٤) في المحرر الوجيز (٤/ ٥٣٨) نسبها لابن جماز عن أبي جعفر، وفي البحر المحيط (٩/ ٢١٣) نسبها لأبي جعفر، وفي إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٨٢) نسبها للحسن.

(٥) في مختصر ابن خالويه (ص:١٣١)، والمحتسب (٢/ ٢٣٧)، وفي التحصيل (٥/ ٥٤١)، وفي المحرر الوجيز (٤/ ٥٣٨) كلهم نسبوها لأبي جعفر.

تُثْبَتَ هـذه الهاءُ مـع الوصـل(١).

قوله تعالى: ﴿فِي جَنْبِ ٱللَّهِ﴾ فيه خمسة أقوال:

أحدها: في طاعة الله تعالى، قاله الحسن.

والثاني: في حقِّ الله، قاله سعيد بن جبير.

والثالث: في أمْر الله، قاله مجاهد، والزجاج(٢).

والرابع: في ذِكْر الله، قاله عكرمة، والضحاك.

والخامس: في قُرْب الله.

روي عـن الفـراء أنـه قـال: الجَنْـب: القُـرْب، أي: في قُـرْب الله وجِـواره، يقـال: فـلانٌ يعيـش في جَنْـبِ فـلان، أي: في قُرْبـه وجـواره، فعـلى هـذا يكـون المعنـى: عـلى مـا فرَّطْـتُ في طلـب قُـرْب الله تعـالى، وهـو الجنـة(٣).

قولـه تعـالى: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ أي: ومـا كنتُ إلا من المسـتهزِئين بالقـرآن وبالمؤمنـين في الدُّنيا.

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي﴾ أي: أرشَـدني إلى دينـه ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الـشِّرْكَ، فيقـال لهـذا القائـل: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي﴾.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٥٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٥٨).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٨٨).

قال الزجاج: و«بلى» جواب النفي، وليس في الكلام لفظ النفي، غير أنَّ معنى ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾: ما هُديتُ، فقيل: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى﴾[1].

[٦٩٥/أ] وروى ابن أبي سريج عن الكسائي: «جاءتكِ»، «فكذَّبْتِ»، «واسْتكْبَرْتِ»، «وكُنْتِ»، بكسر التاء فيهنَّ، مخاطَبةً للنفس[2].

ومعنى «اسْتكْبَرْتَ»: تكبَّرتَ عن الإيمان بها.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[الزمر: ٦٠-٦١].

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فزعموا أن له ولداً وشريكاً ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾.

وقال الحسن: هم الذين يقولون: إنْ شئنا فعَلْنا، وإنْ شئنا لم نَفْعَل[3].

وباقي الآية قد ذكرناه آنفًا.

قوله تعالى: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ﴾.

وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «بِمَفازَاتِهِمْ»[4].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٥٩).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٣٢) نسبها للنبي ﷺ، وأبي بكر، وفي التحصيل (٥/ ٥٤١) نسبها ليحيى بن يعمر، والجحدري، وغيرهما.

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٨٩-٥٩٠).

(٤) انظر: السبعة (ص:٥٦٣)، والحجة (٦/ ٩٧)، والمبسوط (ص:٣٨٥)، والتحصيل (٥/ ٥٤١).

قال الفراء: وهو كما قد تقول: قد تبيَّن أمرُ القوم وأمورهم، وارتفع الصوت والأصوات، والمعنى واحد[١].

وفيها للمفسرين ثلاثة أقوال:

أحدها: بفضائلهم، قاله السدي.

والثاني: بأعمالهم، قاله ابن السائب، ومقاتل[٢].

والثالث: بفوزهم من النار.

قال المبرِّد: المَفازة: مَفْعَلةٌ من الفوز، وإن جُمِعَ فحَسنٌ، كقولك: السعادة والسعادات، والمعنى: ينجيهم الله بفوزهم، أي: بنجاتهم من النار وفوزهم بالجنة[٣].

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الزمر: ٦٢-٦٣].

قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

قال ابن قتيبة: أي: مفاتيحُها وخزائنُها، لأنَّ مالِكَ المفاتيح مالِكُ الخزائن، واحدها: إقليدٌ، وجُمِعَ على غير واحدٍ، كما قالوا: مَذاكير جمع

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤٢٤).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٨٤).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٩٠).

ذَكَر، ويقال: هو فارسيٌّ معرَّب[١].

وقرأت على شيخنا أبي منصورٍ اللغوي: الإِقليدُ المفتاح، فارسي معرَّب، قال الراجز[٢]: [من الرجز]

لَمْ يُؤْذِها الدِّيكُ بِصَوْتِ تَغْرِيدْ ولَمْ تُعالِجْ غَلَقاً بِإِقْلِيدْ

والمِقْلِيدُ: لغةٌ في الإِقْلِيدِ، والجمع: مَقَالِيد.

وللمفسِّرين في المقاليد قولان:

أحدهما: المفاتيح، قاله ابن عباس.

والثاني: الخزائن، قاله الضحاك.

وقال الزجاج: تفسيره أنَّ كلَّ شيءٍ في السموات والأرض، فهو خالقُه وفاتحُ بابَهُ[٣].

قال المفسرون: مفاتيح السموات: المطر، ومفاتيح الأرض: النبات.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[الزمر: ٦٤-٦٦].

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٣٨٤، ٣٩١).

(٢) بلا نسبة في المعرب؛ لأبي منصور اللغوي الجواليقي (ص:١٦)، وكشف المشكل من حديث الصحيحين؛ للمؤلف (٢/ ٢٥٣).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٦١).

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ ﴾.

قرأ نافع، وابن عامر: «تأمُرُونِي أَعْبُدُ» مخفَّفةً، غيرَ أنَّ نافعاً فتح الياء، ولم يفتحها ابن عامر.

وقرأ ابن كثير: «تأمرونِّيَ» بتشديد النون وفتح الياء.

وقرأ الباقون بسكون الياء[١].

وذلك حين دعَوْه إلى دين آبائه، ﴿أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ أي: فيما تَأمُرون.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ﴾ فيه تقديمٌ وتأخير، تقديره: ولقد أُوحِيَ إليكَ لئن أشركتَ لَيَحْبَطَنَّ عملُكَ، وكذلك أُوحيَ إلى الذين مِنْ قَبْلِكَ.

قال أبو عبيدة: ومجازُها مجازُ الأمرين اللَّذَين يُخْبَرُ عن أحدهما، ويُكَفُّ عن الآخر[٢].

قال ابن عباس: هذا أدبٌ من الله تعالى لنبيِّه ﷺ وتهديدٌ لغيره، لأنَّ الله ﷻ قد عصمَه من الشِّرك[٣].

وقال غيره: إنَّما خاطبَه بذلك، لِيَعْرِفَ مَنْ دونَه أنَّ الشِّرك يُحبِطُ الأعمال المتقدِّمة كلَّها، ولو وقع من نبيٍّ.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٦٣)، والحجة (٦/ ٩٧-٩٨)، والمبسوط (ص:٣٨٥)، والتيسير (ص:١٩١)، والتحصيل (٥/ ٥٤١).

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٩١).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٩٢).



وقرأ أبو عمران وابن السميفع ويعقوب: «لَنُحْبِطَنَّ» بالنون، «عَمَلَكَ» بالنصب(١).

﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ ﴾ أي: وحِّد.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[الزمر: ٦٧].

قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ ﴾.

سبب نزولها: أن رجلاً من أهل الكتاب أتى رسول الله ﷺ فقال: يا أبا القاسم، بلغك أن الله تعالى يَحْمِلُ الخلائقَ على إِصْبع والأَرَضِينَ على إِصْبَع والشَّجَر على إِصْبَع والثَّرى على إِصْبع؟ فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذُه، فأنزل اللهُ تعالى هذه الآية، قاله ابن مسعود(٢). [٦٩٥/ ب]

وقد أخرج البخاري ومسلم في الصحيحين نحوه عن ابن مسعود(٣).

وقد فسَّرنا أوَّلَ هذه الآية في الأنعام(٤).

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٣٢) نسبها لبعضهم، وفي البحر المحيط (٩/ ٢١٩) بلا نسبة.

(٢) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٧١)، والطبري في تفسيره (٢٠/ ٢٤٧) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٤٨١١، ٧٤١٤، ٧٤١٥، ٧٥١٣)، ومسلم (٢٧٨٦) من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٩١).

قال ابن عباس: هذه الآية في الكفار، فأما من آمن بأنه على كل شيءٍ قديرٌ، فقد قَدَرَ اللهَ حقَّ قَدْرِهِ[١].

ثم ذكر عظمتَهُ بقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾.

وقد أخرج البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «يَقْبِضُ اللهُ الأرضَ يومَ القيامةِ ويَطْوي السَّماءَ بيمينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟»[٢].

وأخرجا من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يَطْوِي اللهُ ﷻ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»[٣].

قال ابن عباس: الأرضُ والسمواتُ كلُّها بيمينه[٤].

وقال سعيد بن جبير: السموات قَبْضَةٌ والأرضون قَبْضَةٌ[٥].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٢٤٥) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به.

(٢) رواه البخاري (٤٨١٢) ومواضع أخرى، ومسلم (٢٧٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٧٤١٢)، ومسلم (٢٧٨٨) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٢٤٧) من رواية الضحاك، عن ابن عباس به.

(٥) لم نقف عليه.

قولـه تعـالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[الزمـر: ٦٨-٧٠].

قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ﴾.

وقرأ ابن السميفع، وابن يعمر، والجحدريُّ: «فصُعِقَ» بضم الصاد[1].

﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: ماتوا من الفزع وشِدَّة الصَّوت.

وقد بيَّنَّا هذه الآيةَ والخلاف في الذين استُثنوا في سورة النمل[2].

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ وهـي نفخـة البعـث ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ يعنـي الخلائـق ﴿قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ أي: أضاءت، والمراد بالأرض: عَرَصاتُ القيامة.

قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: كتاب الأعمال، قاله قتادة، ومقاتل[3].

والثاني: الحساب، قاله السدي.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٣٢) نسبها لبعضهم، وفي البحر المحيط (٩/ ٢٢١).

(٢) انظر: تفسير سورة النمل الآية رقم (٨٧).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٨٨).

وفي الشهداء قولان:

أحدهما: أنَّهم الذين يَشْهَدونَ على الناس بأعمالهم، قاله الجمهور.

ثم فيهم أربعة أقوال:

أحدها: أنهم المُرْسَلون من الأنبياء.

والثاني: أمَّة محمد يَشهدونَ للرُّسل بتبليغ الرِّسالة، وتكذيبِ الأُمم إيَّاهم، رُوِيَا عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

والثالث: الحفظَةُ، قاله عطاء.

والرابع: النبيُّون والملائكة وأمَّة محمد ﷺ والجوارح، قاله ابن زيد.

والثاني: أنَّهم الشهداء الذين قُتِلوا في سبيل الله، قاله قتادة، والأول أصحُّ.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي: جزاء عملها ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ أي: لا يَحتاجُ إلى كاتبٍ ولا شاهدٍ.

قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾

وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الزمر: ٧١-٧٥].

قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾.

قال أبو عبيدة: الزُّمَر: جماعاتٌ في تفرقة بعضِهم على إِثر بعضٍ، واحدها: زُمْرةٌ[1].

قوله تعالى: ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ أي: أنفُسِكم.

و﴿كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ هي قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٨].

قوله تعالى: ﴿فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «فتِّحت» «وفتِّحت» مشدَّدتين.

وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: بالتخفيف[2].

وفي هذه الواو ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّها زائدةٌ، روي عن جماعةٍ من اللُّغويين منهم الفراء[3].

والثاني: أنَّها واو الحال، فالمعنى: جاؤوها وقد فُتِحتْ أبوابُها، فدخلت الواو لبيان أنَّ الأبوابَ كانت مفتَّحةٍ قبل مجيئِهم، وحُذِفَتْ من قصَّة أهل النار لبيان أنَّها كانت مُغْلَقةً قبل مجيئِهم، ووجهُ الحكمة في ذلك من ثلاثة أوجه:

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٩١).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٦٣)، والحجة (٦/ ١٠٠)، والمبسوط (ص:٣٨٥)، والتيسير (ص:١٩٠).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ٢١١).

أحدها: أنَّ أهل الجنَّة جاءوها وقد فُتحت أبوابُها ليستعجلوا السُّرور [٦٩٦/أ]
لفرح إذا رأوا الأبواب مفتَّحةً، وأهل النار يأتونها وأبوابُها مُغلَقة ليكون
ـدَّ لحرِّها، ذكره أبو إسحاق بن شاقلا من أصحابنا.

والثاني: أن الوقوف على الباب المغلق نوعُ ذُلٍّ، فصِينَ أهلُ الجنة
ـه، وجعل في حق أهل النار، ذكره لي بعض مشايخنا.

والثالث: أنه لو وَجَدَ أهلُ الجنة بابها مُغلَقاً لأثَّر انتظارُ فَتْحه
كمال الكَرَم، ومن كمال الكَرَم غَلْقُ باب النَّار إلى حين مجيء أهلها،
ن الكريم يعجِّل المثوبة، ويؤخِّر العقوبة، وقد قال ﷻ: ﴿مَا يَفْعَلُ ٱللَّهُ
ذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء:١٤٧]، هذا وجهٌ خطر لي.

والقول الثالث: أن الواو زِيدتْ، لأنَّ أبواب الجنة ثمانيةٌ، وأبواب
ـار سبعةٌ، والعرب تَعْطِفُ في العدد بالواو على ما فوق السبعة على ما
كرناه في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف:٢٢]،
كى هذا القول والذي قبله الثعلبي[1].

واختلف العلماء أين جوابُ هذه الآية على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّ الجوابَ محذوفٌ، قاله أبو عبيدة[2]، والمبرِّد، والزجاج[3] في آخرين.

وفي تقدير هذا المحذوف قولان:

---

(١) انظر: الكشف والبيان (٨/ ٢٥٧).

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٩٢).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٦٤).



أحدهما: أنَّ تقديرَهُ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ إلى آخر الآية ... سُعِدوا، قاله المبرِّد.

والثاني: حَتَّى إِذا جاؤُوها إلى قوله تعالى: فَادْخُلُوها خالِدِينَ.. دخلوها، وإِنَّمَا حُذِفَ، لأنَّ في الكلام دليلاً عليه، وهذا اختيار الزجاج[١].

والقول الثاني: أنَّ الجوابَ: قال لهم خزنتُها، والواو زائدةٌ، ذكره الأخفش[٢]، قال: ومثله في الشِّعر[٣]: [من الكامل]

فَإِذَا وَذَلِكَ يا كُبَيْشَةُ لَمْ يَكُنْ ... إِلَّا كَلَمَّةِ حَالِمٍ بِخَيَالِ

أي: فإذا ذلك.

والثالث: الجواب: حتَّى إذا جاؤوها فُتِحَتْ أبوابُها، والواوُ زائدةٌ، حكاه الزجاج[٤] عن قومٍ من أهل اللغة.

وفي قوله تعالى: ﴿طِبْتُمْ﴾ خمسة أقوال:

أحدها: أنَّهم إذا انْتَهَوا إِلى باب الجنَّة وَجَدُوا عند بابها شجرةً يَخرجُ من تحت ساقها عينان، فيَشربون من إِحداهما، فلا يبقى في بطونهم أذىً ولا قذىً إِلَّا خرج، ويغتَسلون من الأُخرى، فلا تَغْبَرُّ جلودُهم ولا تَشْعَثُ أشعارُهم أبداً.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٦٤).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ١٣٢).

(٣) البيت لتميم بن مقبل في ديوانه (ص ٢٥٩)، وخزانة الأدب (١١/ ٥٨، ٦٠)، ولسان العرب (١٢/ ٥٥١)، وتاج العروس (٣٣/ ٤٣٦)، وبلا نسبة في معاني القرآن؛ للأخفش (١/ ١٣٢)، والصحاح (٥/ ٢٠٣٢).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٦٤).

حتى إذا انتهَوْا إلى باب الجنَّة قال لهم عند ذلك خزنتُها: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ﴾، رواه عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه، وقد ذكرنا في الأعراف[١] نحوه عن ابن عباس.

والثاني: طاب لكم المقام، قاله ابن عباس.

والثالث: طِبْتُم بطاعة الله، قاله مجاهد.

والرابع: أنَّهم طُيِّبوا قَبْلَ دخول الجنَّة بالمغفرة، واقتُصَّ من بَعْضِهم لِبَعْضٍ، فلمَّا هُذِّبُوا قالت لهم الخَزَنَةُ: طِبْتُم، قاله قتادة.

والخامس: كنتم طيِّبين في الدُّنيا، قاله الزجاج[٢].

فلمَّا دخلوها قالوا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ﴾ أي: أرضَ الجنَّة نتبوَّأ منها حيثُ نشاء منها، أي: نَتَّخِذُ فيها من المنازلَ ما نشاء.

وحكى أبو سليمان الدمشقيُّ أنَّ أُمَّة محمَّدٍ ﷺ يدخلون الجنَّة قبل الأمم، فينزلون منها حيث شاؤوا، ثم تنزلُ الأُمم بعدَهم فيها، فلذلك قالوا: ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُ﴾ يقول الله ﷻ: ﴿فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ أي: نِعْمَ ثوابُ المُطِيعِينَ في الدُّنيا الجنَّة.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ﴾، أي مُحْدِقِينَ به، [٦٩٦/ب] يُقال: حَفَّ القومُ بفلانٍ: إذا أَحْدَقوا به، ودخلتْ «مِنْ» للتوكيد، كقولك: ما جاءني من أحدٍ.

---

(١) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٤٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٦٤).

﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ قال السدي[١]، ومقاتل[٢]: بأَمْرِ ربِّهم.

وقال بعضُهم: يُسَبِّحونَ بالحمد له، حيث دخل الموحِّدونَ الجنَّة.

وقال ابن جرير: التَّسبيح هاهنا بمعنى الصَّلاة[٣].

قوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾ أي: بينَ الخلائق ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالعَدْلِ.

﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هذا قول أهل الجنَّة شُكْرًا لله تعالى على إنعامه.

قال المفسِّرون: ابتدأ اللهُ ذِكْرَ الخَلْقِ بالحَمْدِ فقال: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ، وختم غاية الأمر - وهو استقرار الفريقين في منازلهم - بالحمد لله بهذه الآية، فنبَّه على تحميده في بداية كلِّ أمرٍ وخاتمته.

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٥/ ١٩٢).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٨٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١/ ٥٠٢).

فهرس الآيات

